ديوان البوصيري

شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد

٦٠٨ - ٦٩٦هـ

شرحه وقدم له

الأستاذ أحمد حسن بسج

طبعة مصححة منقحة

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الثانية
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

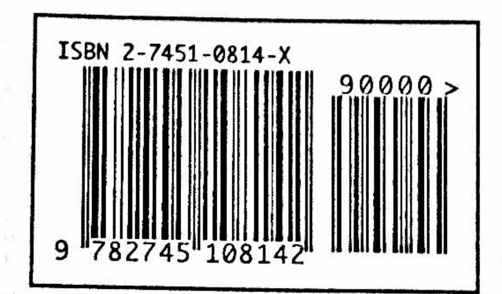
منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١١/ ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com


ISBN 2-7451-0814-X
90000 >
9 782745 108142

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين وبعد.

إن لهذا الديوان، ديوان البوصيري من الأهمية ما دفعني إلى التفكير بإعادة نشره، وقد اكتسب أهميته انطلاقاً من الخلفية التي ينتمي إليها الشاعر نفسه، فضلاً عن قصيدتين عظيمتين، هما البردة والهمزية في مدح النبي ﷺ وما كان لهما قديما وحالياً من أثر عاطفي في نفوس قرّاء العربية سواء لجهة مضمون كل منهما تغنياً بالشمائل النبوية، أو لجهة المستوى الفني فيهما. ولا يعني ذلك أنني أقلل من شأن القصائد الأخرى في الديوان، فهي على العموم تتحلى بسمات فنية بارزة، في حسن الصياغة، وقوة السبك، وجزالة الألفاظ، كل ذلك جعل من الديوان محور اهتمامي، لأضعه بين يدي قارئي الكريم، بحلةٍ جديدة، بعد أن أصلحت ما في الديوان من أخطاء، ووضعت ما في الملحق كلاً في المكان المناسب له ضمن الديوان وفي إطار الترتيب الألفبائي للقوافي، وقد نظرت في الأوزان، فقليل من القصائد ما حُدد بحره العروضي والأكثر ما صنعته بنفسي، وقد أغنيت الهامش بشرح ما رأيته غريباً أو مستغلقاً من المفردات أو الصور، مع ترجمة موجزة لبعض الأعلام الذين ذكروا في السياق، فضلاً عن ترجمة للبوصيري صدِّرت بها هذا الديوان.

وبعد، أرجو أن ينال عملي هذا رضى قرائنا الكرام وقبولهم، والله من وراء القصد.

أحمد حسن بسج

شتورة في: غُرّة ذي القعدة ١٤١٥ هجرية

الموافق: ١ نيسان إبريل ١٩٩٥ رومية

البوصيري[1]

٦٠٨ هـ. ٦٩٦ هـ

اسمه: هو محمد بن سعيد بن حمّاد بن محسن بن عبدالله بن صنهاج بن ملال الصّنهاجي، شرف الدين، أبو عبد الله. كان أحد أبويه[2] من أبو صير والآخر من دَلاص، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري.

ولد في بهشيم من أعمال البهنساوية. وكانت وفاته في الإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ.

أما أصله فمغربي[3]، ينتمي إلى بني حبنون من قبيلة صنهاجة من قلعة حمّاد.

ثقافته: تثقف بثقافة العصر، فدرس القرآن الكريم، والتحق بجامع الشيخ عبد الظاهر كما أشار إلى ذلك في ديوانه، فدرس العلوم الدينية وما تيسر له من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، والأدب والتاريخ والسيرة النبوية. ثم اطلع على أسرار التصوف وآدابه وطرقه، وأخذ ذلك عن أبي العباس المرسي الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته.

ومما نلاحظه في ديوانه أنه مطّلع على كتب اليهود والنصارى وخصوصاً في معرض تعليقه على قصيدته اللامية التي سماها: المخرج والمردود على النصارى واليهود، وهذه الثقافة استدعتها مواقف اليهود والنصارى من الإسلام وإنكارهم لنبوة محمد ﷺ، فرأى أن يرد عليهم بطريقة جدلية بقصد إقناعهم ببطلان ما ذهبوا إليه.

وقد أخذ عن البوصيري جماعة منهم أبو حيّان الأندلسي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ،

---

(١) انظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٢. الوافي بالوفيات: ٣/ ١٠٥. شذرات الذهب: ٥/ ٤٣٢. الأعلام: ٦/ ١٣٩.

(٢) قال: الزركلي في الأعلام ٦/ ١٣٩: نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر وأمه منها.

(٣) وقد ذكر أصله في شعر له بقوله:

فقل لنا من ذا الأديب الذي ... زاد به حبي ووسواسي
إن مثلي مغربياً فما ... في صحبة الأجناس من باس

وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المتوفى سنة ٧٣٤ هـ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ، وما أخذوه عنه قد لا يتجاوز شعره ونوادره، لا سيما وأنه كان يجلس في جامع الظاهر وينشد مدائحه هناك.. وليس بين أيدينا ما يدل على أن البوصيري قد جلس للتدريس، وعلى ذلك فليس عنده تلاميذ بالمعنى الدقيق المعروف، ولو أنه كان قد فتح كُتّاباً لتحفيظ القرآن الكريم، ولا يُعد ذلك في المدارس التي نقصدها.

شخصيته: مما يروى عنه أنه كان قصيراً نحيفاً، مما دعا بعض الناس أن يسخروا منه، وهو إزاء ذلك كان يضيق بهم ذرعاً، ويظهر مقته وكرهه لمن يسخر منه أو ينتقد شعره، فيهجوه أو يسخر منه. وقد ذهب بعض المؤرخين[١] إلى أن البوصيري كان ممقوتاً يمقته كل الناس حتى زوجته، أما الناس فكرهوه لأنه كان سليط اللسان، مُلحاً في السؤال شأنه في ذلك شأن الصوفية في ذلك الزمان.

عمله: نشأ البوصيري في أسرة فقيرة، مما دفعه إلى السعي الحثيث طلباً للرزق منذ صغره، فعمل في كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور، ثم تقرّب إلى أهل الحكم من أمراء ووزراء بقصد نيل أعطياتهم. فمدح سنجر الشجاعي، وغيره من أمراء المماليك، وقد ناله من ذلك حظ، إلا أنه كما يقول عنه المقريزي كان كريماً، وهذا ما يفسِّر حاجته الدائمة، خصوصاً وأنه كان مسؤولاً عن أسرة كبيرة العدد.

ومن الوظائف التي تقلدها، وظيفة كتابية في بُلبيس، تعتمد على العلم بالحساب، ويبدو أنه كان قليل المعرفة بهذا الفن فكثرت فيه الأخطاء، فرماه بعض النصارى ممن عرفوه بالجهل، فهجاهم هجاءً مُرّاً.

وقد ذكر[٢] الكتبي في ترجمته له أنه «كان يعاني صناعة الكتابة والتصرّف، وباشر الشرقية ببلبيس»، وليس يعني أنه كان من المتفننين في الكتابة، إذ ليس بين أيدينا من آثاره ما يدل على براعته في الإنشاء، وأقل ما يُقال هنا إن وظيفته في الشرقية كانت حسابية وليست إنشائية ترسلية.

ولم تطل إقامته في وظيفته، فتوجَّه إلى المحلة، ومدح ناظرها ونال منه رزقاً إعانة شهرية، فلقي هناك من الكتّاب النصارى ما لم يُرضه إذ أخروا عنه ماله فهجاهم أيضاً.

---

(١) مقدمة ديوانه: ٨.

(٢) فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٢.

ويعود بعد جهد إلى القاهرة ليعيد فتح كتّابه، واستقر بها إلى حين وفاته سنة ٦٩٦هـ.

مذهبه وتصوفه: وقف من المذاهب الدينية موقفاً وسطاً فلم ير بأساً في أن ينظم القضاء في مصر بأن يكون أربعة قضاة للشافعية، وللحنفية وللمالكية وللحنابلة، ونظر إلى الأمر أنه من باب التوسعة، والتيسير على الناس. أما بنو أمية فوقف منهم موقف العداء واتهمهم باضطهاد بني هاشم وآل البيت، وفي الوقت ذاته رفض موقف غلاة الشيعة في سبهم للصحابة، وقد عبر عن حبه لأصحاب النبي ﷺ. أما موقفه من الصوفية، فمؤيد لهم بل كان ينافح عنهم ويرد على خصومهم، ويرى أن الشاذلي قطب الزمان وغوثه وإمامه، ومدح أبا العباس المرسي وهو تلميذ الشاذلي، ولكنه مع ذلك لم يبلغ مرتبة عالية في التصوف، ولو أن أثرها واضح في شعره.

شعره: تغلب العاطفة الدينية على شعره، خصوصاً في مدائحه النبوية، لا سيما **البُردة والهمزية** فضلاً عن قصائده الأخرى، وأخص بالذكر تلك التي يهجو فيها النصارى واليهود. وتمتاز تلك القصائد بقوة الأسلوب، وحسن الصياغة، وجمال الصورة. كما تمتاز مدائحه بحسن اختياره للألفاظ، مع تلاعب واضح على سبيل التورية في بعض الأحيان.

أما الأغراض الأخرى فلا نجد لها أثراً، سوى بعض مقطوعات فيها مداعبات عابرة، أو حديث عن الطبيعة ضمن إطار المدح.

وجاء في فوات الوفيات[١] أن البوصيري كان قد أصيب بفالج أبطل نصفه، ففكر في عمل قصيدته **البردة** وتوسل بها إلى الله تعالى، ثم نام فرأى النبي ﷺ فمسح على وجهه وألقى عليه بُردة، فانتبه ووجد في نفسه نهضة فقام وخرج من البيت ولم يخبر أحداً، فالتقاه بعض الفقراء فقال له: «أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ». ثم قال الفقير. بعد أن ذكر أول القصيدة: «والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ، فرأيته يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردةً». فأعطاه البوصيري القصيدة فشاع الخبر إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا فبعث فأخذ القصيدة وحلف لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس ومما يروى أيضاً أن سعد الدين الفارقي الموقّع أصابه رَمَدٌ فرأى في المنام من يقول له: «اذهب إلى

---

(١) ٣/٣٦٨.

الصاحب وخذ البُردة واجعلها على عينيك فتعافى بإذن الله عز وجل»، فأتى الصاحب وأخبره بما رأى ولم يعرف أن البردة هي القصيدة، ثم تذكرها فأخرج القصيدة المذكورة وأخذها سعد الدين فوضعها على عينيه فعوفي، ومنذ ذلك الوقت سميت البردة.

ومما قاله[1] أحمد شوقي في البوصيري:

المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ	لصاحب البردةِ الفيحاء ذي القدمِ
الله يشهد أني لا أعارضُه	من ذا يعارض صوبَ العارضِ العرمِ
وإنما أنا بعض الغابطين ومَن	يغبطْ وليّك لا يُذمَمْ ولا يُلَمِ
مديحه فيك حُبٌ خالصٌ وهوىً	وصادقُ الحب يُملي صادق الكلم

(١) ديوانه: ١/ ١٥٠. من قصيدة شوقي «نهج البُردة».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة، الرُّحلة الفهامة، تاج الأدباء، وواحد الفضلاء، مفيد الطالبين، وعمدة المحققين، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حَيَّاني بن صَنهاج بن مَلاك الصَّنهاجيّ الحَبْنُونيّ البُوَيْصيريّ أو الأبوصيريّ أو البوصيريّ، ثم الدِّلاَصي رحمه الله، يمدح سيد الكونين، نبيّ الساعة، وصاحب الشفاعة، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، محمد بن عبد الله ﷺ: [الخفيف]

قافية الهمزة

يا سماء

كيف تَرقَى رُقِيَّكَ الأنبياءُ ... يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ
لَمْ يُساوُوك في عُلاكَ وقَدْ حا ... لَ سناً مِنك دونَهم وسَناءُ[1]
إنما مَثَّلوا صِفاتِك للنا ... سِ كما مثَّلَ النجومَ الماءُ[2]
أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَصْـ ... ـدُرُ إلا عن ضَوئِكَ الأضواءُ
لكَ ذاتُ العلومِ من عالِمِ الغَيْـ ... ـبِ ومنها لآدمَ الأسماءُ
لم تَزَلْ في ضمائرِ الكونِ تختا ... رُ لك الأُمهاتُ والآباءُ
ما مضتْ فترةٌ من الرُّسْلِ إلاَّ ... بَشَّرَتْ قومَها بِكَ الأنبياءُ
تتباهى بكَ العصورُ وَتَسْمو ... بكَ علياءُ بعدَها علياءُ
وبَدا للوجودِ منك كريمٌ ... من كريمٍ آباؤه كُرَماءُ
نَسَبٌ تَحسِبُ العُلاَ بِحُلاهُ ... قَلَّدَتْها نجومَها الجَوزاءُ[3]

(١) السّنا: الضوء. السّناء: الرفعة.

(٢) مَثّل: صوّر.

(٣) الجَوزاء: برج في السماء.

حبذا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخارٍ أنتَ فيه اليتيمةُ العَصْماءُ[1]
ومُحَيَّا كالشمس منكَ مُضِيءٌ أسْفَرَتْ عنه ليلةٌ غَرّاءُ[2]
ليلةُ المولدِ الذي كان للدِّيـ نِ سرورٌ بيومِهِ وازْدِهاءُ[3]
وتوالَتْ بُشْرَى الهواتفِ أن قدْ وُلِدَ المصطفى أو حُقَّ الهَناءُ
وتَداعَى إيوانُ كِسْرَى ولَوْلاَ آيةٌ مِنكَ ما تَداعَى البِناءُ[4]
وغَدَا كلُّ بيتِ نارٍ وفيهِ كُرْبَةٌ مِنْ خُمودِها وبَلاءُ[5]
وعيونٌ لِلْفُرْسِ غارَتْ فهل كا نَ لنيرانِهِمْ بها إطْفاءُ
مَوْلِدٌ كان منهُ في طالعِ الكُفْـ رِ وَبالٌ عليهِمُ ووَباءُ[6]
فهنيئاً به لآمِنَةَ الفَضْـ ل الذي شُرِّفَتْ به حوّاءُ[7]
مَنْ لحوّاءَ أنها حملَتْ أحْـ مَدَ أو أنها به نُفَساءُ
يومَ نالت بِوَضْعِهِ ابنةُ وَهْبٍ مِنْ فَخارٍ ما لم تَنَلْه النِّساءُ
وَأَتَتْ قومَها بأفضلِ مما حَمَلَتْ قبلُ مريمُ العذراءُ[8]
شمَّتَتْه الأملاك إذ وضَعَتْهُ وشَفَتْنا بِقَوْلِها الشِّفاءُ[9]
رافعاً رأسَه وفي ذلك الرّفْـ عِ إلى كل سُؤْدُدٍ إيماءُ[10]
رامِقاً طَرْفُه السماءَ ومَرْمَى عينِ مَنْ شأنُهُ العُلُوُّ العَلاءُ[11]
وتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجومِ إليهِ فأضاءت بِضوئها الأرجاءُ
وتراءتْ قصورُ قَيْصَرَ بالرُّو مِ يَراهَا مَنْ دارُهُ البَطْحاءُ[12]
وَبَدَتْ في رَضاعِهِ مُعْجِزاتٌ لَيْس فيها عنِ العيونِ خَفاءُ

---

(١) السُّؤدد: السيادة. العَصماء: يريد البيضاء.
(٢) ليلة غَرّاء: يعني مضيئة. أسفرت: أضاءت، ويريد ليلة مولده صلى الله عليه وسلم.
(٣) الازدهاء: الاستخفاف والطرب.
(٤) تداعى الإيوان: انقضّ.
(٥) يشير إلى انطفاء نيران المجوس ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) الوبال: الشدة والثقل.
(٧) آمنة بنت وَهب هي والدة النبي صلى الله عليه وسلم.
(٨) يفضِّل النبي محمداً صلى الله عليه وسلم على عيسى ابن مريم عليه السلام.
(٩) التشميت للعاطس إذا حمد الله، أن يُقال له: رحمك الله. والشفاء: قابلة النبي، أم عبد الرحمن ابن عوف.
(١٠) السؤدد: السيادة. إيماء: إشارة.
(١١) الرامِق: الفاعل من رمق أي لحظ لحظاً خفيفاً.
(١٢) البَطحاء: مَسِيل واسع فيه دقاق الحصى، ويريد مكة المكرّمة، وما حولها.

إِذْ أَبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعَاتٌ قُلْنَ ما في اليتيم عَنَّا غَنَاءُ[1]
فأتته من آلِ سعدٍ فتاةٌ قد أبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ[2]
أرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا وَبنيها ألبانَهُنَّ الشَّاءُ
أصْبَحَتْ شُوَّلاً عِجافا وأمْسَتْ ما بِها شائلٌ ولا عَجْفاءُ[3]
أخْصَبَ العَيْشُ عِنْدَها بعدَ مَحْلٍ إذْ غَدَا للنبيِّ منها غِذاءُ
يالَها مِنَّةً لقدْ ضُوعِفَ الأجـ ـرُ عليها من جِنْسِها والجزاءُ
وإذا سَخَّرَ الإلهُ أُناساً لسعيدٍ فإنهم سُعَدَاءُ
حَبَّةٌ أنبَتَتْ سَنابِلَ والعَصْفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ[4]
وَأَتَتْ جَدَّهُ وقد فَصَلَتْهُ وبِهَا مِنْ فِصَالِهِ البُرَحَاءُ[5]
إذ أحاطتْ به ملائكةُ اللهِ فظَنَّتْ بأنهم قُرَنَاءُ[6]
ورأى وَجْدَها به ومِنَ الوَجْدِ لهيبٌ تصْلَى بِهِ الأحْشَاءُ[7]
فَارَقَتْهُ كُرْهاً وكان لَدَيْهَا ثاوِياً لا يُمَلُّ مِنْهُ الثَّواءُ[8]
شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخرِجَ مِنْهُ مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سوداءُ
خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأمِينِ وقد أو دِعَ ما لم تُذَعْ له أنْبَاءُ[9]
صانَ أسرارَه الخِتَامُ فلا الفَضْـ ـضُ مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الإفضاءُ[10]
أَلِفَ النُّسْكَ والعبادةَ وَالخَلْـ ـوَةَ طِفْلاً وهكذا النُّجَبَاءُ[11]
وإذا حَلَّتِ الهِدَايَةُ قَلْباً نَشِطَتْ في العبادةِ الأعضاءُ
بعَثَ اللهُ عندَ مَبْعَثِهِ الشُّهُبَ حِراساً وضاقَ عنها الفضاءُ

---

(١) أبَتْه: لم تَقْبلْه، أي لم تقبل بإرضاعه لأنه يتيم لا يستفادُ منه.

(٢) الفتاة هي حليمة السعدية مُرضعة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) يُقال: شَوَّل لبن الناقة إذا نقص. العَجفاء: الأرض لا خير فيها. والعَجْفاء: القليلة السِّمَن وجمعه عِجاف، وهذا ما أراده.

(٤) العَصْف من الزرع: حُطام التِّبن ودُقاقه. استشرفَ الشيءَ: رفع رأسَه ينظر إليه.

(٥) البُرَحاء: الأذى الشديد، والمشقة. جده: يعني عبد المطلب بن هاشم.

(٦) قُرناء: جمع قَرين وهو المِثل، وأراد الشياطين المرافقين.

(٧) تصلى به: تحترق.

(٨) الثواء: الإقامة.

(٩) الأمين: يعني جبريل عليه السلام.

(١٠) الفضّ: الكسر. الإفضاء: الإشاعة.

(١١) النُّجَباء: جمع النجيب أي الكريم.

تَطْرُدُ الجِنَّ عن مقاعدَ للسَّمْعِ ... كما تَطْرُدُ الذِّئابَ الرِّعاءُ
فَمَحَتْ آيةُ الكَهانةِ آيا ... تٌ مِنَ الوحْيِ ما لَهنَّ امِّحاءُ
ورأتْهُ خديجةٌ وَالتُّقَى والزّ ... هْدُ فيه سجيَّةٌ والحياءُ(١)
وأتاها أنَّ الغَمامةَ والسَّرْ ... حَ أظلَّتْهُ منهما أفياءُ(٢)
وأحاديثُ أنَّ وَعْدَ رسولِ اللهِ ... بالبعثِ حانَ منه الوفاءُ
فدَعَتْهُ إلى الزواجِ وما أحْـ ... ـسنَ ما يبلغُ المُنَى الأذكياءُ
وأتاهُ في بيتها جَبْرَئيلٌ ... ولِذِي اللُّبِّ في الأُمورِ ارْتِياءُ(٣)
فأماطت عنها الخِمارَ لِتَدْرِي ... أهُوَ الوحْيُ أم هو الإغماءُ(٤)
فاختفى عند كشفِها الرأسَ جُبْريلُ ... فما عادَ أو أُعيدَ الغِطاءُ
فاستبانت خديجةٌ أنه الكنْـ ... ـزُ الذي حاوَلَتْه والكِيمِيَاءُ(٥)
ثم قامَ النبيُّ يدعو إلى اللهِ ... وفي الكُفرِ نَجْدَةٌ وإباءُ(٦)
أُمَمًا أُشْرِبَتْ قلوبُهُم الكُفْـ ... ـرَ فَدَاءُ الضَّلالِ فيهم عَيَاءُ
ورأينا آياتِه فاهتَدَيْنا ... وإذا الحقُّ جاء زالَ المِراءُ(٧)
رَبِّ إنَّ الهُدَى هُداك وَآيا ... تُكَ نورٌ تَهْدِي بها من تشاءُ
كم رأَيْنا ما ليس يَعْقِلُ قد أُلْـ ... ـهِمَ ما لَيْسَ يُلْهَمُ العُقلاءُ
إذ أبى الفيلُ ما أتى صاحبُ الفيلِ ... ولم ينفعِ الحِجا والذكاءُ(٨)
والجماداتُ أفصحت بالذي أُخْرِ ... سَ عنه لأحمدَ الفُصَحاءُ
ويحَ قومٍ جَفَوا نَبِيًّا بأرضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبابُها والظِّباءُ(٩)

---

(١) خديجة هي بنت خُويلد، التي تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو في الخامسة والعشرين. والسَّجِيَّة: الطبيعة.

(٢) السَّرح: الشجر الكبير: أفياء: جمع فيء. ظِل. وفي البيت إشارة إلى الغمامة التي أظلّت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى الشام.

(٣) ارتياء: نظر، تفكر.

(٤) أماطت الخِمار: أزاحت الغِطاء.

(٥) الكيمياء: الإكسير.

(٦) النجدة: الشدة.

(٧) المِراء: الشك.

(٨) صاحب الفيل: أبرهة الحبشي، الذي هاجم الكعبة بالفيلة، وأراد تهديمها، فامتنع الفيل «محمود» عن التقدم نحو الكعبة، الحِجا: العَقل.

(٩) الضِّباب: جمع الضَّب، وهو حيوان صحراوي صغير الحجم.

وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إليه وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغرباءُ[1]
أخرجوه منها وآواهُ غارٌ وَحَمَتْهُ حمامةٌ وَرقاءُ
وَكَفَتْه بنسجها عنكبوتٌ ما كفَتْهُ الحمامةُ الحَصْداءُ[2]
وَاختفى منهمُ على قُرْبِ مَرْآ هُ وَمن شِدَّةِ الظهورِ الخَفاءُ
وَنحا المصطفى المدينةَ وَاشتا قتْ إليه من مكّةَ الأنحاءُ
وَتغنّتْ بِمَدحِه الجِنُّ حتّى أطرَبَ الإنسَ منه ذاك الغِناءُ
واقتفى إثرَهُ سُراقَةُ فاستَهْ وتْهُ في الأرْضِ صافِنٌ جَرْداءُ[3]
ثم زداهُ بعدَ ما سِيمَتِ الخَسْ فَ وَقد يُنجِدُ الغريقَ النِّداءُ[4]
فطوَى الأرضَ سائرا وَالسموا تِ العُلا فوقَها له إسراءُ[5]
فصِفِ الليلةَ التي كان للمُخْ تارِ فيها على البُراقِ استِواءُ[6]
وترقى به إلى قابِ قَوْسَيْ نِ وَتلكَ السيادةُ القَعْساءُ[7]
رُتَبٌ تَسْقُطُ الأمانيُّ حَسْرَى دونَها ما وراءَهنّ وَرَاءُ
ثم وَافَى يحَدِّثُ الناسَ شُكْرًا إذ أتته من ربِّه النَّعْماءُ
وَتَحَدَّى فارتابَ كلُّ مريبٍ أوَ يَبْقَى مع السُّيولِ الغُثاءُ[8]
وَهْوَ يدعو إلى الإلٰه وَإن شَـ قَّ عليه كفرٌ به وَازدِراءُ
وَيدُلُّ الورَى على الله بالتَّوْ حيدِ وَهوَ المَحَجّةُ البَيْضاءُ[9]
فَبِمَا رحمةٍ مِنَ الله لانَتْ صَخرةٌ مِنْ إبائِهم صَمّاءُ

---

(١) قَلَوْه: كرهوه. وحنين الجِذْع: إحدى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك حين صنع له منبر، وكان يقف على الجذع يخطب، فلما تركه وصعد المنبر سمع له حنين شوقاً إلى النبي، فالتمسه حتى هدأ. وأراد بالغُرباء أهل المدينة.

(٢) الحمامة الحصداء: الحمامة الكثيرة الريش.

(٣) سُراقة هو ابن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أخرجه أبو سفيان في إثر النبي فكبا به جواده. أسلم سنة ٨هـ. ومات سنة ٢٤هـ، والصافن: الجواد الذي يقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة، ويريد الجواد الكريم. الفرس الجرداء: أي القليلة الشعر ويريد الكريمة أيضاً.

(٤) سيمت الخَسف: أوشكت أن يُخسف بها وتغوص في الرمال لتبتلعها الأرض.

(٥) الإسراء: السير ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

(٦) البُراق: دابة حملت النبي صلى الله عليه وسلم في إسرائه. استواء: استقرار.

(٧) القعساء: الثابتة، قوله: إلى قاب قوسين يريد القُرب. وما جاء في الآية الكريمة ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ فالمراد هنا جبريل عليه السلام.

(٨) غُثاء السيل: ما يحمله السيل من قش وغيره يطفو على سطح الماء.

(٩) الورى: الخَلق: المحجّة: الطريقة.

وَاسـتـجـابَـتْ لـه بـنـصـرٍ وَفَـتْـحٍ ... بـعـد ذاكَ الـخـضـراءُ وَالـغـبـراءُ[1]
وَأطـاعَـتْ لأمْـرِهِ الـعَـرَبُ الـعَـرْ ... بـاءُ وَالْـجـاهِـلِـيَّـةُ الْـجَـهـلاءُ
وتَـوالَـتْ لـلـمـصـطفى الآيـةُ الـكبْـ ... ـرَى عـلـيـهِـمْ وَالـغـارةُ الـشَّـعْـواءُ
فـإذا مـا تـلا كـتـابـاً مـن الـلّـ ... ـهِ تَـلَـتْـهُ كَـتِـيـبَـةٌ خـضـراءُ[2]
وَكـفـاهُ الـمـسـتـهـزئـيـنَ وَكـم سـا ... ءَ نـبـيّـاً مـن قـومِـه اسـتـهـزاءُ
وَرمـاهـم بِـدَعْـوَةٍ من فِـنـاءِ الـ ... ـبَـيـتِ فـيـهَـا لـلـظـالـمـين فَـنَـاءُ
خـمـسـةٌ كُـلُّـهـم أصـيـبـوا بـداءٍ ... وَالـرَّدَى مـن جـنـودِهِ الأدْوَاءُ
فـدَهـى الأَسـودَ بـنَ مُـطَّـلِـبٍ أَيُّ ... عـمـىً مَـيِّـتٌ بـه الأَحـيـاءُ
وَدَهَـى الأَسـودَ بـنَ عـبـدِ يـغـوثٍ ... أنْ سَـقـاهُ كـأسَ الـرَّدَى اسْـتِـسْـقاءُ[3]
وَأصـابَ الـولـيـدَ خَـدْشَـةُ سَـهْـمٍ ... قَـصَّـرَتْ عـنـهـا الْـحَـيَّـةُ الـرَّقْـطاءُ[4]
وَقَـضَـتْ شَـوْكَـةٌ عـلـى مُـهْـجَـةِ الـعَا ... صِـي فَـلِـلّـهِ الـنَّـقْـعَـةُ الـشَّـوْكَـاءُ[5]
وعَـلاَ الْـحـارِثَ الْـقُـيُـوحُ وَقـد سـا ... لَ بِـهـا رأسُـه وَسـاءَ الـوِعـاءُ
خـمـسـةٌ طُـهِّـرَت بِـقَـطْـعِـهِـم الأَرْ ... ضُ فَـكَـفُّ الأذى بـهـم شَـلاَّءُ
فُـدِيَـتْ خـمـسـةُ الـصَّـحـيـفـةِ بـالـخـمـ ... ـسـةِ إن كـان بـالـكـرام فِـدَاءُ
فِـتْـيَـةٌ بَـيَّـتُـوا عـلـى فِـعـلِ خَـيْـرٍ ... حَـمِـدَ الـصـبـحُ أمـرَهـم وَالـمَـسـاءُ
يَـا لأَمـرٍ أتـاهُ بـعـدَ هِـشـامٍ ... زَمْـعَـةٌ إنـه الـفـتـى الأَتّـاءُ
وَزُهَـيـرٌ وَالـمُـطْـعِـمُ بـنُ عَـدِيٍّ ... وَأبـو الـبَـخْـتَـرِيِّ مِـنْ حـيـث شـاؤوا
نَـقَـضُـوا مُـبْـرَمَ الـصَّـحـيـفـةِ إذْ شُـ ... ـدَّتْ عـلـيـهـم مـن الـعِـدا الأنـداءُ[6]

---

(١) الخضراء والغبراء: أي السماء والأرض.

(٢) الكتيبة الخضراء: المدَجَّجة بالسلاح.

(٣) والخبر أن خمسة من قريش اجتمعوا وهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، ورجل اسمه المطَّلِب، فتوجه القوم في نفر من مشيخة قريش إلى أبي طالب وسألوه أن يكلم النبي في أمر دعوته، فأجابهم النبي حينها: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها».

(٤) الوليد: هو الوليد بن المغيرة.

(٥) النَّقعة: الموت: المُهجة: الروح، أو بقية الدم في القلب.

(٦) الذين نقضوا صحيفة قريش هم: هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، والبختري بن هشام، وزَمْعة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد، وكانت قريش قد عقدت العزم بموجب تلك الصحيفة على مقاطعة النبي ومن معه من آل هاشم وغيرهم.

أَذْكَرَتْنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مِنْسَا ... ةِ سُلَيمانَ الأَرَضَةُ الخَرساءُ(١)
وَبِهَا أَخبرَ النبيُّ وكم أخـ ... ـرَجَ خَبْئاً له الغُيُوبُ خِبَاءُ(٢)
لا تَخَلْ جانِبَ النبيِّ مُضَاماً ... حينَ مَسَّتْهُ منهمُ الأسْواءُ
كلُّ أمرٍ نابَ النبيِّين فالشِّـ ... ـدةُ فيه محمودةٌ وَالرَّخاءُ
لو يَمَسُّ النُّضارَ هُونٌ مِنَ النا ... رِ لما اختِيرَ للنُّضارِ الصِّلاءُ(٣)
كم يَدٍ عن نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللهُ ... وَفي الخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجتراءُ
إذ دعا وَحْدَهُ العِبَادَ وَأَمْسَتْ ... مِنه في كلِّ مُقْلَةٍ أقْذاءُ(٤)
هَمَّ قومٌ بِقَتْلِهِ فأبَى السَّيْـ ... ـفُ وَفاءً وَفاءَتِ الصَّفْواءُ(٥)
وَأَبو جهلٍ إذ رأى عُنُقَ الفَحْـ ... ـلِ إليه كأنه العنقاءُ(٦)
وَاقتضَاهُ النبيُّ دَيْنَ الإراشِيِّ ... وَقد سَاءَ بيعُهُ وَالشِّرَاءُ(٧)
ورأى المصطفى أتاهُ بما لَمْ ... يُنجِ منه دونَ الوفاء النَّجَاءُ
هوَ ما قد رآهُ مِن قبلُ لكنْ ... ما عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الخَطَاءُ
وَأَعدَّتْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ الفِهْـ ... ـرَ وَجَاءَتْ كأنها الوَرْقَاءُ(٨)
يومَ جاءَت غَضبَى تقولُ أفي مِثْـ ... ـلِيَ مِنْ أحمدٍ يُقَالُ الهِجَاءُ
وَتولَّتْ وَمَا رأته وَمِن أينَ ... تَرَى الشمسَ مُقْلَةٌ عمياءُ
ثم سَمَّتْ له اليهوديَّةُ الشا ... ةَ وَكم سَامَ الشِّقْوَةَ الأَشْقِيَاءُ
فأذاعَ الذِّراعُ مَا فيه مِن شرٍّ ... بِنُطْقٍ إخفَاؤُهُ إبداءُ
وَبِخُلْقٍ مِنَ النبيِّ كريم ... لَمْ تُقَاصَصْ بِجرحِهَا العَجْمَاءُ(٩)
مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إذ كا ... نَ له قبلَ ذاكَ فيهم رِبَاءُ(١٠)

---

(١) المنساة: العصا، وسليمان: النبي عليه السلام، فشأن الصحيفة التي أكلتها الأرض كشأن عصا النبي سليمان.
(٢) الخَبأ: المخبوء.
(٣) الهون: الإهانة. النُضار: الذهب. الصِّلاء: الإلقاء على النار.
(٤) أقذاء: جمع قذى وهو ما يسقط في العين من غبار أو غيره.
(٥) فاءت: رجعت. الصفواء: جمع صفاة وهي الحجارة.
(٦) العَنقاء: الداهية، وطائر خُرافي ضخم.
(٧) الإراشي: رجل باع أبا جهل إبلاً فماطله في دفع ثمنها. واقتضاه: طلب منه.
(٨) حمّالة الحطب، أي: زوجة أبي لهب. الفهر: الحجر يملأ الكف. الوَرقاء: الحمامة.
(٩) العَجماء: البهيمة.
(١٠) هوازن: قبيلة. رِباء: تربية.

وَأتَى السَّبيُ فيه أُختُ رَضَاعٍ ... وَضَعَ الكُفرُ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ[1]
فَحبَاهَا بِرًّا تَوَهَّمَتِ النَّا ... سُ بِه أنَّما السِّبَاءُ هِداءُ[2]
بَسَطَ المصطفى لها مِن رِداءٍ ... أيَّ فَضلٍ حَوَاهُ ذاكَ الرِّداءُ
فَغَدَتْ فيه وَهيَ سَيِّدَةُ النِّسْـ ... ـوَةِ وَالسَّيِّداتُ فيه إمَاءُ
فَتَنَزَّهْ في ذاتِه وَمَعَانيـ ... ـهِ استماعاً إنْ عَزَّ مِنها اجتِلاءُ[3]
وَاملإِ السَّمْعَ مِن مَحاسنَ يُمْليـ ... ـهَا عليكَ الإنشادُ وَالإنشَاءُ
كلُّ وَصْفٍ له ابتَدأتَ به استَوْ ... عَبَ أخبَارَ الفضلِ مِنه ابتِداءُ
سَيِّدٌ ضِحكُهُ التَّبَسُّمُ وَالمَشْـ ... ـيُ الهُوَيْنَا وَنومُهُ الإغفَاءُ
مَا سِوَى خُلْقِهِ النسيمُ وَلا غَيْـ ... ـرَ مُحَيَّاهُ الرَّوضَةُ الغَنَّاءُ
رحمةٌ كلُّه وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ ... وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
لا تَحُلُّ البأسَاءُ مِنه عُرَا الصَّـ ... ـبْرِ وَلا تَستَخِفُّهُ السَّرَّاءُ
كَرُمَتْ نَفسُهُ فما يَخطُرُ السُّو ... ءُ عَلَى قَلبِهِ وَلا الفحشَاءُ
عَظُمَتْ نِعمَةُ الإلهِ عليه ... فاستَقَلَّتْ لِذِكرِه العُظَمَاءُ
جَهِلَتْ قومُهُ عليه فأَغضَى ... وَأخو الحِلمِ دأبُه الإغضَاءُ
وَسِعَ العَالَمِينَ عِلماً وَحلماً ... فهو بحرٌ لم تُعيِهِ الأَعبَاءُ
مُستقِلٌّ دُنيَاكَ أنْ يُنسَبَ الإمساكُ ... مِنها إليه والإعطَاءُ
شمسُ فضلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فيه ... أنه الشمسُ رِفعَةً والضِّيَاءُ
فإذا ما ضَحا محا نورُه الظِّـ ... ـلَّ وقد أثبَتَ الظِّلالَ الضَّحَاءُ[4]
فكأنَّ الغَمامةَ استَودَعَتْهُ ... مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَفَاءُ[5]
خَفِيَتْ عِندَهُ الفضائلُ وانجا ... بَتْ به عن عقولِنا الأهواءُ
أمَعَ الصُّبحِ للنجومِ تَجَلٍّ ... أمْ مع الشمسِ للظلامِ بَقَاءُ
معجزُ القَوْلِ والفِعالِ كريمُ الْخَلْـ ... ـقِ وَالخُلُقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ
لا تَقِسْ بالنبيِّ في الفضلِ خَلْقاً ... فهو البحرُ والأنامُ إضَاءُ[6]

---

(١) أخت الرّضاع، هي أخت النبي بالرّضاعة واسمها الشّيماء: السِّباء: الأسر.
(٢) الهِداء: تقديم العروس إلى زوجها.
(٣) الاجتلاء: النظر.
(٤) الضَّحاء: قُرب انتصاف النهار.
(٥) الدَّفيف: السير اللين، والدُّفَفاء: الذين يسيرون ذلك السير، ويريد: مرافقيه.
(٦) الأنام: الناس. إضاء: جمع أضاة: المستنقع من سيل وغيره.

كلُّ فضلٍ في العَالَمينَ فمن فَضـ
لِ النبيِّ استعارهُ الفُضَلاءُ

شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وشُقَّ لَهُ البَدْ
رُ وَمِنْ شَرْطِ كلِّ شَرْطٍ جَزاءُ[1]

وَرَمَى بالحصَى فأقْصَدَ جَيْشاً
ما العَصَا عِنْدَهُ وَمَا الإلقَاءُ[2]

ودعا للأنام إذ دَهَمَتْهمُ
سَنَةٌ مِنْ مُحولِها شَهْبَاءُ[3]

فاسْتَهَلَّتْ بالغَيْثِ سَبْعَةَ أيَّا
مٍ عليهم سحابةٌ وَطْفاءُ[4]

تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّعْيِ وَالسَّقـ
يِ وحيثُ العِطاشُ تُوهَى السِّقاءُ[5]

وَأتى الناسُ يَشْتَكُونَ أذاها
وَرَخَاءٌ يُؤذِي الأنامَ غَلاءُ

فَدَعَا فانجَلَى الغَمَامُ فَقُلْ في
وَصْفِ غَيْثٍ إقلاعُه استسقاءُ

ثم أثْرَى الثَّرَى فقرَّت عيون
بقُراهَا وَأُحْيِيَتْ أحياءُ[6]

فترى الأرضَ غِبَّهُ كسماءٍ
أشْرَقَتْ مِنْ نُجومِهَا الظَّلْمَاءُ

تُخْجِلُ الدُّرَّ واليواقيتَ من نو
رِ رُبَاها البَيْضاءُ والحَمراءُ[7]

لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَةِ وَجْهٍ
زَالَ عن كلِّ من رآه الشقاءُ

مُسْفِرٌ يَلْتَقِي الكتيبةَ بَسَّا
ماً إذا أسْهَمَ الوُجُوهَ اللِّقاءُ[8]

جُعِلَتْ مَسْجِداً له الأرضُ فاهتزَّ
بِهِ للصلاةِ فيها حِرَاءُ[9]

مُظْهِرٍ شَجَةَ الجبينِ عَلَى البُرْ
ءِ كما أظهرَ الهلالَ البَرَاءُ[10]

سُتِرَ الحُسْنُ منه بالحسنِ فاعجَبْ
لجمالٍ له الجمالُ وِقاءُ

فهْوَ كالزَّهرِ لاحَ من سَجَفِ الأكـ
مامِ وَالعودِ شُقَّ عنه اللِّحاءُ[11]

كَادَ أنْ يُغشِيَ العيُونَ سناً مِنْـ
هُ لِسِرٌّ فيه حَكَتْهُ ذُكاءُ

صانَهُ الحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أنْ تَظْـ
هِرَ فيه آثارها البأساءُ

---

(١) شَرَط: شقّ. وأراد تورية.
(٢) رمى فأقصد: أي رمى فقتل.
(٣) سنةٌ شَهباء: لا خضرة فيها أو لا مطر.
(٤) استهل المطر: اشتد انصبابه. وطفاء: أي مُسترخية لكثرة مائها، أو هي الدائمة السَّحّ.
(٥) تتحرى: تتبع. السِّقاء: القِربة.
(٦) الأحياء: جمع الحي وهو البطن من بطون العرب.
(٧) النَّوْر: الزَّهر الأبيض.
(٨) أسهم الوجوهَ: غير الوجوه.
(٩) حِراء: جبل بمكّة كان يتحنث في النبي صلى الله عليه وسلم.
(١٠) البَراء: أول ليلة أو يوم من الشهر، أو آخرها أو آخره.
(١١) السَّجَف: الستر. الأكمام: جمع كم: وعاء الزهر. اللماء: قشر الشجر.

وتَـخَـالُ الـوجـوهَ إنْ قـابـلَـتـهُ ... ألْـبَـسَـتْـهَـا ألْـوانَـهَـا الـحِـرْبـاءُ
فـإذا شِـمْـتَ بِـشْـرَهُ وَنَـدَاه ... أذْهَـلَـتْـكَ الأنْـوارُ والأنْـواءُ
أَوْ بِـتَـقْـبِـيلِ راحـةٍ كـانَ لله ... وبـالله أخْـذُهـا والـعَـطـاءُ
تَـتَّـقِي بَأْسَهَا الـمـلوكُ وَتَـحْـظَـى ... بـالـغِـنَـى مِـن نَـوالِـهـا الـفُـقَـراءُ
لا تَـسَلْ سَيلَ جُودِها إنما يَـكْـ ... ـفِيك مِنْ وكْفِ سُحْبِها الأنداءُ[1]
دَرَّتِ الـشـاةُ حِـيـنَ مَـرَّتْ عَـلَـيـهـا ... فـلـهـا ثَـرْوَةٌ بِـهـا وَنَـمـاءُ
نَـبَـعَ الـمـاءُ أثْـمَـرَ الـنـخـلُ فـي عـا ... مٍ بها سَبَّحَتْ بها الحصباءُ[2]
أحْيَتِ الـمُـرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جهدٍ ... أعْـوَزَ الـقَـوْمَ فـيـه زادٌ وماءُ[3]
فَـتَـغَـذّى بـالـصّـاعِ ألْـفٌ جِـيـاعٌ ... وتَـرَوّى بـالـصّـاعِ ألْـفٌ ظِـمَـاءُ
وَوَفَـى قَـدْرُ بَـيْـضَـةٍ مِـنْ نُـضَـارٍ ... دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حانَ الوفاءُ[4]
كـانَ يُـدْعَـى قِـنّـاً فـأُعْـتِـقَ لَـمّـا ... أيْـنَـعَـتْ مِـنْ نَـخِـيـلِـه الأقْـنَاءُ[5]
أفـلا تَـعْـذُرُون سَـلْـمَـانَ لَـمّـا ... أنْ عَـرَتْـه مِـنْ ذِكْـرِهِ الـعُـرَوَاءُ[6]
وَأَزَالَـتْ بِـلَـمْـسِـهَـا كُـلَّ دَاءٍ ... أكْـبَـرَتْـه أطِـبَّـةٌ وَإِسَـاءُ
وعُـيُـونٌ مَـرَّتْ بِـهـا وَهْـيَ رُمْـدٌ ... فَـأَرَتْـهَـا مَـا لَـمْ تَـرَ الـزَّرْقَـاءُ
وأعَـادَتْ عَـلَـى قَـتَـادَةَ عَـيْـنـاً ... فَـهْيَ حتى مماتِه النَّجْلاءُ[7]
أَوْ بِـلَـثْـمِ الـتُّـرابِ مِـنْ قَـدَمٍ لا ... نَتْ حَياءً من مَشْيِها الصَّفْواءُ[8]
مَوْطِىءُ الأخْمَصِ الّذِي منه لِلقَلْـ ... ـبِ إذا مَضْجَعِي أَقَضَّ وِطاءُ[9]
حَظِيَ المسجدُ الحرامُ بِمَمْشَا ... هَا ولم يَنْسَ حَظَّه إيلياءُ[10]
وَرَمَتْ إذْ رَمَى بها ظُلَمَ اللّيـ ... ـلِ إلى الله خوفُه والرجاءُ
دَمِيَتْ في الوَغَى لِتَكْسِبَ طيباً ... ما أراقتْ من الدّمِ الشُّهداءُ

---

(١) الوكف: المطر الشديد. أنداء: جمع ندى.
(٢) الحصباء: الحصى.
(٣) المرمِل: الذي افتقر وافتقد زاده.
(٤) النُضار: الذهب، سلمان: هو سلمان الفارسي.
(٥) الأقناء: جمع القِنو وهو عِذق النخلة، القِن: العبد الرقيق..
(٦) العُرواء: رعدة الحمى.
(٧) النجلاء: الواسعة.
(٨) الصفواء: الصفاة أو الحجارة.
(٩) الأخمص: أسفل القدم.
(١٠) إيلياء: بيت المقدس.

فهيَ قُطْبُ المحرابِ وَالحربِ كم دا — رت عليها في طاعة أرحاءُ(1)
وَأُراهُ لو لم يُسَكِّنْ بها قبـ — ـلُ جراءً ماجَتْ بِهِ الدَّأْماءُ(2)
عَجَباً للكُفّارِ زادوا ضلالاً — بالذي فيه للعقول اهتداءُ
والذي يسألون منه كِتابٌ — مُنَزَّلٌ قد أتاهم وارتقاءُ
أولم يَكفِهِمْ من الله ذِكرٌ — فيه للناس رحمةٌ وشفاءُ
أعْجَزَ الإنسَ آية منه والجنَّ — فَهَلاّ يأتي بها البُلَغاءُ
كلَّ يومٍ تُهدِي إلى سامِعِيه — مُعجزاتٍ من لفظِه القُرّاءُ
تَتَحَلَّى به المسامِعُ والأفواه — فَهو الحُلِيُّ والحَلْواءُ(3)
رَقَّ لَفظاً وراقَ معنىً فجاءَتْ — في حُلاها وحَلْيِها الخَنْساءُ(4)
وأرَتْنا فيه غوامضَ فضلٍ — رِقَّةٌ مِنْ زُلالِها وَصَفاءُ
إنما تُجتَلَى الوُجُوه إذا ما — جُلِيَتْ عَنْ مِرآتِها الأصْداءُ
سُوَرٌ منه أشْبَهَتْ صُوَرًا مِنّا — ومِثْلُ النَّظائرِ النُّظَراءُ
والأقاويلُ عندَهمْ كالتماثيلِ — فلا يُوهِمَنَّكَ الخطباءُ
كم أبانَتْ آياتُهُ من علوم — عن حُروف أبانَ عنها الهِجاءُ(5)
فهي كالحَبِّ والنَّوَى أعجبَ الزُّرَّ — اعَ منهُ سنابلٌ وَزكاءُ(6)
فأطالوا فيه التردُّدَ وَالرَّيـ — ـبَ فقالوا سِحْرٌ وقالوا افتراءُ
وإذا البَيِّنات لَمْ تُغْنِ شيئاً — فالتماسُ الهُدَى بهِنَّ عَناءُ
وَإذا ضلَّتِ العقول على عِلْمٍ — فماذا تقوله الفُصَحاءُ
قومَ عيسى عامَلْتم قومَ موسى — بالذي عامَلَتْكمُ الحُنَفاءُ(7)
صَدَّقوا كُتْبَكم وكذَّبْتُمُ كُتْبَهُمُ — إنّ ذا لَبِئْسَ البَواءُ(8)

(1) أرحاء: جمع رحى: طاحونة. والمحراب: صدر البيت، أو مكان وقوف الإمام في الصلاة.
(2) الدأماء: البحر.
(3) الحُلي: جمع الحَلْي وهو ما يُزَيَّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. والحلواء من الحلو.
(4) الخنساء: من الخَنس، وهو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وهي خنساء وهو أخنس.
(5) الهِجاء: التهجّي.
(6) الزكاء: النماء.
(7) عيسى: أي النبي المسيح ابن مريم. وموسى النبي أيضاً. والحنفاء: يعني المسلمين.
(8) البَواء: السواء والكفء، والإقرار.

لو جَحدنا جُحُودَكم لاستوينا ... أوَ لِلحقِّ بالضَّلالِ استواءُ[١]

مَالَكُمْ إخْوَةَ الكِتابِ أُناساً ... ليس يُرْعَى للحقِّ منكم إخاءُ

يَحْسُدُ الأولُ الأخيرَ وما زا ... لَ كذا المُحْدَثُونَ وَالقُدَماءُ

قد عَلِمتُم بِظلمِ قابيل هابيلَ ... ومظلومُ الإخْوَةِ الأتقياءُ

وسمِعتمْ بكَيْدِ أبناءِ يعقو ... بَ أخاهم وكلُّهم صُلَحاءُ[٢]

حِينَ ألقَوْهُ في غَيابَةِ جُبٍّ ... وَرَمَوْهُ بالإفكِ وَهوَ بَراءُ[٣]

فتأسَّوْا بِمَنْ مَضَى إذْ ظَلَمتمْ ... فالتَّأسِّي لِلنّفسِ فيه عَزاءُ[٤]

أتُراكُمْ وَفَّيْتمُ حينَ خانُوا ... أم تُرَاكُمْ أحْسَنْتُمُ إذ أساءُوا

بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجاهُلِ آبا ... ءُ تَقَفَّتْ آثارَها الأبناءُ[٥]

بَيَّنَتْهُ تَوراتُهُمْ وَالأناجيـ ... ـلُ وَهم في جُحُودِهِ شُرَكاءُ[٦]

إنْ تقولوا ما بَيَّنَتْهُ فما زا ... لَتْ بها عن عيونهم غشْوَاءُ[٧]

أو تقولوا قد بَيَّنَتْهُ فما لِلأُ ... ذْنِ عما تقوله صَمَّاءُ

عَرَفُوهُ وأنكَرُوهُ وَظُلْماً ... كَتَمَتْهُ الشَّهادَةَ الشُّهَدَاءُ

أوَ نُورُ الإلهِ تُطْفِئُهُ الأفـ ... ـواهُ وَهوَ الذي به يُستضاءُ

أوَلا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ ... بِرَحاها عَنْ أمْرِهِ الهَيْجاءُ[٨]

وَكَساهُم ثَوْبَ الصَّغارِ وقد ... طُلَّت دَماً منهم وصِينَتْ دِمَاءُ[٩]

كيف يَهدي الإلهُ منهم قلوباً ... حَشْوُها من حَبِيبِه البَغْضاءُ[١٠]

خَبِّرونا أهلَ الكتابَيْنِ من أيـ ... ـنَ أتاكُمْ تَثْليثُكم والبَداءُ[١١]

مَا أتَى بالعقيدَتَيْنِ كتابٌ ... واعتقادٌ لا نَصَّ فيه ادِّعاءُ

---

(١) الجحد: الإنكار.

(٢) إشارة إلى قتل قابيل لأخية هابيل.

(٣) إشارة إلى ما فعله ابنا يعقوب عليه السلام حين رمَوا أخاهم يوسف عليه السلام في الجب حسداً.

(٤) الإفك: الكذب والافتراء.

(٥) تأسّوا: اقتدوا.

(٦) قوله تقفّت آثارَها الأبناء يعني أنّ الأبناء ساروا على الأثر.

(٧) قوله بيّنَتْهُ أي النبي صلى الله عليه وسلم قد بشّرت به كتبهم فأنكروا ذلك.

(٨) غَشواء: ظلمة.

(٩) الرحى: الطاحونة. الهيجاء: الحرب.

(١٠) الصَّغار: الهوان. طُلّت: أصابها الطّل أي المطر الخفيف. والطُّل: الدم.

(١١) البَداء مصدر بدا له في الأمر بدْواً وبداء: نشأ له فيه رأي.

والدّعاوَى ما لم تقيموا عليها — بَيِّنَاتٍ أبناؤها أدعياءُ(1)
ليت شِعري ذِكرُ الثلاثةِ وَ الوا — حِدِ نَقصٌ في عَدِّكم أم نَماءُ
كيف وَحّدتُم إلٰها نَفى التو — حِيدَ عنه الآباءُ والأبناءُ
أإلٰهٌ مُرَكَّبٌ ما سَمِعنَا — بِإلٰهٍ لذاتِهِ أجزَاءُ
ألِكُلٍّ منهم نَصِيبٌ مِنَ المُلـ — ـكِ فَهَلاّ تَمَيَّزُ الأنصِبَاءُ
أم هُمُ حَلّلُوا بها شِرْكَةَ الأبـ — ـدَانِ أم هُم لِبعضِهِم كُفَلاءُ
أتراهم لحاجةٍ واضطرارٍ — خَلَطُوهَا وما بَغَى الخُلَطَاءُ(2)
أهُوَ الرّاكِبُ الحمارَ فيا عَجْزَ — إلٰهٍ يَمَسُّهُ الإعيَاءُ
أم جميعٌ عَلَى الحمار لقد جَلَّ — حِمَارٌ بِجَمعِهِم مَشّاءُ
أم سِواهم هُو الإلٰهُ فما نِسْبَةُ — عيسى إليه والانتِمَاءُ
أم أردتُم بها الصفاتِ فلم خُصَّتْ — ثَلاثٌ بوصفِهِ وَثِنَاءُ
أم هُو ابنُ الله ما شاركته — في معاني النُّبُوّةِ الأنبياءُ
قتلَتْهُ اليهودُ فيما زَعَمْتُمْ — وَلأمواتِكم به إحياءُ
إنّ قَوْلاً أطلَقتُمُوهُ عَلَى الله — تعالى ذِكرا لَقَولٌ هُراءُ
مِثلَ مَا قالتِ اليهودُ وكلٌّ — لَزِمَتْهُ مقالةٌ شنعاءُ
إذْ هم استقرَءُوا البَداءَ وكم سا — قَ وَبالاً إليهمُ استِقراءُ(3)
وَأَرَاهم لم يَجعلُوا الواحِدَ الـ — ـقَهّارَ في الخَلقِ فاعلاً ما يشاءُ
جَوّزُوا النّسخَ مِثلَمَا جَوّزُوا المَسْخَ — عَلَيْهِم لو أنهم فُقَهاءُ(4)
هُوَ إلاّ أن يُرفَعَ الحكمُ بالحكمِ — وخَلقٌ فيه وأمرٌ سَواءُ
ولِحكمٍ مِنَ الزمانِ انتهاءُ — ولحكمٍ من الزمانِ ابتداءُ
فَسَلُوهم أكان في مسخِهِم نَسْخٌ — لآياتِ الله أم إنشاءُ
وَبَدَاءٌ في قولِهِم نَدِمَ الله — عَلَى خَلقِ آدم أم خَطاءُ
أم مَحَا الله آيةَ الليلِ ذِكراً — بعدَ سَهوٍ ليُوجَدَ الإمساءُ
أم بدا للإلٰهِ في ذَبحِ إسحا — قَ وقد كان الأمرُ فيه مَضاءُ

---

(1) يقول: إن هذه الدعاوى باطلة ولا شيء من الأدلة يثبتها.

(2) الخُلطاء: الشركاء.

(3) يرد في هذه الأبيات وما يليها على اليهود والنصارى الذين زعموا أن الله يغيّر ويبدّل في مشيئته وأحكامه.

(4) جوّزوا: أجازوا. المسخ: تبديل الصورة. والنّسخ: تبديل الحكم.

أو ما حَرَّمَ الإلٰـهُ نِكـاحَ الأُخـ ... ـتِ بعدَ التحليلِ فَهْوَ الزِّناءُ

لا تُكَذِّبْ إنَّ اليَهُودَ وقد زا ... غُوا عن الحقِّ مَعْشَرٌ لُؤَماءُ

جَحَدُوا المصطفى وآمَنَ بالطا ... غُوتِ قومٌ هُمْ عندهمْ شُرَفاءُ(١)

قَتلوا الأنبياءَ واتَّخَذُوا العِجْـ ... ـلَ ألاَ إنهم هم السُّفهاءُ

وسَفيهٌ من ساءَه المَنُّ والسَّلْوَى ... وأرضاهُ الفُومُ وَالقِثَّاءُ(٢)

مُلِئَتْ بالخبيثِ منهم بُطُونٌ ... فَهِيَ نارٌ طِباقُها الأمعاءُ

لو أُرِيدُوا في حالِ سَبْتٍ بخيرٍ ... كان سَبْتاً لديهمُ الأربعاءُ(٣)

هُوَ يومٌ مُبارَكٌ قِيلَ للتصـ ... ـريفِ فيه من اليهود اعتداءُ

فَبِظُلْمٍ منهمْ وكفْرٍ عَدَتْهُمْ ... طَيِّبَاتٌ في تَرْكِهِنَّ ابْتِلاءُ(٤)

خُدِعوا بالمنافقين وهل يَنْـ ... ـفُقُ إلاّ على السفيهِ الشَّقاءُ(٥)

واطمأنُّوا بِقَولِ الأحزاب إخوا ... نِهِمُ إننا لكم أولياءُ

حالَفُوهم وخالفوهم ولمْ أدْ ... رِ لِماذا تخالَفَ الحُلَفاءُ

أسلَمُوهم لأوَّلِ الحشرِ لا ميـ ... ـعادُهم صادقٌ ولا الإيلاءُ(٦)

سكَنَ الرُّعْبُ والخرابُ قلوباً ... وَبُيُوتاً منهم نعاها الجَلاءُ

وبِيَومِ الأحزابِ إذْ زاغتِ الأبْـ ... ـصَارُ فيهم وضَلَّتِ الآراءُ

وتَعَدَّوْا إلى النبيّ حدوداً ... كان فيها عليهم العُدَواءُ(٧)

وَنَهَتْهُم وَما انتهت عنه قوم ... فأُبِيدَ الأَمَّارُ والنُّهاءُ

وتعاطَوْا في أحمدٍ مُنْكَرَ القَوْ ... لِ ونُطْقُ الأراذِلِ العَوْراءُ

كلُّ رِجْسٍ يَزِيدُه الخُلُقُ السُّو ... ءُ سِفاهاً والمِلَّةُ العَوْجاءُ

فانظروا كيف كان عاقبةُ القَوْ ... مِ وَما ساق للبذيّ البَذَاءُ

وجد السَّبَّ فيه سُمّاً ولم يَدْ ... رِ إذ المِيمُ في مواضعَ باءُ

---

(١) الطاغوت: الشيطان، وكل رأس ضلال، وكل ما عُبد من دون الله.

(٢) المَنّ: ضرب من الحلوى أنزله الله على بني إسرائيل في التيه. والسلوى: طير السماني. الفوم: الثوم.

(٣) السّبت: الراحة والقطع.

(٤) عَدَتْهم: فاتتهم.

(٥) يريد أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود.

(٦) الإيلاء: القَسَم. وفعله آلى إذا حلَف.

(٧) العُدَواء: الهلاك.

كانَ مِنْ فيه قتلُه بِيَدَيْهِ ... فهو في فِعله الزَّبَّاءُ[1]

أوْ هُوَ النحلُ قَرْصُهَا يَجْلُبُ الْحَتْـ ... ـفَ إليها وما له إنكَاءُ[2]

صَرَعَتْ قومَهُ حبائِلُ بَغْيٍ ... مَدَّها المكرُ منهم والدَّهاءُ

فأتَتْهُمْ خيلٌ إلى الحرب تختا ... لُ وللخيلِ في الوغى خُيَلاءُ

قَصَدَتْ فيهم القنا فقَوافي الطَّعْنِ ... منها ما شأنُها الإيطاءُ[3]

وأثارَت بأرضِ مكَّةَ نَقعاً ... ظُنَّ أن الغُدُوَّ منها عِشاءُ[4]

أحْجَمَتْ عندَهُ الحَجُون وأكدى ... عِند إعطائه القليلَ كَداءُ[5]

وَدَهَتْ أوْجُهاً بها وبيوتاً ... مُلَّ منها الإكفاءُ والإقواءُ[6]

فَدَعَوْا أحلَمَ البريَّةِ والعفوُ ... جوابُ الحليمِ والإغضاءُ

ناشدوه القُرْبَى التي من قُرَيْش ... قطعَتْها التِّراتُ والشَّحْناءُ[7]

فعَفا عَفوَ قادِرٍ لم يُنغِّصْـ ... ـهُ عليهم بما مضى إغراءُ

وإذا كان القطعُ والوصلُ لله ... تَساوَى التَّقريبُ والإقصاءُ

وسواءٌ عليه فيما أتاهُ ... مِنْ سِواهُ المَلامُ والإطْراءُ

ولَو أنَّ انتقامَهُ لِهَوَى النَّفسِ ... لَدامَتْ قطيعةٌ وَجَفاءُ

قام لله في الأمورِ فأرضَى الـلَّـ ... ـه منه تبايُنٌ وَوَفاءُ

فِعْلُهُ كلُّهُ جميلٌ وهل يَنضَحُ ... إلاّ بما حَوَاه الإناءُ

أطْرَبَ السامعينَ ذِكْرُ عُلاهُ ... يا لَراحٍ مالَتْ بها النُّدَماءُ

النبيُّ الأُمِّيُّ أعلمُ مَنْ أسنَدَ ... عنه الرُّواةُ وَالْحُكَماءُ

وَعَدَتْني ازْدِيارَهُ العامَ وجْنا ... ءُ وَمَنَّتْ بِوَعْدِها الوَجْناءُ[8]

---

(١) الزَّبَّاء: ملكة تدمر واسمها الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسّان بن أذينة بن السميدع، جاهلية قديمة اشتهرت بجمالها وذكائها.

(٢) الحتف: الأجل. الإنكار والنكاية: القتل والجرح، ويريد الأثر العميق.

(٣) القنا: جمع القناة: الرمح. الإيطاء: تكرير القافية في الشعر، وأراد أن لا حاجة لتكرار القتال.

(٤) النَّقع: الغبار.

(٥) الغزوة الحَجون: المُورّى عنها بغيرها.

(٦) الإكفاء في الشّعر: المخالفة بين حروف أواخره. ويريد هاهنا انكفاء تلك الوجوه عن الناس طلباً للحماية، والإقواء في الشعر: اختلاف حركات إعراب روي القافية بين رفع وخفض. والإقواء أيضاً خلو الدار من أهلها.

(٧) الترات: جمع الترة، أي الثأر.

(٨) الناقة الوَجناء: الناقة الشديدة.

أفـلا أنـطـوي لـهـا فـي اقـتـضـائِـه
لِـتُـطْـوَى مـا بَـيْـنَـنَـا الأفـلاءُ[1]

بـألُـوفِ الـبَـطْـحـاءِ يُـجْـفِـلُـهَـا الـنِّـيـلُ
وقـد شَـفَّ جَـوفَـهَـا الإظْـمـاءُ[2]

أنْـكَـرَتْ مِـصْـرَ فَـهـيَ تَـنْـفِـرُ مـا
لاحَ بِـنَـاءٌ لِـعَـيْـنِـهَـا أوْ خَـلاءُ

فـأقَـضـتْ عَـلَـى مـبَـارِكـهـا بِـرْ
كَـتُـهَـا فـالـبُـوَيْـبُ فـالـخـضـراءُ[3]

فـالـقِـبَـابُ الـتـي تَـلِـيـهـا فـبِـئْـرُ الـنَّـخْـلِ
وَالـرَّكْـبُ قـائِـلُـونَ رِوَاءُ[4]

وَغَـدَتْ أَيْـلَـةُ وَحـقْـلٌ وَقُـرٌ
خَـلْـفَـهـا فَـالـمـغـارَةُ الْـفَـيْـحَـاءُ[5]

فـعـيـونُ الأقْـصَـابِ يَـتـبـعُـهـا الـنَّـبْـكُ
وَيَـتْـلـو كُـفَـافَـةَ الـعَـوْجَـاءُ

حـاوَرَتْـهَـا الـحـوراءُ شَـوْقـاً فـيـنـبو
عُ فَـرَقَّ الـيَـنْـبُـوعُ وَالْـحَـوْرَاءُ

لاحَ بـالـدَّهْـنَـوَيْـنِ بَـدْرٌ لـهـا بَـعْـدَ
حُـنَـيْـنٍ وَحَـنَّـتِ الـصَّـفْـرَاءُ[6]

وَنَـضَـتْ بَـزْوَةٌ فـرابـغُ فـالْـجُـحْـفَـةُ
عـنـهـا مـا حـاكـه الإنْـضـاءُ[7]

وَأرَتْـهَـا الـخَـلاصَ بـئْـرُ عَـلـيٍّ
فَـعِـقَـابُ الـسُّـوَيـقِ فـالـخُـلْـصـاءُ[8]

فـهْـيَ مـن مـاء بِـئْـرِ عُـسْـفَـان أوْ مِـنْ
بَـطْـنِ مَـرٍّ ظـمـآنـةٌ خَـمْـصَـاءُ[9]

قَـرَّبَ الـزَّاهِـرَ الـمـسـاجـدُ مـنـهـا
بـخُـطـاهـا فـالـبُـطءُ مـنـهـا وَحـاءُ[10]

هـذه عِـدَّةُ الـمـنـازِلِ لامـا
عُـدَّ فـيـه الـسِّـمـاكُ وَالـعَـوَّاءُ[11]

فـكـأنـي بـهـا أُرَحِّـلُ مـنْ مَـكَّـةَ
شـمـسـاً سـمـاؤُهـا الـبَـيْـداءُ

مَـوْضِـعُ الـبَـيْـتِ مَـهْـبِـطُ الـوَحْـي مأوى الـرُّ
سْـلِ حـيـثُ الأنـوارُ حـيـثُ الـبَـهـاءُ

حـيـثُ فـرضُ الـطَّـوَافِ والـسَّـعْـيِ والـحَـلْـقُ
وَرَمْـيُ الـجِـمـارِ وَالإهْـداءُ[12]

---

(١) الأفلاء: جمع الفلاة: القِفار.

(٢) البَطحاء: المسيل الواسع فيه دُقاق الحصى. وأراد منطقة مكة المكرّمة. يُجفِلُها: يزعجها.

(٣) البِركة، والبُويب والخضراء: مواضع.

(٤) رِواء: جمع رَيًّا أي مُرتوية.

(٥) الفَيحاء: الواسعة من الدُور.

(٦) الصفراء: واد بين الحرمين. بَدر وحُنين: موضعان دار في كل منهما معركة بين المسلمين وأهل الكفر.

(٧) نضت: خلعت، وتجردت.

(٨) بئر علي: موضع إحرام الحجيج من جهة المدينة. الخلصاء: بلد بالدهناء.

(٩) عُسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. بطن مُرّ: من نواحي مكة. خَمصاء: ضامرة البطن جائعة.

(١٠) الوَحاء: السرعة.

(١١) السِّماك والعوّاء: من منازل القمر.

(١٢) الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفاء والمروة، ورمي الحجار، والإهداء: من شعائر الحج.

خَبَّذا حَبَّذَا مَعاهِدُ منها	لم يُغَيِّرْ آياتِهِنَّ البلاءُ
حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرامٌ	وَمَقامٌ فيه المُقَامُ تَلاءُ[1]
فقَضَيْنا بها مَناسكَ لا يُحْمَدُ	إلاّ في فِعْلِهِنَّ القَضاءُ
وَرَمَيْنا بها الفِجَاجَ إلى طَيْبَةَ	والسَّيْرُ بالمطايا رِماءُ[2]
فأصَبْنا عَنْ قَوْسِها غَرضَ القُرْ	بِ وَنِعْمَ الخَبِيئَةُ الكَوْمَاءُ[3]
فرأينا أرضَ الحَبيبِ يَغُضُّ الطَّرْ	فَ منها الضياءُ وَاللألاءُ
فكأنَّ البَيْدَاءَ مِنْ حيثُ قا	بَلَتِ العينَ رَوْضةٌ غَنَّاءُ[4]
وكأنَّ البِقاعَ زَرَّتْ عليها	طَرَفَيْها مُلاءَةٌ خَضْرَاءُ
وكأنَّ الأرجاءَ تَنشُر نَشْر الْـ	ـمِسْكِ فيها الجَنُوبُ وَالجِرْبِياءُ[5]
فإذا شِمْتَ أو شَمَمْتَ رُبَاها	لاحَ منها برقٌ وفاحَ كباءُ[6]
أيُّ نُورٍ وَأيُّ نَوْرٍ شَهِدْنا	يَوْمَ أبْدَت لَنا القِبابَ قُباءُ[7]
قَرَّ منها دَمعي وفَرَّ اصْطِبَاري	فدُمُوعي سَيْلٌ وصَبْري جُفاءُ
فترى الرَّكْبَ طائرينَ من الشَّوْ	قِ إلى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضاءُ[8]
وكأنَّ الزُّوَّارَ مَا مَسَّتِ البَأْ	ساءُ منهم خَلقاً ولا الضَّرَّاءُ
كلُّ نَفْسٍ منها ابتهالٌ وسؤلٌ	ودُعاءٌ وَرَغْبَةٌ وَابْتِغاءُ
وَزَفيرٌ تَظُنُّ منه صُدُورًا	صادحاتٍ يَعْتادُهُنَّ زُقاءُ[9]
وَبُكاءٌ يُغْرِيهِ بالعينِ مَدٌّ	وَنَحيبٌ يَحُثُّه اسْتِعْلاءُ
وجُسومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْها	مِنْ عظيمِ المَهَابَةِ الرُّحَضاءُ[10]

---

(١) التّلاء: الذمة والجوار.

(٢) الرماء: الرمي. طيبة: اسم من أسماء المدينة المنورة.

(٣) الغَرض: ما يُرمى بالسهام. والغَرَض: المقصد. الخبيئة: المخبأة، والذخيرة. الكَوْماء: الناقة العظيمة السنام.

(٤) البيداء: الغلاء.

(٥) الجنوب: ريح تخالف الشمال مهباً من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا: الجِرْبِياء: الريح بين الجَنوب والصَّبا. أو الشمال.

(٦) شمت: نظرت. الكباء: عود البخور.

(٧) قُباء: موضع قرب المدينة.

(٨) الضوضاء: الجَلَبة.

(٩) الزُقاء: صوت الطيور.

(١٠) رحضه: غسله. الرُحَضاء: العَرَق إثر الحمى.

وَوجُوهٌ كأنَّما أَلْبَسَتْها مِنْ حياءٍ ألوانها الجِرْباءُ[1]
وَدُمُوعٌ كأنَّما أرسَلَتْها مِنْ جُفُونٍ سحابةٌ وَطفاءُ[2]
فحَطَطْنا الرِّحالَ حيثُ يحطُّ الـ وِزْرُ عنَّا وتُرفَعُ الحَوْجاءُ[3]
وَقَرأنا السلامَ أكْرَمَ خَلْقِ الله مِنْ حيثُ يُسْمَعُ الإقراءُ
وَذَهِلْنا عند اللقاءِ وكم أذْ هَلَ صَبًّا من الحَبيبِ لِقاءُ[4]
وَوَجَمْنا مِنَ المَهَابَةِ حتَّى لا كلامٌ منا ولا إيماءُ
وَرَجَعْنا وَللقلُوبِ التفاتا تٌ إليه وللجُسوم انثِناءُ
وَسَمَحْنا بما نُحِبُّ وقد يَسْمَحُ عند الضرورةِ البُخلاءُ
يا أبا القاسمِ الذي ضِمنَ إقسا مِي عليه مَدْحٌ لهُ وَثَناءُ
بالعلوم التي عليكَ مِنَ الله بلا كاتِبٍ لها إملاءُ
ومسيرِ الصَّبا بنصْرِك شَهْرا فكأنَّ الصَّبا لَدَيكَ رُخاءُ
وَعَلِيٍّ لمَّا تَفَلْتَ بِعَيْنَيْـ ـهِ وكلتاهما مَعاً رَمْداءُ[5]
فَغَدا ناظراً بِعَيْنَيْ عُقابٍ في غزاةٍ لها العُقابُ لِواءُ[6]
وَبِرَيحانَتَيْنِ طيبُهُما مِنْـ ـكَ الذي أوْدَعَتْهُما الزَّهراءُ[7]
كُنتَ تُؤوِيهِمَا إليك كما آ وَتْ من الخَطِّ نُقطَتَيْهَا اليَاءُ
مِنْ شهيدَيْنِ ليس يُنسِيني الطَّفُّ مُصابيهما وَلا كَرْبَلاءُ[8]
مَارَعَى فيهما ذِمامَك مرؤو سٌ وَقد خانَ عَهْدَكَ الرُّؤساءُ[9]
أبدَلوا الوُدَّ وَالحَفيظَةَ في القُرْ بَى وَأَبْدَتْ ضِبابها النَّافِقَاءُ[10]

---

(١) الجِرباء: ذَكَر أم حُبين.
(٢) السحابة الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة مائها.
(٣) الوِزر: الإثم. الحوجاء: الحاجة.
(٤) الصّب: المشتاق المحب.
(٥) الرّمد: هيجان العَين: والعين رَمْداء.
(٦) العُقاب الأولى: طائر جارح. والعُقاب الثانية: اسم لراية النبي صلى الله عليه وسلم.
(٧) الريحانتان: كناية عن ولدي فاطمة الحسَن والحسين سبطي النبي.
(٨) الشهيدان: أي الحسن والحسين، فالأول مات مسموماً والثاني قتل في الطّف بمحلة كربلاء. والطّف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.
(٩) الذّمام: العهد.
(١٠) الضّباب: جمع الضّب وهو حيوان صحراوي. النافِقاء: إحدى جِحَرة اليربوع، يكتمها ويُظهر غيرَها.

وَقَسَتْ منهم قلوبٌ عَلَى مَنْ بَكَتِ الأَرضُ فقدَهم والسَّماءُ
فابكِهِمْ ما اسْتَطَعْتَ إنَّ قليلاً في عَظيمٍ مِنَ المُصابِ البُكَاءُ
كلُّ يومٍ وَكلُّ أرضٍ لِكَرْبي منهمُ كَرْبَلاَ وَعاشورَاءُ[1]
آلَ بَيْتِ النبيِّ إنَّ فؤادِي ليسَ يُسْلِيهِ عَنْكُم التَّأْسَاءُ[2]
غيرَ أنّي فَوَّضْتُ أمْرِي إلى الله وَتَفْوِيضِيَ الأُمورَ بَراءُ
رُبَّ يومٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بعضَ وِزْرِهِ الزَّوْرَاءُ[3]
والأَعادِي كأنَّ كلَّ طَرِيحٍ منهمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْه الوِكَاءُ[4]
آلَ بيتِ النبيِّ طِبْتُمْ فطابَ الْـ مَدْحُ لي فيكُمُ وَطابَ الرِّثَاءُ
أنا حَسَّانُ مَدْحِكم فإذَا نُحْـ تُ عليكُمْ فإنَّنِي الخنساءُ[5]
سُدْتُمُ الناسَ بالتُّقَى وَسِواكُمْ سَوَّدَتْهُ البَيْضاءُ والصَّفْرَاءُ
وبِأَصحابكَ الذين همُ بَعْـ دَكَ فينا الهُداةُ وَالأَوْصِياءُ
أَحْسَنُوا بعدكَ الخِلافَةَ في الدِّ ينِ وَكلٌّ لَما تَوَلَّى إزَاءُ[6]
أغنياءٌ نزاهَةً فُقَرَاءُ عُلَمَاءُ أئمَّةٌ أُمَرَاءُ
زَهدُوا في الدُّنَا فما عُرِفَ المَيْلُ إلَيْهَا منهم وَلا الرَّغْبَاءُ
أَرْخَصُوا في الوغَى نُفوسَ مُلُوكٍ حارَبُوها أسلابُها إغْلاءُ
كُلُّهُمْ في أحكامه ذو اجتهادٍ وَصَوابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفاءُ
رَضِيَ الله عَنهُمُ وَرَضُوا عَنْـ هُ فأنّى يَخطو إليهم خَطَاءُ
جاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعدِ قومٍ بِحَقٍّ وَعَلَى المَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جاءُوا[7]
ما لموسى وَلا لِعيسى حَوارِيُّـ ونَ في فَضْلِهم وَلا نُقَبَاءُ

---

(١) كربلاء: موضع بالعراق كان فيه مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما. وعاشوراء: ذكرى تلك الوقعة في العاشر من محرّم.

(٢) التأساء والتأسية: التعزية.

(٣) الزّوراء: يريد بغداد، والمعنى أن العباسيين. ومقرهم بغداد. قد خففوا من تلك الفاجعة بانتقامهم من الأمويين.

(٤) الوكاء: من يُشد به رأس الزّق.

(٥) حسّان: هو حسّان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي، توفي حسّان سنة ٥٤هـ. والخنساء هي تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السُّلمية، شاعرة مخضرمة عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأسلمت، ماتت سنة ٢٤هـ. اشتهرت برثائها لأخويها في الجاهلية.

(٦) الإزاء: القرين، ويريد أنهم كانوا أهلاً لما تولوا.

(٧) المنهج الحنيفي: المنهج الإسلامي.

كأبي بَكْرِ الذي صَحَّ لِلنّا ... سِ به في حياتك الإقتِداءُ[1]

والمُهَدِّي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمّا ... أرْجَفَ الناسُ، أنه الدَّأْداءُ[2]

أنفذَ الدِّينَ بعدَ ما كان للدِّيـ ... ـنِ عَلَى كلِّ كُرْبَةٍ إشْفَاءُ[3]

أنْفَقَ المالَ في رِضاكَ وَلا مَنٌّ ... وَأَعْطَى جَمّاً وَلا إكْداءُ[4]

وأبي حَفْصٍ الذي أظْهَرَ اللهُ ... به الدِّينَ فارعَوى الرُّقَباءُ[5]

والذي تَقْرُبُ الأَبَاعِدُ في اللهِ ... إليه وَتَبْعُدُ القُرَبَاءُ

عُمَر بنِ الخطاب مَنْ قَوْلُهُ الفَصْـ ... ـلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّواءُ

فَرَّ منه الشيطانُ إذْ كانَ فارُو ... قاً فلِلنّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِراءُ

وَابْنِ عفّانَ ذي الأيادي التي طا ... لَ إلى المصطفى بها الإسْداءُ

حَفَرَ البِئْرَ جَهَّزَ الجَيْشَ أهْدَى الْـ ... ـهَدْيَ لما أنْ صَدَّهُ الأعداءُ[6]

وأَبَى أنْ يَطُوفَ بالبيتِ إذْ لمْ ... يَدْنُ منه إلى النبيِّ فِناءُ

فَجَزَتْهُ عنها بِبَيْعَةِ رِضْوا ... نٍ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أدَبٌ عنده تَضاعَفَتِ الأعـ ... ـمالُ بالتَّرْكِ حَبَّذَا الأدباءُ

وَعَلِيٍّ صِنْوِ النبيِّ ومَنْ دِيـ ... ـنُ فُؤَادِي وِدادُهُ وَالوَلاءُ[7]

وَوَزِيرِ ابن عَمِّه في المعالي ... ومِنَ الأهلِ تُسْعَدُ الوُزَراءُ

لم يَزِدْهُ كَشْفُ الغِطَاءِ يَقِيناً ... بَلْ هُوَ الشمْسُ ما عَلَيْهِ غِطاءُ

وبباقي أصحابِكَ المُظْهِرِ التَّرْ ... تِيبِ فينا تَفْضِيلُهم والولاء

طَلْحَةِ الخَيْرِ المُرتَضِيهِ رَفِيقاً ... وَاحِداً يومَ فَرَّتِ الرُّفَقَاءُ[8]

وَحَوَارِيِّكَ الزُّبَيْرِ أبي القَرْ ... مِ الذي أنْجَبَتْ بِه أسماءُ[9]

---

(١) في الأصل بأبي بكر وهو خطأ لا يستقيم به المعنى.

(٢) الدَّأداء: آخر الشهر. قوله المهدّي، يعني أبا بكر حيث دعا الناس إلى التصبر حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) الإشفاء: الإشراف.

(٤) الإكداء: وقف العطاء.

(٥) أبو حفص: كنية عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثاني. ارعوي: ارتدع.

(٦) اشارة إلى بعض فضائل عثمان بن عفّان الخليفة الراشد الثالث.

(٧) الصِّنو: الأخ الشقيق، أو الابن أو العم.

(٨) يشير إلى معركة أحد وبلاء طلحة فيها.

(٩) الحواري: الناصر، أو ناصر الأنبياء: الزُّبير: هو الزبير بن العوّام. أسماء: هي بنت أبي بكر. وأم عبد الله بن الزبير، والقَرْم: الفحل.

وَالصَّفِيَّيْنِ تَوْءَمِ الفضل سَعْدٍ وسَعِيدٍ إنْ عُدَّتِ الأصْفِيَاءُ

وابنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنَتْ نفسُه الدُّنْـ ـيَا بِبَذْلٍ يُمِدُّه إثْراءُ

والمُكَنَّى أبا عُبَيْدَةَ إذْ يَعـ ـزِي إليه الأمانةَ الأُمَناءُ

وَبِعَمَّيْكَ نَيِّرَيْ فَلَكِ المَجْـ ـدِ وكُلٌّ أتَاهُ منك إتاءُ(١)

وبأُمِّ السِّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوَتْهُ العَبَاءُ(٢)

وبأزواجِكَ اللَّواتي تَشَرَّفـ ـنَ بأنْ صانَهُنَّ منك بِناءُ(٣)

الأمانَ الأمانَ إنَّ فُؤادِي مِنْ ذُنُوبٍ أتَيْتُهُنَّ هَواءُ

قَدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدادِكَ بالحَبْـ ـلِ الذي اسْتَمْسَكَتْ به الشفَعاءُ

وَأبى اللهُ أنْ يَمَسَّنِيَ السُّو ءُ بحالٍ وَلِي إليك الْتِجاءُ

قد رَجَوْناكَ للأُمورِ التي أبْـ ـرَدُها في فُؤادِنا رَمْضاءُ(٤)

وَأتَيْنا إليكَ أنْضاءَ فَقْرٍ حَمَلَتْنا إلى الغِنَى أنضاءُ(٥)

وانطَوَتْ في الصُّدُورِ حاجاتُ نفسٍ ما لها عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِواءُ

فأغِثْنا يا مَن هُوَ الغوثُ والغَيْـ ـثُ إذا أجْهَدَ الورَى اللأْوَاءُ(٦)

والجَوادُ الذي به تُفْرَجُ الغُمَّـ ـةُ عَنا وتُكْشَفُ الحَوباءُ(٧)

يا رحيماً بالمؤمنين إذا ما ذَهِلَتْ عن أبنائها الرُّحَماءُ

يا شفيعاً في المُذنبين إذا أشْـ ـفَقَ مِنْ خَوفِ ذَنْبِهِ البُرَآءُ

جُدْ لِعاصٍ وَما سِوايَ هُوَ العا صِي وَلكنْ تَنَكُّرِي اسْتِحْياءُ

وتَدارَكْهُ بالعِنايةِ ما دا مَ لَه بالذِّمامِ منك ذَماءُ(٨)

أخَّرَتْهُ الأعمالُ والمالُ عَمّا قَدَّمَ الصّالِحونَ والأغنياءُ

كلَّ يَومٍ ذُنُوبُهُ صاعِداتٌ وعليها أنفاسُهُ صُعَداءُ(٩)

---

(١) يريد حمزة والعباس ابني عبد المطلب.

(٢) يريد فاطمة، وعلياً والحسن والحسين.

(٣) قوله بناء: الدخول بالزوجة، أو انه أراد الأبنية.

(٤) الرَّمضاء: الأرض الشديدة الحرارة.

(٥) أنضاء: جمع نضو: مهزول.

(٦) الورى: الخَلق. اللأواء: الشّدة.

(٧) الحوباء: النفس.

(٨) الذَّماء: بقية الروح.

(٩) الصُّعداء: النفسُ المتواتر.

أَلِفَ البِطْنَةَ المُبَطِّئَةَ السَّيْـ ـرِ بدارٍ بها البِطانُ بِطَاءُ[1]
فَبَكى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ نَهَتِ الدَّمْعَ فالبُكاءُ مُكاءُ[2]
وغَدَا يَعْتِبُ القَضَاءَ ولا عُذْ رَ لعاصٍ فيما يَسُوقُ القَضاءُ
أَوْثَقَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونٌ شَدَّدَتْ في اقْتضائها الغُرَمَاءُ[3]
ما لَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ المُو ثِقِ إمَّا تَوَسُّلٌ أَوْ دُعَاءُ
رَاجِياً أَنْ تعودَ أعمالُهُ السُّو ءُ بِغُفْرَانِ اللهِ وَهْيَ هَباءُ[4]
أَوْ تُرَى سَيِّئاتُهُ حَسَنَاتٍ فيقَالُ استحالتِ الصَّهباءُ[5]
كلُّ أمرٍ تُعْنَى به تُقْلبُ الأَعْـ ـيانُ فيه وتَعْجَبُ البُصَرَاءُ
رُبَّ عَيْنٍ تَفَلْتَ في مائها المِلْـ ـحِ فأَضْحَى وَهْوَ الفُراتُ الرَّوَاءُ[6]
آهِ مِمَّا جَنَيْتُ إنْ كانَ يُغْني أَلِفٌ مِنْ عَظيمِ ذَنْبٍ وهاءُ
أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وفي القَلْـ ـبِ نفاقٌ وفي اللسانِ رِياءُ
ومتى يَسْتَقِيمُ قَلْبي ولِلْجِسْـ ـمِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كَبْرتي وانْحناءُ
كُنْتُ في نَوْمَةِ الشَّبابِ فما اسْتَـ ـيْقَظْتُ إلاَّ ولِمَّتي شَمْطاءُ[7]
وتمادَيْتُ أَقْتَفي أَثَرَ القَوْ مِ فطالَتْ مَسافَةٌ واقْتفاءُ
فَوَرا السائرينَ وهْوَ أمامي سُبُلٌ وَعْرَةٌ وأرضٌ عَراءُ
حَمِدَ المُدْلجونَ غِبَّ سُرَاهُم وكَفَى مَنْ تَخَلُّفَ الإبْطاءُ[8]
رِحْلةٌ لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُني الصَّيْـ ـفُ إذا ما نَوَيْتُها والشِّتَاءُ[9]
يَتَّقِي حُرُّ وجْهِيَ الحَرَّ والبَرْ دَ وقَدْ عَزَّ مِنْ لَظى الاتِّقاءُ[10]
ضِقْتُ ذَرْعاً مِمَّا جَنَيْتُ فيومِي قَمْطَرِيرٌ وليلتي دَرْعَاءُ[11]

---

(١) البطنة: النَّهم في الطعام والشراب.
(٢) المُكاء: الصفير بالفم.
(٣) الغُرَماء: أصحاب الدين، الواحد غارم.
(٤) هباء: غبار.
(٥) الصَّهباء: الخمرة. استمالت: تحوَّلت.
(٦) الماء الفُرات: الماء العذب: الرَّواء: بئر زمزم.
(٧) اللِمّة: الشعر المجاور لشحمة الأذن. الشمطاء: السواد المختلط بالبياض.
(٨) المدلجون: جمع المدلج: وهو الذي يسير ليلاً.
(٩) يفنِّدني: يكذبني.
(١٠) حُرُّ وجهي، يعني الظاهر منه.
(١١) قمطرير: شديد. درعاء: مظلمة.

وَتَـذَكَّـرْتُ رَحْـمَـةَ اللهِ فـالـبِـشْـ ـرُ لِـوَجْـهِـي أَنَّـى أَنْـتَـحـي بِـلْـقـاءِ
فـأَلَـحَّ الـرَّجـاءُ والـخـوفُ بـالْـقَـلْـ ـبِ ولِـلْـخَـوْفِ والـرَّجـا إخْـفـاءُ[1]
صَاحِ لا تَأْسَ إنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطَّا عَـةِ واسْـتَـأْثَـرَتْ بـهـا الأقـويـاءُ
إِنَّ للهِ رَحْـــمَـــةً وأَحَـــقُّ الـــنَّـــ ـاسِ مـنـه بـالـرَّحـمـةِ الـضُّـعَـفَـاءُ
فابْقَ في العُرْجِ عندَ مُنْقَلَبِ الذَّوْ دِ فـفِـي الـعَـوْدِ تَـسـبِـقُ الـعَـرْجـاءُ[2]
لا تَـقُـلْ حـاسِـداً لِـغَـيْـرِكَ هـذَا أَثْـمَـرَتْ نـخـلـهُ وَنَـخْـلِـي عَـفـاءُ[3]
وأْتِ بـالـمُـسْـتـطـاعِ مِـنْ عَـمَـلِ الـبِرِّ فـقـدْ يُـسـقِـطُ الـثِّـمـارَ الإِتـاءُ[4]
وبِـحُـبِّ الـنـبـيِّ فـابْـغِ رِضَـى اللهِ فَـفِـي حُـبِّـهِ الـرِّضـا والـحِـبَـاءُ[5]
يـا نـبـيَّ الـهُـدَى اسْـتِـغَـاثَـةَ مَـلْـهُـو فٍ أَضَـرَّتْ بـحـالِـهِ الـحَـوْبَـاءُ[6]
يَـدَّعِـي الـحُـبَّ وهْـوَ يـأْمُـرُ بـالـسُّـو ءِ ومَـنْ لِـي أَنْ تَـصْـدُقَ الـرَّغْـبَـاءُ
أَيُّ حُـبٍّ يَـصِـحُّ مـنـه وطَـرْفِـي لِـلْـكَـرَى «واصِـلٌ» وطَـيْـفُـكَ رَاءُ[7]
ليتَ شعري أَذَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ أَمْ حُـظُـوظُ الـمُـتَـيَّـمِـيـنَ حُـظَـاءُ
إِنْ يكُنْ عُظْمُ زَلَّتي حَجْبَ رُؤْيَا كَ فـقـدْ عَـزَّ داءَ قـلـبـي الـدَّواءُ
كيفَ يَصْدا بالذَّنْبِ قلبُ مُحِبٍّ ولـه ذِكْـرُكَ الـجـمـيـلُ جِـلاءُ
هـذه عِـلَّـتـي وأنـت طـبـيـبـي ليسَ يَخْفَى عليكَ في القلبِ داءُ
ومِـنَ الـفَـوْزِ أَنْ أَبُـثَّـكَ شـكْـوَى هِيَ شكْوَى إليكَ وهْيَ اقْتضاءُ
ضُـمِّـنَـتْـهـا مَـدَائـحٌ مُـسـتـطـابٌ فـيـك مـنـهـا الـمَـدِيـحُ والإصـغـاءُ
قَـلَّـمـا حـاوَلَـتْ مَـدِيـحَـكَ إلاَّ سَـاعَـدَتْـهَـا مِـيـمٌ ودالٌ وحَـاءُ
حَـقَّ لـي فـيـكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَـوْمـاً سَـلِـمَـتْ مـنـهـم لـدلْـوِي الـدِّلاءُ[8]
إِنَّ لـي غَـيْـرَةً وقـد زَاحَـمَـتْـنـي فـي مـعـانـي مَـديـحِـكَ الـشُّـعـراءُ
ولِـقَـلْـبـي فـيـكَ الـغُـلُـوُّ وأنـي لِـلِـسـانـي فـي مَـدحِـكَ الـغُـلَـوَاءُ[9]

---

(١) الإحفاء: ترديد السؤال والإلحاح على الأمر.
(٢) العَود: العَودة. الذَّود: ثلاثة أبعرة إلى عشرة، أو خمسَ عشرة. أو عشرين أو ثلاثين.
(٣) عَفاء الشيء: دُروسه.
(٤) الإتاء: رَيع النخلة وثمرها.
(٥) الحِباء: أن يختصه ويميل إليه.
(٦) الحوباء: النَّفس.
(٧) الكرى: النعاس. واصل: يريد ابن عطاء المعتزلي الذي لم يكن ينطق بالراء.
(٨) المساجلة: المفاخرة.
(٩) الغُلَوَاء: المبالغة.

فـأثِـبْ خـاطـراً يَـلَـذُّ لـه مَـدْ حُـك عِـلْـمـاً بـأنـه الـلألأءُ(١)
حـاكَ مِـنْ صَـنْـعَـةِ الـقـريـض بُـرُوداً لَـكَ لـم تَـحْـكِ وشْـيَـهـا صَـنْـعَـاءُ
أعـجـزَ الـدُّرَّ نَـظـمُـهُ فـاسـتـوتْ فـيـهِ الـيَـدَان الـصـنـاعُ والـخَـرْقَـاءُ(٢)
فَـارْضَـهُ أفْـصَـحَ امـرىءٍ نـطـقَ الـضَّـادَ فـقـامـتْ تَـغَـارُ مـنـهـا الـظـاءُ
أَبِـذِكْـرِ الآيـاتِ أُوفِـيـكَ مَـدْحـاً أَيْـنَ مِـنِّـي وأيْـنَ مـنـهـا الـوفَـاءُ
أمْ أُمَـارِي بِـهِـنَّ قَـوْمَ نَـبِـيٍّ سـاءَ مَـا ظَـنَّـهُ بِـيَ الأغـبـيـاءُ
ولَـكَ الأُمَّـةُ الـتـي غَـبَـطـتـهـا بِـكَ لَـمَّـا أَتَـتْـهـا الأنـبـيـاءُ
لَـمْ نَـخَـفْ بـعـدَكَ الـضَّـلالَ وفـيـنـا وَارِثُـو نُـورِ هَـدْيِـكَ الـعُـلَـمـاءُ
فـانـقـضَـتْ آيُ الأنـبـيـاءِ وَآيـاتُـكَ فـي الـنـاس مـا لـهُـنَّ انـقـضـاءُ
والـكـرامـاتُ مـنـهـمُ مُـعـجـزاتٌ حـازَهَـا مِـنْ نَـوَالِـكَ الأولـيـاءُ
إنَّ مِـنْ مُـعـجـزاتِـكَ الـعَـجْـزَ عَـنْ وصْـفِـك إذْ لا يَـحُـدُّهُ الإحـصـاءُ
كـيـفَ يَـسْـتَـوعِـبُ الـكـلامُ سَـجَـايـاكَ وَهَـل تَـنْـزِحُ الـبـحـارَ الـرِّكَـاءُ(٣)
لـيـسَ مِـنْ غـايَـةٍ لِـوصْـفِـكَ أبْـغِـيـهـا ولِـلـقَـوْلِ غـايـةٌ وانـتـهـاءُ
إنـمـا فـضـلُـكَ الـزَّمـانُ وآيـاتُـكَ فـيـمـا نَـعُـدُّهُ الآنـاءُ
لَـمْ أُطِـلْ فـي تَـعْـدادِ مَـدْحِـكَ نُـطْـقِـي ومُـرادِي بـذلـك اسـتـقـصـاءُ
غـيـر أنـي ظـمـآنُ وَجْـدٍ ومَـالـي بِـقَـلـيـلٍ مِـنَ الـورودِ ارْتِـواءُ
فـسـلامٌ عـلـيـك تَـتْـرَى مِـنَ اللهِ وَتَـبْـقَـى بـه لَـكَ الـبَـأواءُ(٤)
وسـلامٌ عـلـيـك مـنـكَ فـمـا غَـيْـرُكَ مـنـه لـكَ الـسـلامُ كِـفَـاءُ
وَسَـلامٌ مِـن كـلِّ مـا خَـلَـقَ اللهُ لِـتَـحْـيَـا بِـذِكْـرِكَ الأمـلاءُ(٥)
وَصـلاةٌ كـالـمِـسْـكِ تَـحْـمِـلـه مِـنـي شَـمَـالٌ إلـيـكَ أَو نَـكْـبـاءُ(٦)
وَسـلامٌ عَـلَـى ضَـريـحِـكَ تَـخْـضَـلُّ بـه مـنـه تُـرْبَـةٌ وَعْـسَـاءُ(٧)
وَثَـنَـاءٌ قَـدَّمْـتُ بـيـنَ يَـدَيْ نَـجْـوَايَ إذْ لـم يـكـن لَـدَيَّ ثَـراءُ(٨)

---

(١) اللألاء: يعني السرور.
(٢) الخَرقاء: الفتاة التي لا تُحسن الصنعة.
(٣) الرِّكاء: جمع الركوة وهي إناء صغير للماء.
(٤) البأواء: الفخر.
(٥) الأملاء: جمع الملإ: الجماعة من الناس.
(٦) شمال: ريح الشمال. النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين.
(٧) تخضلّ: تبتلّ. الوعثاء: الرملة اللينة.
(٨) النجوى: المناجاة.

مـا أقـامَ الـصـلاةَ مَـنْ عَـبَـدَ اللهَ وقـامـتْ بِـربِّـهـا الأشـيـاءُ

قافية الباء

أزمعوا البَيْن [المديد]

أزمَـعـوا الـبَـيْـنَ وَشَـدُّوا الـرِّكـابـا فـاطـلـبِ الـصـبرَ وخَـلِّ الـعِـتـابـا
ودنـا الـتَّـوديـع مِـمَّـنْ وَدِدْنـا أنَّـهـم داموا لـديـنـا غِـضـابـا
فـاقْـرِ ضَـيْـفَ الـبَـيْـنِ دمعاً مُـذالاً يـا أخـا الـوَجْـدِ وقـلْـباً مُـذابـا[1]
فـمَـنِ الـلائِـمُ صـبّـاً مَـشُـوقـاً أنْ بَـكـى أحْـبَـابَـهُ والـشَّـبـابـا
إنـمـا أغْـرَى بِـنـا الـوَجْـدَ أنّـا مـا حَـسَـبْـنَـا لِـفِـرَاقٍ حِـسَـابـا
وَغُـرِيـبٌ جَـعَـلُـوا بـالـمَـصَـلَّـى كـلَّ قـلـبٍ يـومَ ساروا نِـهـابـا
عَـجَـباً كـيـف رضُـوا أنْ يَـحِـلُّـوا مِـنْ قـلـوبٍ أحـرقـوهـا قِـبـابـا
أضْـحَـتِ الأرضُ الـتـي جـاوَرُوهـا يَـحْـسُـدُ الـعَـنْـبَـرُ مـنـهـا الـترابـا
لا تَـكْـذِبْ خَـبَـرا أنَّ سَـلْـمَـى سَـحَـبَـتْ بـالـتُّـرْبِ ذَيْـلاً فَـطـابـا
وَكَـسَـتْـهُ حُـلَـلَ الـرَّوضِ حـتـى تَـوَّجَـتْ مـنـهـا الـرُّبَـا والـهِـضـابـا
ابْـتَـسَـمَـتْ عَـنْ مِـثْـلِ كَـأسِ الْـحُـمَـيَّـا نَـظَـمَ الـمـاءُ عـلـيـهـا حَـبـابـا[2]
سُـمْـتُـهَـا لَـثْـمَ الـثـنـايـا فـقـالـتْ إنَّ مِـنْ دُونِـكَ سُـبْـلاً صِـعـابـا
حَـرَسَـتْ عَـقْـرَبُ صُـدْغَـيَّ خَـدِّي وَحَـمَـتْ حَـيَّـةُ شَـعْـرِي الـرُّضـابـا[3]
وَيْـحَ مَـنْ يَـطْـلُـبُ مِـنْ وَجْـنَـتَـيَّ الْـ ـوَرْدَ أوْ مِـنْ شَـفَـتَـيَّ الـشَّـرابـا
حَـقُّ مَـنْ كـانَ لـهُ حُـبُّ سَـلْـمَـى شُـغُـلاً أنْ يَـسْـتَـلِـذَّ الـعَـذابـا[4]
وَلِـمَـنْ يَـمْـدَحُ خَـيْـرَ الـبَـرايـا أنْ يَـرَى الـفَـقْـرَ عـطـاءً حِـسـابـا
وَكَـفـانـي بـاتِّـبـاعِـي طَـرِيـقـاً رَغِـبَ الـمُـخْـتـارُ فـيـهـا رغـابـا
كـلـمـا أُوتـيـتُ مـنـهـا نَـصِـيـباً قُـلْـتُ إنـي قـدْ مَـلَـكْـتُ الـنِّـصـابـا
يـا حَـبِـيـباً وَشَـفِـيـعـاً مُـطـاعـاً حَـسْـبُـنَـا أنَّ إلـيـكَ الإيـابـا[5]

---

(١) الدمع المذال، يعني الزائد الكثير.
(٢) حَباب الماء: معظمه، والحَباب والحبَب: الفقاقيع التي تعلو الماء.
(٣) الرُضاب: الرّيق في الفم.
(٤) العذابا في الأصل: العذبا.
(٥) الإياب: الرجوع.

لَمْ نَقُلْ فيكَ مقالَ النَّصارَى ... إذْ أَضَلُّوا في المسيحِ الصَّوابا
إنما أنتَ نَذِيرٌ مُبِينٌ ... أَنزَلَ اللهُ عليكَ الكِتابا
بِلِسانٍ عربيٍّ بَليغٍ ... أَفْحَمَ العُربَ فعَيَّتْ جوابا
يُطْمِعُ الأسماعَ فِيهِ بياناً ... وَسَنا طِبِّهِ على العَقْلِ يابا
حَوَتِ الكُتْبُ لُبَاباً وَقِشْراً ... وَهْوَ حاوٍ مِنَ اللُّبابِ لُبابا
يَجْلِبُ الدُّرَّ إلى سامِعِيهِ ... كَلِمٌ لم يُرَ فيه اجْتِلابا
أَشْرَقَتْ أنوارُه فرأَيْنا الرَّأْ ... سَ رَأْساً وَالذُّنابِي ذُنابا[1]
وَرأى الكُفّارُ ظِلّاً فَضَلُّوا ... وَيْحَهُمْ ظَنُّوا السَّرابَ الشَّرابا
وإذا لَمْ يَصِحَّ بالعِلْمِ ذَوْقٌ ... وُجِدَ الشَّهْدُ مِنَ الجَهْلِ صابا
كيف يهدي اللهُ منهم عنيداً ... كلما أَبْصَرَ حقاً تَغابَى
وَإذا جِئْتَ بآياتِ صِدْقٍ ... لم تَزِدْهم بِكَ إلّا ارْتِيابا
أنتَ سِرُّ اللهِ في الخَلْقِ وَالسِّـ ... ـرُّ على العُمْيِ أَشَدُّ احْتِجابا
عاقِبٌ ماحٍ مَحا اللهُ عَنَّا ... بِكَ ما نحذَرُ منه العِقابا[2]
خَصَّهُ اللهُ بخُلْقٍ كريمٍ ... وَدَعا الفَضلَ له فاسْتَجابا
وَلَهُ مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ ما شَرَّ ... فَ قَوْسَيْنِ بذكرٍ وَقابا
مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ ... بانَ عنه كلُّ واشٍ وغابا
وَعلومٍ كَشَفَتْ كلَّ لَبْسٍ ... وَجَلَتْ عَنْ كلِّ شمسٍ ضَبابا
لَمْ يَنَلْها باكْتِسابٍ وفضلُ اللهِ ... ما ليسَ يُنالُ اكتِسابا
وَإذا زارَ حبيبٌ مُحِبّاً ... لا تَسَلْ عن زائرٍ كيف آبا[3]
كلُّ مَنْ تابَعَهُ نالَ منه ... نَسَباً مِنْ كلِّ فضلٍ قِرابا
شَرَّفَ الأنسابَ طُوبَى لأَصْلٍ ... وَلِفَرْعٍ حازَ منه انتِسابا
دينُه الحقُّ فدَعْ ما سِواه ... وَخُذِ الماءَ وَخَلِّ السَّرابا[4]
جَعَلَ الزُّهْدَ له والعَطايا ... والتُّقَى والبَأْسَ والبِرَّ دَابا
أَنقَذَ الهَلْكَى ورَبَّى اليَتامَى ... وفَدَى الأسرَى وفَكَّ الرِّقابا

---

(١) الذُّنابي: الذَّنب.
(٢) العاقب: الذي يخلف السيِّد، والذي يخلُف من كان قبله في الخير.
(٣) آب: رجع.
(٤) السراب: الوهم.

بَصَرَ العُمْيَ فيا ليْتَ عَيْنِي مُلِئَتْ مِنْ أَخْمَصيه تُرابا
أَسْمَعَ الصُّمَّ فَمنْ لي بِسَمْعِي لو تَلَقَّى لفظَهُ المُستطابا
ودَعا الهَيجاءَ فارْتاحتِ السُّمْـ ـرُ اهْتِزازاً والسُّيوفُ انْتِدَابا[1]
تَطْرَبُ الخيْلُ بِوَقْعٍ فَتَخْتا لُ إلى الحربِ وتَغدوا طِرابا
مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُماةٌ لم يخافوا لِلْمَنُون ارتكابا[2]
كلُّ نَدْبٍ لوْ حَكَى غَرْبَهُ السَّيْـ ـفُ لَمَا اسْتصحبَ سَيْفٌ قِرَابَا[3]
قاطعَ الأهلِينَ في الله جَهْراً لَمْ يَخَفْ لَوْماً ولم يَخْشَ عتابا
لَمْ يُبالِ حينَ يَغْدُو مُصيباً في الوغى أو حِين يَغْدوا مُصابا
مِنْ حُماةٍ نَصَرَوا الدِّينَ حتى أَصْبَحَ الإسلامُ أَحْمَى جَنابا
رَفعوا الإِسْلامَ مِنْ فوقِ خَيْلٍ أَرْكَبَتْ كلَّ عُقابٍ عُقابا[4]
خَضَبُوا البِيضَ مِنَ الهمام حُمْراً ما تَزالُ البِيضُ تَهْوَى الخِضابا[5]
لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا للحُروبِ العُونِ إلَّا الضِّرَابا[6]
أَرْغَمَ الهادي أُنُوفَ الأَعادي بِرِضاهم وأَذَلَّ الرِّقابا
فأَطاعتهُ الملوكُ اضطِرَاراً وأَجابتْه الحُصونُ اضطرابا
وصناديدُ قُرَيْش سَقاها حَتْفَها سَقْيَ اللِّقاحِ السِّقابا[7]
حَلَبُوا شَطْرَيْهِ في الجودِ والبَأْ سِ فأَحْلَى وأَمَرَّ الحِلابا
وجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَاقِهِ في الخِصْـ ـبِ والجِدْبِ تَعافُ الخِصابا
دَرُّهَا أطيبُ دَرٍّ فإِنْ أَمْـ ـكَنَكَ الحَلْبُ فَرَاعِ العِطابا
جَيَّشَ الجَيْشَ وَسرَّى السَّرايا ودعا الخَيْلَ عِتاقاً عِرابا[8]
وهوَ المَنْصُورُ بالرُّعْبِ لو شا ءَ لأغنى الرُّعْبُ عنها ونَابا
لو تَرى الأَحزابَ طاروا فِراراً خِلْتَهُمْ بينَ يديهِ ذُبابا

(١) الهيجاء: الحرب. السُّمر: الرماح. الانتداب: الإجابة، أو المسارعة في حسن الجزاء.
(٢) الكُماة: جمع الكَمي: المدجّج بالسلاح.
(٣) النّدب: الظريف النجيب، الخفيف في الحاجة.
(٤) العُقاب: طائر.
(٥) البيض الأولى: السيوف. والثانية تعني النساء. الخِضاب: ما تختضب به المرأة.
(٦) يُقال: حربٌ عَوان وهي التي قُوتِل فيها مرّة، والجمع: عُوْن.
(٧) اللقاح: الإبل. السّقاب: جمع السَّقب: ولد الناقة.
(٨) الخيل العتيقة منها والعِراب: الكريمة.

أوَ لَمْ تَعجبْ له وهوَ بَخرٌ كيف يَسْتَسْقِي نَدَاهُ السَّحابا
كانتِ الأرضُ مَواتاً فأحيَا بالْحَيا منها المواتَ انسكابا[1]
نَزَعَتْ عنها مِنَ المَحْلِ ثَوْباً وكَستْها مِنْ رياضٍ ثيابا
سَيِّدٌ كيفَ تأمَّلْتَ معنا هُ رَأتْ عَيْنَاكَ أمرًا عُجابا
مَنْ يَزُرْهُ مُثْقَلاً بالخطايا عادَ مَغْفُورَ الخطايا مُثابا
ذِكرُه في الناسِ ذِكْرٌ جَميلٌ قالَ لِلْكَوْنَيْنِ طيبا فطَابا
وسِعَ العَالَمَ عِلْماً وجُوداً فدعا كُلاً وأرْضَى خِطابا[2]
فَتَحَلَّتْ منه قَومٌ عُقُودًا وتحلَّت منه قومٌ سِخابا[3]
ليتَني كنتُ فيمن رآهُ أتَّقِي عنه الأذى والسِّبابا
يومَ نالَتْهُ بإفْكٍ يَهودٌ مِثْلَما استَنْبَحَ بَدْرٌ كِلاَبا[4]
فادْعُني حَسَّانَ مَدْحٍ وزِدْني إنني أحْسَنْتُ عنه المنَابا[5]
يا رسولَ الله عُذْراً إذَا هِبْـ ـتُ مَقَامًا حَقُّه أنْ يُهابا
إنني قُمْتُ خَطيباً بِمَدْحِـ ـكَ وَمَنْ يَمْلِكُ منه الخطابا
وتَرَامَيْتُ به في بِحارٍ مُكْثرا أمواجُها والعُبابا[6]
بِقَوَافٍ شُرِعَتْ للأعادِي وجَدُوها في نفوسٍ حِرَابا
هِيَ أَمْضَى مِنْ ظُبَي البِيضِ حَدًّا في أعاديكَ وأنكَى ذُبابا[7]
فارْضَهُ جَهْدَ مُحِبٌّ مُقِلٌّ صَانَه حُبُّك مِنْ أنْ يُعابا[8]
شابَ في الإسلام لكنْ له فيـ ـكَ فؤادٌ حُبُّه لنْ يُشابا
يَتَهَنَّى بالأمانيِّ إنَّهُ قبلَ مماتٍ أنابا
كلما أوْسَعَهُ الشَّيْبُ وعظاً ضَيَّقَ الخوفُ عليه الرِّحابا
ضَيَّعَ الْحَزْمَ وفيه شباب وأتى مُعتذرا حِينَ شابا[9]

---

(١) الحيا: الخِصب والمطر.
(٢) وفي رواية: وسع العالمين.
(٣) السِّخاب: قِلادة من سَكّ وقرنفل وعلب بلا جوهر.
(٤) الإِفْك: الكذب.
(٥) حسان، يعني حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) في الأصل: في بجار. العُباب: مُعظم السيل، وارتفاعه.
(٧) الظبي: جمع الظُبَة: حد السيف.
(٨) ذُباب السيف: حدُّه، أو طرفه المتطرّف.
(٩) في نسخة: وأتى معذراً.

وغدا مِنْ سُوءِ ما قد جَنَاهُ   نادِماً يَقْرَعُ سِنّاً وَنابا[1]
أفلا أرجو لِذَنبي شفيعًا   ما رَجاهُ قَطُّ راجٍ فخابا
أحمدُ الهادي الذي كلما جِئْـ   ـتُ إليه مُستتيبا أثابا
فاعذِروا في حُبِّ خيرِ البرايا   إنْ غَبطْنا أو حَسَدْنا الصّحابا
إنْ بدا شمساً وصاروا نجومًا   وطَمَى بحرا وفرُّوا ثِغابا[2]
أقلَعَتْ سُحْبُ سُفنِهِمْ سِجالا   مِنْ علوم وَوَرَدْنا انصبابا[3]
وَغَدَوْنا بينَ وَجْدٍ وَفَقْدٍ   يَعْظُم البُشْرَى به وَالمُصابا
وَتَبارَأْنا من النّصْبِ وَالرَّفْـ   ـضِ وَأوْجَبْنا لكلٍّ جَنابا
إنَّ قوماً رضي الله عنهم   مالنا نُلْقى عليهم غِضَابا
إنني في حُبِّهم لا أحابي   أحداً قطُّ وَمَنْ ذا يُحابَى
صلوات الله تَتْرَى عليه   وَعليهم طيِّباتٌ عِذابا
يفتَحُ الله علينا بها مِنْ   جُودِهِ وَالفَضْلِ باباً فبابا
ما انتَضى الشَّرْقُ من الصُّبْحِ سَيْفاً   وَفَرَى مِنْ جُنحِ لَيْلٍ إهابا[4]

وقال أيضاً عفا الله عنه، يمدح النبي ﷺ: [الوافر]

بمدحه تحيا القلوب

بِمَدْحِ المصطفى تَحيا القلوبُ   وَتُغْتَفَرُ الخطايا وَالذُّنوبُ
وَأرجُو أنْ أعِيشَ به سعيداً   وَألقاهُ وَليس عَلَيّ حُوبُ[5]
نبيٌّ كاملُ الأوصافِ تَمّتْ   محاسِنُه فقيل له الحبيبُ
يُفَرِّجُ ذِكْرُهُ الكُرُباتِ عنا   إذا نَزَلَتْ بساحَتِنا الكُروبُ
مدائحُه تَزيدُ القَلْبَ شَوْقا   إليه كأنها حَلْيٌ وَطيبُ

---

(١) في نسخة: منيباً أنابا.
(٢) الثّغاب: جمع الثّغب: أكثر ما بقي من الماء في بطن الوادي. وقد شبّه النبي بالشمس والبحر، وسواه نجوم وثغاب.
(٣) السّجال: جمع السّجْل: الدلو العظيمة مملوءة.
(٤) فرى: شقّ: الإهاب: الجِلد.
(٥) كما في النسخة الثانية.
(٦) الحُوب: الهلاك.

وَأذْكُـرُهُ وَلَـيْـلُ الـخَـطْـبِ داج ... عَلَيَّ فَتَنْجَلِي عني الخُطوبُ[1]
وَصَفْتُ شمائلاً منه حِساناً ... فما أدري أَمَدْحٌ أمْ نَسيبُ
وَمَنْ لي أنْ أرى منه مُحَيّاً ... يُسَرُّ بحسنِهِ القَلْبُ الكئيبُ
كأنَّ حديثَه زَهْرٌ نَضِيرٌ ... وَحامِلَ زَهْرِهِ غُصْنٌ رَطيبُ
ولِي طَرْفٌ لِمَرْآهُ مَشوقٌ ... وَلِي قلبٌ لِذِكْراهُ طَروبُ
تَبَوَّأَ قابَ قَوْسَيْنِ اختصاصا ... وَلا وَاشٍ هناكَ وَلا رقيبُ[2]
مَناصِبهُ السَّنِيَّةُ ليسَ فيها ... لإنسانٍ وَلاَ مَلَكٍ نَصِيبُ
رَحِيبُ الصَّدْرِ ضاقَ الكَوْنُ عما ... تَضَمَّنَ ذلك الصَّدْرُ الرحيبُ
يُجَدِّدُ في قُعودٍ أوْ قِيام ... له شَوْقِي المُدَرِّسُ وَالخَطيبُ
عَلى قَدَرٍ يُمِدُّ الناسَ عِلْماً ... كما يُعْطِيك أدْوِيَةً طبيبُ
وَتَسْتَهْدِي القلوبُ النُّورَ منه ... كما استهدَى مِنَ البَحْرِ القَلِيبُ[3]
بَدَتْ للناسِ منه شُموسُ عِلْم ... طَوالِعَ ما تَزُولُ وَلا تَغِيبُ
وَأَلْهَمَنا به التَّقْوَى فَشَقَّتْ ... لنا عَمَّا أكَنَّتْهُ الغُيوبُ[4]
خَلائِقُهُ مَواهِبُ دُونَ كَسْب ... وشَتَّانَ المَواهِبُ وَالكُسُوبُ
مُهَذَّبَةٌ بنورِ الله ليستْ ... كأخلاقٍ يُهَذِّبُها اللَّبِيبُ
وَآدابُ النُّبُوَّةِ مُعجِزاتٌ ... فكيفَ يَنالُها الرجُلُ الأديبُ
أَبَيْنَ مِنَ الطِّباعِ دَمًا وَفَرْثًا ... وَجاءت مثلَ ما جاءَ الحليبُ[5]
سَمِعْنا الوَحْيَ مِنْ فِيهِ صريحًا ... كغادِيَةٍ عَزالِيها تَصُوبُ[6]
فلا قَوْلٌ وَلا عَمَلٌ لَدَيْـهـا ... بفاحِشَةٍ وَلا بِهَوىً مَشُوبُ[7]
وَبالأهواء تَخْتَلِفُ المساعي ... وَتَفْتَرِقُ المذاهبُ وَالشُّعوبُ
ولَمّا صار ذاكَ الغَيْثُ سَيْلاً ... علاهُ مِنَ الثَّرَى الزَّبَدُ الغَريبُ

---

(١) ليل داج: ليل مظلم.

(٢) كناية عن علو مكانته صلى الله عليه وسلم.

(٣) القليب: البئر.

(٤) أكنّته: سترته.

(٥) الفَرْث: السِّرجين في الكَرِش.

(٦) الغادية: السحابة تنشأ غدوة. أو مطرة الغداة.
العزالي: جمع العَزْلاء: مَصَبّ الماء من الراوية ونحوها.

(٧) مَشُوب: مخلوط.

فلا تَشْبُبْ لِقَوْلِ الله رَيْبًا ... فما في قولِ رَبِّك ما يَرِيبُ
فإن تَخلُقْ لهُ الأعداءُ عَيْبًا ... فَقَوْلُ العَائِبِينَ هو المَعيبُ
فَخالِفْ أُمَّتَيْ موسى وَعيسى ... فما فيهمْ لخالِقِهِ مُنِيبُ
فَقَوْمٌ منهم فُتِنُوا بِعِجْلٍ ... وَقَوْمًا منهمْ فَتَنَ الصَّليبُ(١)
وَأحبارٌ تَقُولُ لَهُ شَبِيهٌ ... وَرُهْبَانٌ تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ(٢)
وَإنَّ محمداً لرسولُ حَقٍّ ... حَسِيبٌ في نُبُوَّتِهِ نَسِيبُ
أمِينٌ صادِقٌ بَرٌّ تَقِيٌّ ... عليمٌ ماجِدٌ هادٍ وَهُوبُ(٣)
يُرِيكَ عَلَى الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهًا ... تَرُوقُ به البَشَاشَةُ وَالقُطوبُ
يُضِيءُ بِوَجْهِهِ المِحْرَابُ لَيْلاً ... وَتُظْلِمُ في النهارِ به الحُروبُ
تَقَدَّمَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ نَبِيٍّ ... نماهُ وهكذا! البَطَلُ النَّجيبُ
وصَدَّقَهُ وحَكَّمَهُ صَبِيًّا ... مِنَ الكُفَّارِ شُبَّانٌ وشِيبُ
فلما جاءَهم بالحقِّ صَدُّوا ... وصَدُّ أُولئك العَجَبُ العَجيبُ
شريعَتُهُ صِراطٌ مُستقيمٌ ... فليسَ يَمَسُّنَا فيها لُغوبُ(٤)
عليكَ بها فإنَّ لها كِتابًا ... عليه تَحسُدُ الحَدَقَ القلوبُ
يَنُوبُ لها عَنِ الكُتْبِ المَوَاضي ... ولَيْسَتْ عنه في حالٍ تَنُوبُ
ألَمْ تَرَهُ يُنَادِي بالتَّحَدِّي ... عَنِ الحُسْنِ البَدِيعِ به جُيوبُ
وَدانَ البَدْرُ مُنْشَقًّا إليه ... وأفصَحَ ناطِقاً عَيْرٌ وَذِيبُ(٥)
وَجِذْعُ النَّخْلِ حَنَّ حَنِينَ ثَكْلى ... لهُ فأجابهُ نِعْمَ المُجيبُ
وَقد سَجَدَتْ لهُ أغصانُ سَرْحٍ ... فلِم لا يؤمِنُ الظَّبْيُ الرَّبِيبُ(٦)
وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ في المَحْلِ منها ... رَبَتْ وَاهتَزَّتِ الأرضُ الجَدِيبُ
وَروَّى عَسْكَرًا بحليبِ شاةٍ ... فعاوَدَهُم بهِ العَيْشُ الخَصيبُ
وَمَخبولٌ أتاهُ فثابَ عَقْـ ... إليهِ وَلَمْ نَخلْهُ له يثُوبُ(٧)

---

(١) الذين فتنوا بالعجل هم يهود. والذين فتنوا بالصليب وعبدوه هم النصارى.
(٢) الضَّريب: المثيل.
(٣) هُوب: أي مهيب يخافه الناس.
(٤) اللغُوب: التعب.
(٥) العَير: الحِمار.
(٦) السَّرح: شَجر عِظام، أو كل شجر لا شوك فيه. الربيب: المعاهد.
الرَّبيب: المربوب، والمعاهد.
(٧) ثاب: رجع.

وما ماءٌ تَلَقَّى وهو مِلْحٌ أُجاجٌ طَعْمُهُ إلاّ يَطِيبُ
وعينٌ فارقَتْ نظرًا فعادت كما كانتْ ورُدَّ لها السَّلِيبُ
ومَيْتٌ مُؤذِنٌ بِفِراقِ رُوحٍ أقامَ وسُرِّيَتْ عنه شَعُوب[1]
وثَغْرُ مُعَمَّرٍ عُمرًا طويلاً تُوُفِّي وهْوَ مَنْضُودٌ شَنِيب[2]
وَنَخْلٌ أثمرتْ في دُونِ عامٍ فَغَارَ بها عَلَى القِنْوِ العسيبُ[3]
وَوفَّى منهُ سَلْمانُ دُيُونًا عليه ما يُوفِّيها جَرِيب[4]
وَجَرَّدَ مِنْ جَرِيدِ النَّخلِ سَيْفًا فقِيلَ بِذاكَ للسَّيْفِ القَضِيبُ
وهَزَّ ثَبِيرُ عِطْفَيْهِ سُروراً به كالغُصْنِ هَبَّتْهُ الجَنُوبُ[5]
وردَّ الفيلَ والأحزابَ طَيْرٌ وريحٌ ما يُطاقُ لها هُبُوبُ
وَفارِسُ خانها ماءٌ ونارٌ فغِيضَ الماءُ وانطفَأَ اللَّهِيبُ
وَقد هَزَّ الحسامَ عليه عادٍ بِيَوْمٍ نَوْمُهُ فيه هُبُوبُ
فقامَ المصطفى بالسيفِ يَسْطو عَلَى السَّاطي به وَلَهُ وُثُوبُ
وريعَ لهُ أبو جهلٍ بِفَحْلٍ يَنُوبُ عَنِ الهِزَبْرِ لهُ نُيُوب[6]
وَشُهْبٌ أُرْسِلَتْ حَرَسًا فخُطَّتْ عَلَى طِرْسِ الظَّلامِ بها شُطوبُ
وَلَمْ أرَ مُعجزاتٍ مِثْلَ ذِكْرٍ إليه كلُّ ذِي لُبٍّ يُنِيبُ
وما آياتُه تُحْصَى بِعَدٍّ فَيُدْرِكَ شَأْوَها مني طَلُوب[7]
طَفِقْتُ أعُدُّ منها مَوْجَ بَحْرٍ وَقَطْرًا غَيْثُهُ أَبَدًا يَصُوبُ[8]
يَجُودُ سَحابُهُنَّ وَلا انْقِشاعٌ وَيَزْخَرُ بَحْرُهُنَّ وَلا نُضُوبُ
فَراقَكَ مِنْ بَوارِقِها وَمِيضٌ وَشاقَكَ مِنْ جَواهِرِها رُسُوبُ
هدانا للإلهِ بها نَبِيٌّ فضائِلُه إذا تُحْكَى ضُروبُ

---

(١) الشَّعُوب: المنية.

(٢) منضود: ما وضع بعضه فوق بعض. الشَّنَب: العذوبة في الأسنان.

(٣) القِنو: عِذق النخلة. العسيب: جريدة النخل. وفي نسخة: وعاد بها على العفو العشيب.

(٤) الجريب: مِكيال قدر أربعة أقفزة.

(٥) ثبير: اسم لستة جبال بظاهر مكة وهي: ثبير الخضراء، والنَّصع، والزَّنج، والأعرج، والأحدب، وغَيناء. الجَنوب: ريح تخالف الشمال.

(٦) الهِزَبْر: الأسد.

(٧) الشأو: السَّبْق.

(٨) يصوب: يسيل.

وأخْبَرَ تابِعِيهِ بِغائِباتٍ ... وليس بكائنٍ عنه مَغيبُ
ولا كَتبَ الكتابَ ولا تلاه ... فيُلْحِدَ في رسالته المُرِيبُ
وَقد نالوا عَلَى الأمم المَوَاضي ... به شَرَفًا فكلُّهُمُ حَسِيبُ
وما كأميرِنا فيهم أميرٌ ... ولا كنقيبِنا لهمُ نقيب
كأنَّ عليمنا لهمُ نبيٌّ ... لدعوتِهِ الخلائقُ تستجيب
وَقد كُتِبَتْ علينا واجباتٌ ... أشَدُّ عليهمُ منها النُّدوب[1]
وما تتضاعفُ الأغلالُ إلاّ ... إذا قَسَتِ الرِّقابُ أوِ القلوبُ
ولما قيلَ للكفارِ خُشْبٌ ... تَحَكَّمَ فيهمُ السيفُ الخشِيب[2]
حَكَوْا في ضَرْبِ أمثلةٍ حَمِيرا ... فواجِدُنا لأِلْفِهِمُ ضَرُوبُ
وما عُلَماؤُنا إلا سُيوفٌ ... مَواضٍ لا تَفُلُّ لها غُروب[3]
سَراةٌ لم يَقُلْ منهم سَرِيٌّ ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ يَوْمٌ عَصِيب[4]
وَلَمْ يَفْتِنْهُمُ ماءٌ نَمِيرٌ ... مِنَ الدنيا ولا مَرْعىً خصيب[5]
ولم تُغْمَضْ لهمْ ليلاً جُفونٌ ... ولا أَلِفَتْ مَضاجِعَها جُنُوب
يَشُوقُكَ منهمُ كلُّ ابنِ هَيْجَا ... عَلَى اللأواءِ مَحْبُوبٌ مَهيب[6]
له مِنْ نَقْعِهَا طَرْفٌ كَحِيلٌ ... ومِنْ دَمِ أُسْدِها كَفٌّ خَضِيب[7]
وتنهالُ الكتائبُ حينَ يَهْوِي ... إليها مِثلَ ما انهال الكثيبُ[8]
على طُرُقِ القَنا للموْتِ منه ... إلى مُهَجِ العِدا أبدًا دَبيب[9]
يُقَصِّدُ في العِدا سُمْرَ العَوالي ... فيَرْجِعُ وهْوَ مسلوبٌ سَلوبُ[10]
ذَوابِلُ كالعُقودِ لها اطِّرادٌ ... فليسَ يَشُوقُها إلاّ التَّرِيبُ[11]

---

(١) النُّدُوب: جمع الندب: الشق.
(٢) الخشيب: الصقيل.
(٣) غُروب: جمع الغرب وهو حد السيف. تُفَل: تُقطع.
(٤) السَّرِي: الشريف.
(٥) ماء نَمير: ماء عذب.
(٦) ابن هيجا: كناية عن المحارب. اللأواء: الشّدة.
(٧) النّقع: الغبار. خضيب: مصطبغ.
(٨) الكثيب: التل من الرَّمْل.
(٩) المُهَج: جمع المُهجَة: الدم، أو دم القلب، والروح.
(١٠) يقصِّد: يكسر. سمر العوالي، أي: الرماح.
(١١) ذوابل: ذاوية، جمع ذابل. ويريد الرماح. تريب: واحد الترائب: عظام الصدر.

يَخِرُّ لِرُمْحِهِ الرُّومِيُّ أنّى تيقَّنَ أنه العُودُ الصَّليبُ[1]
ويَخْضِبُ سَيفَهُ بِدَمِ النَّواصي مَخافَةَ أنْ يُقالَ به مَشِيبُ[2]
له في الليلِ دَمْعٌ لَيسَ يَرْقا وقلبٌ ما يَغِبُّ له وجِيبُ[3]
رسولَ الله دعوةَ مُستقيلٍ مِنَ التقصيرِ خاطِرُهُ هَيُوبُ[4]
تَعَذَّرَ في المَشِيبِ وكانَ عَيًّا وَبُرْدُ شبابِهِ ضافٍ قشيبُ[5]
ولا عَتْبَ على مَنْ قامَ يَجلو محاسِنَ لا تُرَى معها عيوبُ
دعاكَ لكلِّ مُعْضِلَةٍ ألمتْ به ولكلِّ نائبةٍ تَنوبُ
وللذَّنْبِ الذي ضاقَتْ عليه به الدنيا وجانِبُها رَحِيبُ
يراقِبُ منه ما كَسَبَتْ يَداه فيَبْكيه كما يَبْكي الرَّقوبُ
وأنى يَهتدي للرُّشْدِ عاصٍ لغاربِ كلِّ معصيةٍ رَكُوبُ
يَتُوبُ لسانُهُ عَنْ كلِّ ذَنْبٍ وَلم يَرَ قلبَهُ منه يَتُوبُ
تَقاضَتْهُ مواهِبُكَ امْتِداحاً وَأوْلَى الناسِ بالمَدْحِ الوَهوبُ
وَأغْراني به داعي اقْتِراحٍ عَلَيَّ لأَمْرِهِ أبدًا وُجُوبُ
فقلتُ لِمَنْ يَحُضُّ عَلَيَّ فيه لعلَّك في هواهُ لي نَسيبُ
دَلَلْتَ عَلَى الهَوَى قلبي فَسَهْمِي وَسَهْمُك في الهَوَى كلٌّ مُصيبُ
لجودِ المصطفى مُدَّتْ يَدانا وما مُدَّتْ له أيدٍ تَخِيبُ
شفاعَتُهُ لنا ولكلِّ عاصٍ بِقَدْرِ ذُنوبِهِ منها ذَنوبُ[6]
هُوَ الغَيْثُ السَّكُوبُ نَدًى وعِلْمًا جَهِلْتُ وما هُوَ الغَيْثُ السَّكوبُ
صلاةُ اللهِ ما سارت سَحابٌ عليه وما رَسا وَثَوَى عَسِيبُ[7]

وقال أيضاً؛ في مدحه ﷺ[8]: [الكامل]

---

(١) العود الصليب: الشديد.
(٢) النّواصي: جمع الناصية: مقدم شعر الرأس، أو قُصاص الشعر.
(٣) رقأ الدمع: جف، وجيب القلب: خفقانه.
(٤) استقال: طلب الإقالة من الذّنب.
(٥) القشيب: الجديد، والأبيض والنظيف، البُرْد: الثوب المخطط.
(٦) الذّنوب: الحظ والنصيب.
(٧) ثوى: أقام. عَسيب: جبل بعالية نجد: وجبل لهُذَيل.

المصطفى الماحي

وَافاكَ بالذنبِ العظيمِ المُذْنِبُ ... خَجِلاً يُعَنِّفُ نفسَهُ ويُؤَنِّبُ

لم لا يَشُوبُ دُمُوعَهُ بدمائِهِ ... ذو شَيبَةٍ عَوْرَاتُها مَا تُخْضَبُ(١)

لَعِبَتْ به الدنيا ولولا جَهْلُهُ ... ما كان في الدنيا يخوضُ ويَلْعَبُ

لَزِمَ التَّقَلُّبَ في مَعَاصي رَبِّهِ ... إذْ باتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلَّبُ

يستغفرُ اللهَ الذُّنوبَ وقلبُهُ ... شَرِهًا على أمثالِها يَتَوَثَّبُ

يُغْرِي جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ ... فكأنَّهُ فيما استَبَاحَ مُكَلِّبُ(٢)

أضْحَى بِمُعْتَرَكِ المَنايا لاهِيًا ... فكأنَّ مُعْتَرَكَ المنايا مَلْعَبُ

ضاقَتْ مذاهِبُهُ عليهِ فما لَهُ ... إلَّا إلى حَرَمٍ بطَيْبَةَ مَهْرَبُ(٣)

مُتَقَطِّعُ الأسبابِ مِنْ أعمالِهِ ... لكنَّهُ بِرَجَائِهِ مُتَسَبِّبُ

وَقَفَتْ بجاهِ المصطفى آمالُهُ ... فكأنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ

وَبَدا لَهُ أنَّ الوُقُوفَ بِبابِهِ ... بابٌ لِغُفْرانِ الذُّنوبِ مُجَرَّبُ

صلَّى عليهِ اللهُ إنَّ مَطامِعي ... في جُودِهِ قد غارَ منها أشْعَبُ

لِمَ لا يَغارُ وقد رآني دونَهُ ... أدركْتُ مِنْ خَيْرِ الوَرَى ما أطلُبُ(٤)

ماذا أخافُ إذا وَقَفْتُ بِبابِهِ ... وصَحائِفي سُودٌ ورأسِيَ أشْيَبُ

والمصطَفى الماحي الذي يمحو الذي ... يُحْصِي الرقيبُ على المُسِيءِ ويَكْتُبُ(٥)

بَشَرٌ سَعِيدٌ في النُّفُوسِ مُعَظَّمٌ ... مِقْدارُهُ وإلى القلوبِ مُحَبَّبُ

بِجَمالِ صُورَتِهِ تَمَدَّحَ آدَمٌ ... وبَيانِ مَنْطِقِهِ تَشَرَّفَ يَعْرُبُ

مِصباحُ كلِّ فَضيلَةٍ وإمامُها ... وَلِفَضْلِهِ فَضْلُ الخَلائِقِ يُنسَبُ

رِدْ واقْتَبِسْ مِنْ فَضْلِهِ فَبِحارُهُ ... ما تَنْتَهِي وشُموسُهُ ما تَغْرُبُ

فَلِكُلِّ سارٍ مِنْ هُداهُ هِدايَةٌ ... ولِكُلِّ عافٍ مِنْ نَداهُ مَشْرَبُ(٦)

وَلِكُلِّ عَيْنٍ منهُ بَدْرٌ طالِعٌ ... ولِكُلِّ قلبٍ منهُ لَيْثٌ أغْلَبُ

مَلأَ العوالِمَ عِلْمُهُ وثَناؤُهُ ... فيهِ الوُجُودُ مُنَوَّرٌ ومُطَيَّبُ

---

(١) يشوب: يخلط. تُخضَب: تُصبغ.

(٢) الجوارح: الأعضاء. المكَلِّب: معلّم الكلاب الصَّيد.

(٣) طَيبة: اسم للمدينة المنورة.

(٤) الورى: الخلق.

(٥) الماحي: من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه أن الله تعالى يمحو به الكفر.

(٦) العافي: طالب الرزق.

وَهَبَ الإلهُ لهُ الكمالَ وإنّهُ … في غَيْرِهِ مِنْ جِنْسِ مالا يُوهَبُ
كُشِفَ الغِطاءُ لهُ وقد أُسرِي به … فعلومُهُ لا شيءَ عنها يَعزُبُ(١)
وَلِقابِ قوسَيْنِ انتهى فمحلُّهُ … مِنْ قابِ قوسَيْنِ المَحَلُّ الأقربُ
ودنا دُنُوًّا لا يُزاحِمُ مَنكِباً … فيه كما زَعَمَ المُكَيِّفُ مَنكِبُ(٢)
فاتَ العبارَةَ والإشارَةَ فضلُهُ … فعليكَ منه بما يُقالُ ويُكتَبُ
صَدِّقْ بما حُدِّثْتَ عنه ففي الورى … بالغيبِ عنه مُصَدِّقٌ ومُكَذِّبُ
واسمَعْ مناقِبَ للحبيبِ فإنها … في الحُسْنِ مِنْ عَنْقاءَ مُغْرِبَ أغربُ(٣)
مُتَمَكِّنُ الأخلاقِ إلا أنه … في الحُكمِ يرضى للإلهِ ويَغضبُ
يَشفِي الصُّدورَ كلامُهُ فدواؤُهُ … طَوراً يُمَرُّ لها وطَوراً يَعذُبُ
فاطْرَبْ لتَسبيحِ الحَصى في كَفِّهِ … فمِنَ السَّماعِ لِذِكْرِهِ ما يُطْرِبُ(٤)
والجِذْعُ حَنَّ لَهُ وباتَ كمُغرمٍ … قَلِقٍ بفَقْدِ حَبيبِهِ يَتَكَرَّبُ
وَسَعَتْ له الأحجارُ فَهْيَ لأمرِهِ … تأتي إليه كما يشاءُ وتَذهَبُ
واهتَزَّ مِنْ فَرَحٍ ثَبيرٌ تحتَهُ … وَمِنَ الجبالِ مُسَبِّحٌ ومُؤَوِّبُ
والنَّخْلُ أثمرَ غَرْسُهُ في عامِهِ … وَبدا مُعَنْدَمُ زَهْوِهِ والمُذْهَبُ
وَبَنانُهُ بالماءِ أَرْوى عَسْكَرًا … فكأنه من دِيمَةٍ يَتَصَبَّبُ
والشَّاةُ إذْ عَطِشَ الرَّعِيلُ سَقَتْهُمُ … وهمُ ثلاثُ مِئِينَ مما يُحْلَبُ
وشَفى جميعَ المؤلِمَاتِ بريقهِ … يا طِيبَ ما يَرقي به ويُطَيِّبُ
ومَشى تُظَلِّلُهُ الغَمامُ لِظِلِّها … ذَيْلٌ عليه في الهواجِرِ يُسْحَبُ
وتَكَلَّمَ الأطفالُ والمَوْتى لَهُ … بعجائبٍ فَلْيَعجَبِ المُتَعَجِّبُ
والجِذْلُ مِنْ حَطَبٍ غدا لِعُكاشَةٍ … سَيْفًا وليس السيفُ مما يُحْطَبُ
وعَسِيبُ نَخْلٍ صارَ عَضْبًا صارِمًا … يَوْمَ الوَغى إذْ كلُّ عَيْنٍ تُقلَبُ
وأضاءَ عُرْجُونٌ وَسَوْطٌ في الدُّجى … عَنْ أمرِهِ فكأنَّ كُلاًّ كَوْكَبُ

---

(١) يعزب: يبعد.

(٢) المكيف: الذي يزعم الجسمية لله تعالى، وتعالى الله عما يصفون.

(٣) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم.

(٤) إشارة إلى تسبيح الحصى في يده وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم. وفيما يلي من الأبيات ب
من المعجزات: حنين الجذع، وتفجر الماء من بين أصابعه ليروي جيشاً... وشربه مع ثلاث مائة
حليب شاة واحدة...

وكأنَّ دعوَتَهُ طليعةُ قولِ كُنْ ... ما بَعدَها إلا الإجابةُ مَوْكِبُ
تَخطَى بها أبناءُ مَنْ يدعو لَهُ ... فكأنها وقفٌ عَلَى مَنْ يُعقِبُ
للناسِ فيها وابلٌ وصواعقٌ ... نَفسٌ بها تَحيا ونَفسٌ تَعطَبُ
والمَحْلُ إذْ عَمَّ البلادَ بَلاؤُهُ ... والريحُ يُشمِلُ بالسَّمومِ ويُجنِبُ(١)
واستَسلَمَ الوَحشُ المَرُوعُ لِصَيْدِهِ ... جُوعًا وصَرٌّ مِنَ الحَرورِ الجُندُبُ(٢)
والذِّئبُ مِنْ طولِ الطَّوى يَبكي عَلَى ... رِمَمِ المَواشي وابنُ دايَةَ ينعَبُ(٣)
والناسُ قد ظَنّوا الظُّنونَ كأنَّما ... سَلَبَتْ قلوبَهم الرياحُ القُلَّبُ
لم تَبكِ للأرضِ السماءُ به ولا ... رَقَّتْ لِشائمها البروقُ الخُلَّبُ(٤)
فَدَعَوكَ مَخبُوءًا لكلِّ كَريهةٍ ... جَلَتْ كما يُخبا الحسامُ ويُنْدَبُ
فَرَفَعتَ عَشرًا مِنْ أنامِلَ داعيًا ... فانهَلَّ أسبوعا سَحابٌ صَيِّبُ
فطغَى عَلَى بُنيانِ مكةَ ماؤُه ... أو كادَ يَنبُتُ في البيُوتِ الطُّحْلُبُ(٥)
لولا سألتَ الله سُقيا رَحمَةٍ ... ماتَتْ به الأحياءُ مما يَشربوا
فإذا البلادُ وكلُّ دارٍ رَوضَةٌ ... فيما يَرُوقُ وكلُّ وادٍ مُعشِبُ
قد جئتُ أستَسقي مكارِمَكَ التي ... يَحيا بها القَلبُ المواتُ ويُخصِبُ
يا مَنْ يُرَجّى في القيامةِ حيث لا ... أمٌّ تُرَجّى للنجاةِ ولا أبُ
يا فارجَ الكُرَبِ العِظامِ وَواهِبَ الـ ... مِنَنِ الجِسامِ إليكَ منك المهرَبُ
هَبْ لي مِنَ الغُفرانِ رَبِّ سعادةً ... ما تُستَعادُ ونِعمَةً ما تُسلَبُ
أيَضيقُ بي أمرٌ وبابُ المصطفى ... في الأرضِ أوسَعُ للعُفاةِ وَأرحَبُ(٦)
لا تَقنَطي يا نَفسُ إنَّ تَوَسُّلي ... بالمصطفى المختارِ ليسَ يُخَيَّبُ
أنّى يَخيبُ وقد تَعَطَّرَ مَشرِقٌ ... بِمَدائحي خيرَ الأنامِ ومَغرِبُ
آلَ النبيِّ وَمن لهم بالمصطفى ... مَجدٌ على السَّبعِ الطِّباقِ مُطَنِّبُ(٧)

---

(١) يُشمِل: يتجه شمالاً، يُجنب: يتجه جنوباً. السَّموم: الريح الحارة.
(٢) الحرور: حر الشمس.
(٣) الطوى: الجوع. ابن داية: كُنية الغراب.
(٤) يقال: شامَ البرقَ بمعنى نظر إليه أين يقصد. والبرق الخُلَّب: المطمع المخلف: الصَّيِّب: الانصباب.
(٥) الطحلب: خضرة تعلو الماء المُزمن.
(٦) العُفاة: طالبوا الرزق، والواحد: عافٍ.
(٧) السبع الطباق: السماوات، طنّبه تطنيباً: مَدّه بأطنابه وشدّه.

حُزْتُمْ عظيماً مِنْ تُراثِ نُبُوَّةٍ ... ما كان دونكُم لها مَنْ يَحجُبُ
اللهُ حَسْبُكُمُ وَحَسْبي إنني ... في كلِّ مُعْضِلَةٍ بِكُمْ أتحَسَّبُ
يا سادتي حُبّي لكم ما تَنقضي ... أعمارُه وَجبالُه ما تُقضَبُ(1)
مِنْ مَعْشَرٍ نَزَلوا الفَلاَ فحصونُهُمْ ... بِيضٌ بأطرافِ الرِّماحِ تُؤَشَّبُ(2)
ما فيهمُ لِسنانِ عَيْبٍ مَطْعَنٌ ... كَلاَّ وَلا لِحسامِ رَيْبٍ مَضْرِبُ
وَعَلَى الخَصاصَةِ يُؤْثِرُونَ بِزادِهِم ... وَيَلَذُّ مِن كَرَمٍ لَهُم أن يَسْغَبوا(3)
لا تَنْزِعِ اللُّوّامُ أثوابَ النَّدَى ... عنهم وَيَخْصِبُ جُودُهم أنْ يُجْدِبوا
جُبِلُوا على سِحْرِ البَيانِ فجاءهم ... حَقُّ البيانِ عَنِ الرِّسالةِ يُعْرِبُ
فاستسلَموا للعَجْزِ عنه وذو النُّهَى ... تأبى نُهاهُ قِتالَ مَنْ لا يُغْلَبُ
جاءتْ عجائبُهُم أمامَ عجائبٍ ... أمُّ الزَّمانِ بِهِنَّ حُبلَى مُقْرِبُ(4)
ما بالُ مَنْ غَضِبَ الإلهُ عليهم ... حادُوا عن الحقِّ المُبِينِ ونَكَّبُوا
كَفَرَتْ عَلَى عِلْمٍ بهم علماؤهم ... جَرَبَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَصِحَّ الأجربُ
هَلاَّ تَمَنَّى المَوْتَ منهمْ مَعشرٌ ... جَحَدُوه فامتَحنوا الدَّواءَ وَجَرِّبُوا
أفَيُؤمنون بِهِ وَمِمَّنْ جاءهم ... بالبَيِّناتِ مُقَتَّلٌ وَمُصَلَّبُ
عَبَدُوا وموسى فيهمُ العجلَ الذي ... ذُبِحُوا به ذَبْحَ العُجُولِ وَعُذِّبوا
وَصَبَوْا إلى الأوثانِ بعدَ وَفاتِه ... وَالرُّسْلُ مِنْ أسَفٍ عليهم تَندُبُ
وَإذا القلوبُ قَسَتْ فليس يُلِينُها ... خِلٌّ يَلُومُ ولا عَدُوٌّ يَعْتِبُ
وَأخو الضَّلالَةِ قالَ عيسى رَبُّه ... وَنَبِيُّهُ فأخو الضَّلالِ مُذَبْذَبُ(5)
ويقول خالقُه أبوهُ وابنه ... رَبٌّ وإنسانٌ ألا فَتَعَجَّبُوا
أبِهَذِهِ العَوراتِ جاءتْ كُتْبُهُمْ ... أمْ حَرَّفوا منها الصَّوابَ وَوَرَّبُوا(6)
فاعوجَّ منها ما استقامَ طلوعُه ... فكأنها بين النُّجومِ العقربُ

---

(1) تُقضَب: تُقطع.
(2) تؤشّب: تختلط.
(3) الخَصاصة: الفقر. السَّغب: الجوع.
(4) الحُبلى المقرِب: التي اقترب وقت وضعها.
(5) الرجل المُذبذَب: المتردِّد بين أمرين.
(6) ورَّبوا من التوريب: وهو أن تورّي عن الشيء بالمعارضات المباحات، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الضلالات التي جاء بها النصارى هي من صنعهم وليست في الكتاب الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام.

عَجَباً لهمْ ما باهَلوه ولم أبِتْ أخبارُ نَجرانَ الذِينَ تَرَهَّبُوا(١)
ولقد تحَدَّى بالبيانِ لِقَومِهِ واليهِمْ يُعزَى البيان ويُنسَبُ
فتَهيَّبُوه وما أتَوْهُ بِسُورَةٍ مِنْ مِثلِه وبيانُهُم يُتهيَّبُ
مَنْ لَمْ يُؤَهِّلْهُ الإلُهُ لحالةٍ فاتَتْهُ وهوَ لِنَيلِها مُتأهِّبُ
عَجَباً لهم شَهِدُوا لهُ بأمانةٍ حتى إذا أدّى الأمانةَ كذَّبوا
وارتابَ فيه المشركون ولَمْ يَزَلْ بالصِّدْقِ عند المشركينَ يُلَقَّبُ
جَحَدُوا النبيَّ وقد أتاهم بالهُدَى لَوْلاَ القضاءُ سألتَهُمْ ما المُوجِبُ
لله يومُ خروجِه من مكةٍ كخروجِ موسى خائفًا يَترَقَّبُ
والجِنُّ تُنشِدُ وخشَةً لِفِراقِه شِعراً تَفِيضُ به الدُّموعُ وتُسكَبُ
والغارُ قد شَنَّتْ عليه غارةً أعداؤه حِرْصًا عليه وأجلبُوا(٢)
أرَأيتَ مَنْ يَجفو عليه قَوْمُه تَحنُو عليه العنكبوتُ وتَحْدَبُ
إنْ يكفروا بكتابِه فكتابُه فلَكٌ يَدُورُ على الوُجُودِ مُكَوْكَبُ
قامت لنا وعليهمُ حُجَجٌ به فبدا الصَّباحُ وجَنَّ منه الغَيْهَبُ(٣)
فتصادمَ الحَقُّ المُبينُ وإفكُهُمْ فإذا النُّفُوسُ عَلَى الرَّدى تَتَشَعَّبُ(٤)
فدَعَوْا نَزالِ فأوقدَتْ نيرانَها سُمْرُ القَنا والعادِيَاتُ الشُّزَّبُ(٥)
فإذا بِدِينِ الكُفرِ يَندُبُ فَقْدَهُ ذُرِّيَّةٌ تُسبَى ومالٌ يُنهَبُ
غالَتْ بُغاثَهُمُ بُزاةٌ كَريهَةٍ أظفارُها في كل صَيْدٍ تَنشَبُ(٦)
حتى بكى عَمْرًا هِشامٌ في الثَّرَى مِنْ ذِلَّةٍ ونَعَى حُيَيًّا أخطَبُ(٧)
لا تُنكِرُوا بُغضِي عَدُوَّ المُصطفى إني بِبُغْضِهِمُ لهُ أتَحَبَّبُ
أقسَمْتُ لا تَنفَكُّ نارُ قَرِيحتي أبداً عَلَى أعدائه تَتَلَهَّبُ
هذا ونُطْقِي دائما بمديحِهِ أذكى مِنَ الوَرْدِ الجنِيِّ وأطيَبُ
أُهدِي له طِيبَ الثَّناءِ وإنه لَيُحِبُّ أنْ يُهدَى إليه الطَّيِّبُ

---

(١) المباهلة: المُلاعنة. نجران: مدينة في جنوب الجزيرة العربية.
(٢) يريد بالغار الذي التجأ إليه في طريقه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في هجرته.
(٣) الغيهب: الظُّلمة.
(٤) الإفك: الكذب.
(٥) القنا السُّمر: الرماح.
العاديات: الخيول. الشُّزَّب: الضامرة، الواحد: شازب.
(٦) البُغاث: طائر أغبر.
(٧) عمرو بن هشام: أبو جهل. حيي بن أخطب: أحد زعماء اليهود.

أُثْنِي عليه تَشَوُّقًا وتَعَبُّدًا ... لا أنني لِصِفاتِه أَسْتَوعِبُ
مُسْتَصْحِبًا حُبِّي وإيماني لهُ ... وكلاهُما مِنْ خَيْرِ ما يُسْتَصْحَبُ
أشتاقُ لِلحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوْعَةٍ ... في القلبِ تَحْدُو بي إلَيْهِ وَتَجْذِبُ
مالي سِوَى ذِكْرِي لهُ في رِحْلَتي ... زَادٌ وَلا غَيرُ اشتِياقي مَرْكَبُ
وَتَحِيَّةٍ مِنِّي إليه يَرُدُّها ... منه عليَّ مُسَلِّمٌ ومُرَحِّبُ
صلَّى عليه الله إنَّ صلاتَهُ ... فَرْضٌ عَلَى كلِّ الأنامِ مُرَتَّبُ
ما حنَّ مُشْتاقٌ إلى أوطانِه ... مِثْلي وراحَ بِوَصْفِها يَتَشَبَّبُ

قال رحمه الله؛ مهنئًا فخر الدين عثمان بقدومه؛ ويعرِّض في هجاء بعض النصارى: [الطويل]

يا فرحة الدنيا

أَرِيحُ الصَّبا هَبَّتْ عَلَى زَهَرِ الرُّبَا ... فأصبَحَ منها كلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبا[1]
أم الرَّاحُ أهْدَتْ لِلرياحِ خُمارَها ... فأسْكَرَ مَسْرَاهَا الوُجُودَ وطَيَّبا[2]
ألَمْ تَرَني هِزَّ التَّصابي مَعاطِفي ... وراجَعَني ما راقَ مِنْ رَوْنَقِ الصِّبا
فمنْ مُخْبِرِي ماذا السُّرُورُ الذي سَرَى ... فلا بُدَّ حَتْمًا أنْ يكونَ لهُ نَبَا
فقالوا: أعاد الله للناسِ فَخْرَهُمْ ... وَلِيًّا إلى كلِّ القلوبِ مُحَبَّبا
فقلت: أَفَخْرُ الدِّينِ عثمانُ؟ قال لي: ... بَلى!؟ قُلْ له أهْلاً وَسَهْلاً ومَرحَبا[3]
وقال الورَى لله دَرُّكَ قادِمًا ... سُقِينا به من رحمةِ الله صَيِّبا[4]
ونادَى مُنادٍ بينهم بِقُدُومِهِ ... فَرَهَّبَ منهم سامعين ورَغَّبا
فأوْسَعَهُمْ فضلاً فآمَنَ خائِفًا ... وَأنْصَفَ مظلومًا وَأخصبَ مُجْدِبا
وقد أخَذَتْ منه البسيطةُ زِينَةً ... فَفَضَّضَ منها الزهرَ حَلْيًا وذَهَّبا[5]
فيا فرحَةَ الدُّنيا وَفرحَةَ أهلِها ... بِيَوْمٍ له مِنْ وَجْهِ عثمانَ أعربا[6]

---

(١) الصَّبا: ريح مهبُّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، وهي ريح معتدلة.
(٢) الرَّاح: الخمرة. الخُمار: ما خالط من سُكر الخمرة.
(٣) فخر الدين عثمان هو: أستاذ الملك الكامل المتوفى سنة ٩٢٦ هـ. وفي نسخة: قلت أهلا...
(٤) الورى: الخلق. الصَّيِّب: الانصباب. وفي نسخة: سقانا به.
(٥) البسيطة: الأرض.
(٦) في نسخة: عن وجه.

وشاهد منهُ صُورةً يُوسُفِيَّةً تباهَى بها في الحُسنِ وَالبأسِ مَوكبا
مُفَوَّضُ أمرِ العالمينَ لِرَأيِهِ فكان بهمْ أولَى وأدرَى وأذرَبا[1]
أعيدوا على أسماعِنا طيبَ ذِكرِهِ لِيُطْفِيءَ وجْداً في القلوب تَلَهَّبَا
ولا تَحجُبُوا الأبصارَ عنَ حُسن وجهِهِ فقدْ كانَ عنها بالبِعادِ مُحَجَّبا
وَلِيٌّ إذا ضاقتْ يَدِي وَذَكَرْتُهُ مَلَكْتُ نِصَابًا أوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبا[2]
تَوَسَّلْ به في كلِّ ما أنتَ طالبٌ فكم نلتُ منه بالتوسُّلِ مَطْلَبا
وعِشْ آمِنًا في جاهِهِ إنَّ جاهَهُ لِقُصَّادِهِ راضَ الزمانَ وهَذَّبا
تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلاَدِي وزُرْتُه فَنِلْتُ غِنًى ما نالَهُ مَنْ تَغَرَّبا
على أنني ما زِلْتُ مِنْ بَرَكاتِه غنيًا وفي نَعْمائِه مُتَقَلِّبا
وكُنْتُ لِمَا يَرْضاه بالغيبِ فاعِلاً وكُنتُ لما لَمْ يَرْضَهُ مُتجنِّبا
ولا كان دِينارِي مِنَ النُّصح بهرَجًا يَدَيْهِ ولا بَرْقي مِنَ الوُدِّ خُلَّبا[3]
أمَوْلايَ أنسَيْتَ الوَرَى ذِكرَ مَنْ مَضَى وأغنى نَداكَ المادحينَ وأتعَبا
ولِي أدبٌ حُرٌّ أحَرِّمُ بَيْعَهُ وما كانَ بيْعُ الحُرِّ للحُرِّ مَذْهَبا
وقد أهجرُ العذْبَ الزُّلاَلَ عَلَى الصَّدَى إذَا كَدَّرَتْ لي السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبا[4]
وأنصِبُ أحيانًا شِباكَ قَناعَةٍ أَصِيدُ بها نُونًا وَضَبًّا وجُنْدبَا[5]
ومَهْمَا رآني شَاعِرٌ مُتَأسِّدٌ تَذابَ منها خِيفَةً وتَثَعْلَبَا[6]
أُراقِبُ مَنْ عَاشَرْتُ منهم كأنني أُراقِبُ كلبًا أوْ أُراقِبُ عَقْرَبا
كأني إذَا أهدِيهمُ عَنْ ضَ... هِمْ أُبَصِّرُ أعمَى أوْ أُقَوِّمُ أحْدَبا
فلا بُورِك المُسْتَخْدَمون عِصابَةً فكمْ ظالم منهم عَلَيَّ تَعَصَّبا
إذا ما بَرَى أقلامَهُ خِلْتَ أنه يَسُنُّ لَهُ ظُفراً ونابًا ومِخْلَبا
يغالِطُني بعضُ النَّصارَى جَهالَةً إذَا أوْجَبَ المُلْغَى وَألْغَى المُوجَبا[7]
ومَا كانَ مَنْ عَدَّ الثَّلاثَةَ واحداً بأعلم مِنِّي بالحِسابِ وأكْتَبا

---

(١) أذرَب: حدَّ.
(٢) النصاب من كل شيء: الأصل والمرجع.
(٣) البَرق الخلَّب: المُطمع المخلِف: البَهرج: الرديء.
(٤) الصَّدى: العطش.
(٥) النُّون: الحوت.
(٦) متأسِّد: صار كالأسد.
(٧) الموجَب: اللازم.

وَمَا الْحَقُّ في أفواهِ قومٍ كأنها ... أَوانٍ حوَتْ ماءً خَبيثاً مُطَحْلَبا[1]

مُفَلَّجةٍ أسنانُها فكأنها ... أصابَ بها الزِّنْجارُ أَحْجارَ كَهرَبا[2]

كأنَّ ثَناياهُم من الخَبَثِ الذي ... تَحَضْرَمَ في نِيَّاتِهِمْ وتَزَبَّبا[3]

عجبْتُ لأمْرٍ آلَ بالشَّيْخ مخْلصاً ... إلى أنْ يُعَرَّى كاللصُوصِ وَيُضرَبا

بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثيابَه ... وَأبْصرتُ جسماً بالدِّماءِ مُخَضَّبا

وَحلَّفتُهُ باللهِ ما كانَ ذَنْبُه ... فأقْسَمَ لِي باللهِ ما كانَ مُذْنبا

وَلكنْ حبيبٌ راحَ فِيَّ مُصَدِّقاً ... كلامَ عَدُوٍّ ما يزالُ مُكَذَّبا

فقلت: ومن كان الأميرُ حبيبَه ... فلا بد أنْ يَرْضَى عليه وَيَغْضَبا

فصبراً جميلاً فالمقدَّرُ كائنٌ ... فقد كانَ أمراً لم تجِدْ منهُ مَهْرَبا

فإبليسُ لَمَّا كانَ ضِدًّا لآدمٍ ... تَخَتَّلَ في عِصْيَانِهِ وَتَسَبَّبا[4]

وقد كانت العُقْبَى لآدمَ دونَه ... فتابَ عليه اللهُ مِنْ بعدُ واجْتبى[5]

وَمِنْ قبلِ ذا قد كنتُ إذ كنتَ ذاكِراً ... نَهَيْتُكَ أنْ تَلْقَى الأميرَ مُقَطِّبَا

دَعاكَ إلى أمرٍ مُهِمٍّ فجِئْتَهُ ... كأنَّكَ في عُرْسٍ أتَيْتَ مُشَبِّبا

فلا تَنْسَ فينا للأمير قضِيَّةً ... فَتَفْتَحَ باباً لِلْعِتَابِ مُجَرَّبا

وَإيَّاكَ أنْ تُبْطِي عَلَيَّ رَاتِبِي ... فَيَبْقَى عليكَ اللومُ منه مُرَتَّبا

وَخَفْ صارِماً هَزَّ المَدِيحَ فِرِنْدَهُ ... حَبِيبٌ إليه أنْ يُهَزَّ ويُنْدَبا[6]

فلا فارَقتْ منه السَّعادَةُ قائماً ... وَلا فَلَّتَتْ منه الحَوادِثُ مَضْرِبا

ولا زالَ دينُ اللهِ يَرْضَى الذي قَضَى ... به في بَنِي الغالِي وَيأبى الذي أبَى

---

(١) مُطَحْلب، أي: فيه طحلب وهو خضرة تعلو الماء.

(٢) أسنان مفلّجة: متباعدة ما بين الثنايا والرباعيات. الزّنجار: صدأ النحاس. الكهرباء: الكهرمان.

(٣) تحضرم: صار حصرماً. تزبّب: صار زبيباً، وكنّى بذلك عن الخبث والمرك.

(٤) تختّل: أظهر الخداع.

(٥) اجتبى: اختار.

(٦) فِرند السيف: بريقه ولمعانه.

وقال عفا الله عنه يمدح بعض الأمراء[1] : [المنسرح]

لا تظلموني

لاتظلموني وتظلموا الحِسْبَهْ | فليس بيني وبينها نِسْبَهْ
غيريَ في البَيْعِ والشرا دربٌ | وليس في الحالتينِ لي دُرْبَهْ
فهو أبو حَبَّةٍ كما ذكروا | لا يتغاضى للناسِ في حَبهْ
وقامَ في قومِهِ ليُنذِرَهم | فهو بإنذارِ قومِهِ أشْبَهْ
والناسُ كالزَّرْعِ في منابِتِهِ | هذا له تُربَةٌ وذا تُرْبَهْ
تالله لا يرضى فضلي ولا أدبي | ولا طِباعي في هذهِ السُّبَّهْ
أَجْلِسُ والناسُ يُهرَعونَ إلى | فِعلِيَ في السُّوقِ عُصْبةً عُصْبَهْ
أُوجِعُ زيدًا ضربًا وأُشبِعُهُ | سَبًّا كأني مُرقِّصُ الدُّبَّهْ
ويُكسِبُ الغَيْظُ مُقلتيَّ وخدِّيَّ | احمِرارًا كزامِرِ القِرْبَهْ
وآمُرُ الناسَ بالصَّلاحِ ولا | أُصلِحُ نفسي، حُرمتُها حِسْبَهْ
لَمْ أرَ في قُبحِ فعلِها حسنًا | كالكلبِ في السُّوقِ يُلقِحُ الكلبَهْ
وما كفاها حتى يُخيَّلَ لي | أنَّ اتِّباعَ أهوائها قُربَهْ
أعوذُ باللهِ أنْ أكونَ كمَنْ | تغلِبُهُ في الرَّقاعةِ الرَّغبَهْ
يمشي بها والصِّغارُ تُنشِدُهُ: | أميرُنا زارَنا بلا ركْبَهْ
وما يزالُ الغُلامُ يتبعُهُ | بِدِرَّةٍ مثلَ رأسِهِ صُلْبَهْ
وهوَ يقولُ: افسَحوا المُحْتَسِبِ | قد جاءكم مِن دِمَشقَ في غُلْبَهْ
لا تنقَفِلْ يا فلانُ في بَلَدٍ | لم تنقفِلْ منكَ بينهم ضَبَّهْ
فمن تباهى بأنَّهُ وتِدٌ | فليحتمِلْ دَقَّ كلِّ مِرزَبَّهْ[2]
ما بالُهُ خايَلَ الزمانَ بها | كَمْ كانَ لِلَّيلِ فيكَ مِنْ صَبَّهْ
وقائلٍ لَمْ يَقُلْ أتاهُ كذا | يَسْفَهُ في قولِهِ ولا يُجْبَهْ
معناهُ مَنْ لَمْ يكُنْ كوالدِهِ | فهوَ لَقيطٌ رَمَتْ بهِ قَحْبَهْ
قلتُ لهم عندَ صاحبي حُمُقٌ | في كُلِّ حينٍ يُلقيهِ في نَكْبَهْ

---

(۱) قال هذه الأبيات لما أمره السابقي بولاية الحسبة وامتنع عنها، وعاندة فيها الفخر الفيشي. وتجدر الإشارة إلى سقوط بيت من هذه القصيدة ذكر في مقدمة الطبعة المصرية وهو:

ما سوى حرفة الكتابة لي من | وطرا أبتغي ولا إربه
والشعر ميزانه... | البـ...بت....

(۲) المزربه: عُصيّة من حديد.

حَـصَّـلَ مـالاً جَـمًّـا وعَـدَّدَهْ مِـنْ أَصْـلِ مَـالِ الـزَّكـاةِ والـوَهـبَـهْ
وَصـارَ عَـدْلاً وعـاقِـدًا وَأَمِـيـنَ الْـ حُـكْـمِ مِنْ دون الْعدول في حِقَبَه
مُـنَـبِّـهُ قـومَـهُ عَـلَـى شُـغُـلٍ وسـاعَـدَ الـوقْـتُ سَـعْـدَ مَـنْ نَـبَّـه
وَخِفْتُ مِـنْ عَـتْـبِـهِـمْ عَـلَـيَّ كـمـا خـافَ الـعَـتـاهِـي الـعَـتْـبَ مِـنْ عُـتْـبَـه
فَـطَـارَ بُـرْغُـوثُـهُ لِـخِـفَّـتِـهِ وَرامَ يَـحْـكِـي الأُسـودَ فـي الـوثْـبَـه
فَـلَـمْ يَـرِمْ إِذْ رَمَـتْـهُ بِـفِـطْـنَـتِـه إلى وُهـودِ الـخـمـولِ مِـنْ هَـضْـبَـه[1]
أَغْـرَقَـهُ جَـهْـلُـهُ وَمـا سُـتِـرَتْ قَـطُّ لَـهُ سُـرَّةٌ وَلا رُكْـبَـه
وَعـادَ تَـمْـوِيـهُـهُ عـلـيـه وكَـمْ أَخْجَلَ شَيْبُ الذقونِ مَنْ خَضبَه[2]
وراحَ مِـثْـلَ الـنَّـواتِ فـي سُـفُـنٍ خَـيْـرٌ لَـهُ مِـنْ سُـلافَـةٍ عَـطْـبَـه[3]
وَسـاءَنِـي مـا جَـرَى عليه مِنَ النَّـسْـ ـوَةِ يـومَ الـخـمـيـسِ فـي الـتُّـرْبَـه
فـلا تَـسَـلْـنِـي فـمـا حَـضَـرْتُ لـهـا لـكِـنْ سـمِـعْـتُ الـصِّـيـاحَ والـنُّـدْبَـه
وقـالـتِ الـنـاسُ عـنـد مـا وَرَدَتْ لِـعَـزْلِـهِ الـكُـتْـبُ هـانَـتِ الـوَجْـبَـه
فـالـحـمـدُ للهِ فـاحْـمِـدُوهُ مَـعِـي عـلـى خَـلاصِـي مِـنْ هـذهِ الـنُّـشْـبَـه
الـيـوْمَ حَـقَّـقْـتُ أَنَّ أَمْـرَكَ بـالـحِـسْـ ـبَـةِ [لِـي] لـيـسَ كـان لـي لُـعْـبَـهْ
يـا مـاجِـدًا مـا يَـزالُ يُـنْـقِـذُ مَـنْ رَمـاهُ رَيْـبُ الـزَّمـانِ فـي كُـرْبَـه
إِنِّـي امْـرُؤٌ حِـرْفَـتِـي الـحِـسَـابُ فَـلا يَـدْخُـلُ رَيْـبٌ عـلـيَّ فـي حِـسْـبَـه
ولا تَـرُدُّ الـكُـتَّـابُ جـائِـزَةً عـلـى حِـسـابٍ مِـنِّـي ولا شَـطْـبَـه
يَـشْـرَقُ مـنـي بِـرِيـقِـهِ رَجُـلٌ يَـشـرَبُ مـالَ الـعُـمـالِ فـي شَـرْبَـه
وَالـشِّـعْـرُ مِـيـزَانُـهُ أُقَـوِّمُـه ولـيـس تَـنْـقـامُ مـنـه لـي حَـدْبَـه
فـإِنَّـنـي لا أرَى الـمـدِيـحَ بـه لِـلْـمـالِ بـلْ لِـلْـوِدادِ والـصُّـحْـبَـه
وَالشِّعْرُ عندي أَخُو العَدالَةِ لا أحـ ـسِـبُ أَقْـوالَـهُ ولا كَـسْـبَـه
فَـلَـمْ أَكُـنْ أَتْـبَـعُ الـعَـذُولَ إِلَـى عَـقْـدٍ إذا مـا دُعـاؤُهُ خُـطْـبَـه
مِـنْ كـلِّ مَـنْ لا يـخـافُ عـاقِـبَـةً كـأنـه فـي ذهـابِـه عُـقْـبَـه
يَـذْبَـحُـه ظُـلْـمُـه وَيَـنْـحَـرُهُ الْـ جَـهْـلُ بِـلا شَـفْـرَةٍ ولا حَـرْبَـه
كَـمْ غَـيْـبَـةٍ قَـدْ أَتـاكَ بـهـا الـشـ ـاهِـدُ فِـي سَـلَـمٍ وَفـي كِـذْبَـه

(١) وهُود: جمع وَهدة: صفرة.

(٢) التمويه: أنْ تُخبر بخلاف ما سُئلت عنه.

(٣) النّوات: جمع النُّوتي: الملاّح في البحر. السُّلافة: الخمرة أو أصفاها.

يُنِيلُ نَيْلَ الفُسوقِ مِنْ فَمِهِ لا بارَكَ اللهُ فيهِ مِنْ جُعْبَه
فَلَيسَ لي في الشُّهودِ مِنْ أَرَبِ إذْ وُصِفُوا كالْيَهودِ بالأَرْبَه[1]
فارْحَمْ لبِيبًا يَوْمًا دَعاكَ وَقَدْ بَلَغَتِ الجوعُ رَوحَهُ اللَّبَّه[2]
لوْ عَمَّرَ ابنُ المِعمار خَوَّلَهُ نِيابَةَ الخِدْمَتَيْنِ والخُطْبَه
وَلَمْ يَدَعْهُ كَلاً عَلى أَحَدٍ بِغَيرِ نَفْعٍ كأنه وَلْبَه[3]
حاشاكَ يا مَنْ أَبْوابُهُ وَطَني تَخْتارُ لِي أنْ أَموتَ في الغُرْبَه
وَأَنَّ حالِي وَحالَ عائِلَتي لا يَحْمِلونَ النَّوَى ولا الغُرْبَه
إنْ كانَ أَرْضَى الزَّمانَ فُرْقَتُنا فاغْضَبْ على صَرْفِهِ لنا غَضْبَه
فأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ تُطِيعُهُمُ الْـ أَيّامُ عَنْ رَغْبَةٍ وَلا رَهْبَه
مِنْ مَلِيكٍ ما فَوْقَ رُتْبَتِهِ على عَظِيمِ اتِّضاعِهِ رُتْبَه
ما مَلِكُ الرُّومِ في جَلالَتِهِ أَحَقُّ منه بالطَّيْرِ والقُبَه
أَنْتَ الأَميرُ المُعيدُ أَلْسُنَنا كالعُودِ منه بِذِكْرِهِ رَطْبَه
والسّابِقُ الأَوَّلينَ في كَرَمٍ لَمّا جَرَى والكِرامُ في حَلْبَه
والهازِمُ الجَيْشَ والكتائِبَ بالطَّعْـ ـنَةِ يَوْمَ الوَغَى وبالضَّرْبَه
والطاهِرُ الذَّيْلِ والطَّوِيَّةِ أَوْ يَكْفِي السَّعيدَ الحَراكَ والنَّصْبَه[4]
مَنْ خُلْقُهُ كالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إنْ هَبَّ عليه مِنْ نَشْرِهِ هَبَّه
وَمَنْ إذا ذَكَرْتَ سُؤْدُدَه يَهُزُّني عِنْدَ ذِكْرِهِ طَرْبَه
صَلاحُهُ اسْتَخْدَمَ الزَّمانَ لَهُ فَصارَ يَمْشي قُدّامَهُ حَجَبَه

القصيدة الهائية للإمام البوصيري[5]: [المتدارك]

قافية التاء

الصُّبْحُ بَدَا مِنْ طَلْعَتِهِ وَاللَّيْلُ دَجا مِنْ وَفْرَتِهِ
فَاقَ الرُّسُلاَ فَضْلاً وَعُلاَ أَهْدَى السُّبُلاَ لِدَلاَلَتِهِ

---

(١) الأرب: العقل. الأربة: الدهاء.
(٢) اللبة: موضع القلادة من الصدر، النحر.
(٣) الكَل: الثقل والإعياء.
(٤) الطوية: السريرة. النصبة: من النصب أي التعب.
(٥) المجمعة الكبرى في القصائد: ٧٠.

كَـنْـزُ الْـكَـرَمِ مُـوْلِـي الـنِّـعَـمِ ... هَـادِي الأُمَـمِ لِـشَـرِيـعَـتِـهِ
أَذْكَـى الـنَّـسَـبِ أَعْـلَـى الْـحَـسَـبِ ... كُـلُّ الـعَـرَبِ فـي خِـدْمَـتِـهِ
سَـعَـتِ الـشَّـجَـرُ نَـطَـقَ الـحَـجَـرُ ... شُـقَّ الـقَـمَـرُ بِـإِشَـارَتِـهِ
جِـبْـرِيـلُ أَتَـى لَـيْـلَـةَ أَسْـرَى ... وَالـرَّبُّ دَعَـاهُ لِـحَـضْـرَتِـهِ
نَـالَ الـشَّـرَفَـا واللهُ عَـفَـا ... عَـمَّـا سَـلَـفَـا مِـنْ أُمَّـتِـهِ
فَـمُـحَـمَّـدُنَـا هُـوَ سَـيِّـدُنَـا ... فَـالـعِـزُّ لَـنَـا لإِجَـابَـتِـهِ

قافية الجيم

وقال في الشيخ زين الدين الرَّعاد[1]: [الطويل]

شعري بحرٌ

لَقَدْ عابَ شِعْرِي في البَرِيَّةِ شاعِرٌ ... ومَنْ عابَ أَشْعارِي فلا بُدَّ أنْ يُهْجَا
وَشِعْرِي بَحْرٌ لا يُوَافِيهِ ضِفْدَعٌ ... وَلا يَقْطَعُ الرَّعَّادُ يَوماً لَهُ لُجَّا[2]

قافية الحاء

قال يمدحه ﷺ، وهي من الكامل:

مدائحي كفّارة

أَمَـدَائِـحٌ لـي فـيـكَ أَمْ تَـسْـبِـيـحُ ... لَـوْلاكَ ما غَـفَـرَ الـذنوبَ مَـدِيـحُ
حُدِّثْتُ أنَّ مَدَائِحي في المُصطفَى ... كَـفَّـارَةٌ لِـيَ وَالـحَـدِيـثُ صَـحِـيـحُ
أَرْبِـحْ بِـمَـن أَهْـدَى إِلـيـه ثَـنَـاءَهُ ... إِنَّ الـكَـرِيـمَ لَـرَابِـحٌ مَـرْبُـوح
يـا نَـفْـسُ دُونَـكِ مَـدْحَ أَحْـمَـدَ إِنَّـهُ ... مِـسْـكٌ تَـمَـسَّـكَ رِيـحُـهُ والـرُّوحُ
وَنَصِيبُكِ الأَوْفَى مِنَ الذِّكْرِ الذي ... مـنـه الـعَـبِـيـرُ لِـسَـامِـعِـيـهِ يَـفُـوح
إِنَّ الـنـبـيَّ مـحـمـداً مِـنْ رَبِّـهِ ... كَـرَمـاً بـكـلِّ فـضـيـلـةٍ مَـمْـنُـوح
الله فَـضَّـلَـهُ وَرَجَّـحَ قَـدْرَه ... فَـلْـيَـهْـنِـهِ الـتَّـفْـضِـيـلُ وَالـتَّـرْجِـيـح

---

(١) الرعّاد: محمد بن رضوان بن إبراهيم بن عبد الرحمن، كان خياطاً، له أدب. والبيتان في فوا الوفيات: ٣/ ٣٦٧.

(٢) اللج: معظم الماء: والرعّاد: اسم الشاعر، واسم نوع من السمن، وأراد تورية.

إنْ جاءَ بعْدَ المُرسلينَ فَفَضْلُهُ ... مِنْ بعدِهِ جاءَ المَسيحُ وَنُوح
جاؤوا بِوَحْيِهِمُ وَجاء بِوَحْيِهِ ... فكأنه بين الكواكِبِ يُوح(١)
حارَتْ عقولُ الناسِ في أوْصافِهِ ... وَتَبَلَّدَتْ وَلها بها تَنْقِيحُ
أنى يُكَيِّفُها امرؤٌ وَيَحُدُّها ... بالقولِ وهيَ لِذا الوُجُودِ الرُّوح
رَدتْ شهادَتَه أُناسٌ ما لهمْ ... طَعْنٌ عليه بها ولا تَجْرِيحُ
ولقدْ أتى بالبيناتِ صَحِيحَة ... لو أنَّ ناظِرَ مَنْ عصاهُ صحيحُ
عَرَفوهُ مَعْرِفَةَ اليَقِينِ وأنْكَرُوا ... إنَّ الشَّقِيَّ إلى الشقاء جَمُوحُ
فأبادَ مَنْ أبدى مُخالَفَةً لهُ ... فالسَّيْفُ مِنْ تَعَبِ الخِلافِ قَرِيحُ(٢)
وَجلاَ ظلامَ الظُّلْم لَمَّا أوْمَضَتْ ... وَمَضَتْ لديْه صحائفٌ وَصَفِيح(٣)
شيئانِ لا يَنْفِي الضَّلالَ سِواهُما ... نُورٌ مُفاضٌ أوْ دَمٌ مَسْفُوح
عَجَبًا لهُمْ يُنْكِرُونَ نُبُوَّةً ... ثَبَتَتْ وَلم يُنْفَخْ بآدَمَ رُوح
مالي اشْتَغَلْت بِزَجْرِهِم فكأنني ... بينَ الطَّوائفِ طارقٌ مَنْبُوح(٤)
لا تُتْعِبَنَّ بِذِكْرِهِمْ قَلْبًا غَدا ... ولهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْوِيح
وَانْشُرْ أحاديثَ النَّبيِّ فكلُّ ما ... تَرْوِيه مِنْ خَبَرِ الحَبيبِ مليح
وَاذْكُرْ مَنَاقِبَهُ التي ألْفاظُها ... ضاقَ الفضاءُ بذكرها وَاللُّوح(٥)
أعَجِبْتَ أنْ غَدَتِ الغمامةُ آيَةً ... لِمُحَمَّدٍ يَغْدُو بها وَيَرُوح
أوْ أنْ أتَتْ سَرْحٌ إليه مُطِيعَةً ... فكأنما أتَتِ الرِّياضَ سُرُوح(٦)
ولِمَنْبَعِ المَاءِ المَعِينِ براحَةٍ ... رَاحَ الحَصَى وَلَهُ بها تَسْبِيح
أوْ أن يَحِنَّ إليه جِذْعٌ يابِسٌ ... شَوْقًا وَيَشْكُو بَثَّهُ وَيَنُوح(٧)
حتى دَنا منه النبيُّ وَمَنْ دَنا ... منه نأى عَنْ قَلْبِه التَّبْرِيح
وَبِأنْ يُكَلِّمَهُ الذِّرَاعُ وكيفَ لا ... يُفْضِي إليه بِسِرِّهِ وَيَبُوح
وَبِأنْ يَرَى الأعْمَى وَتَنْقَلِبَ العَصا ... سَيْفًا وَيَحيا المَيْتُ وهْوَ طَرِيح

---

(١) يُوح: من أسماء الشمس.
(٢) قريح: جريح.
(٣) أومضت: لمعت: مَضت: من المضاء: النفاذ.
(٤) الطارق المنبوح: الذي يأتي ليلاً فتنبحه الكلاب.
(٥) اللوح: الهواء.
(٦) السروح: المال السائم.
(٧) البث: الحزن.

وَبأَنْ يُغاثَ الناسُ فيه وقد شكَوْا … مَحْلاً لِوَجْهِ الأرضِ منه كُلُوح[1]
وَبأَنْ يَفِيضَ لهُ وَيَعْذُبَ مَنْهَلٌ … قد كانَ مُرًّا ماؤُه المَنْزُوحُ
يا بَرْدَ أَكْبادٍ أصابَ عِطاشَها … ماءٌ بِرِيقِ مُحَمَّدٍ مَجْدُوحُ[2]
صَلَّى عليه اللهُ إنَّ صَلاتَهُ … غَيْثٌ لِعِلاّتِ الذُّنوبِ مُزِيحُ
أسرَى الإلهُ بِجِسْمِهِ فكأنه … بَطلٌ على مَتنِ البُرَاقِ مُشِيحُ[3]
وَدَنا فلا يَدُ آمِلٍ مُمْتَدَّةٌ … طَمَعاً وَلا طَرْفٌ إليهِ طَمُوحُ
حتى إذا أوْحَى إليه اللهُ ما … أوْحَى وَحانَ إلى الرُّجوعِ جُنُوح[4]
عادَ البُرَاقُ بهِ وَثَوْبُ أديمِهِ … لَيْلاً بماءِ حَيائِه مَنْضُوح[5]
فَذَرُوا شَياطِينَ الأُلَى كَفَرُوا به … يُوحُوا إليهم ما عَسَى أنْ يُوحوا
تاللهِ ما الشُّبُهاتُ مِنْ أقوالِهِمْ … إلاّ كما يَتَحَرَّكُ المَذْبُوحُ
كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَدَّلَتْ حَرَكَاتِه … رُوحٌ وَعُودٍ مَيَّلَتْه الرِّيحُ
وَلاَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعُلُومُه … لَمْ يُعْرَفِ التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيح
عَقَدَ الإلهُ به الأُمورَ فَلَمْ يَكُنْ … لِسِواهُ إمْساكٌ وَلا تَسْرِيحُ
ضَلَّ الذينَ تَأَلَّهُوا أحبارَهم … لِيُحَرِّمُوا وَيُحَلِّلُوا وَيُبِيحُوا
يا أُمَّةَ المُخْتَارِ قد عُوفِيتُمُ … مما ابْتُلُوا وَالمُبْتَلَى مَفضوح
فاسْتَبْشِرُوا بِشِرا الإلهِ وَبَيْعِكُمْ … منه فميزانُ الوفاءِ رَجِيحُ
وَتَعَوَّضوا ثَمَنَ النُّفوسِ مِنَ الهُدَى … فمِنَ الهُدَى ثَمَنُ النُّفُوسِ رَبِيحُ
يا مَنْ خَزائِنُ جُودِهِ مملوءَةٌ … كَرَمًا وبابُ عطائِه مَفْتُوحُ
نَدْعُوكَ عَنْ فَقْرٍ إليكَ وحاجَةٍ … ومَجالُ فضلِكَ لِلْعُفاةِ فَسِيحُ[6]
فاصفحْ عَنِ العَبْدِ المُسِيءِ تكَرُّمًا … إنَّ الكريمَ عَنِ المُسِيءِ صَفُوحُ
وَاقبلْ رسولَ اللهِ عُذْرَ مُقَصِّرٍ … هُوَ إنْ قَبِلْتَ بِمَدْحِكَ المَمْدُوحُ
في كلِّ وَادٍ مِنْ صِفاتِكَ هائمٌ … وَبِكُلِّ بَحْرٍ مِنْ نَداكَ سَبُوح

---

(١) الكلوح: العبوس.
(٢) مجدوح: ممزوج.
(٣) البُراق: دابة ركبها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وكانت دون البغل وفوق الحمار. والمُشيح: الحذر.
(٤) الجُنوح: الميل.
(٥) الأديم: الجلد. نضحه بالماء: رَشّه.
(٦) والعُفاة: جمع العافي: طالب الرزق.

يَرْتاحُ إنْ ذُكِرَ الحِمى وعَقِيقه | وأراكُه وثُمامُه والشِّيح[1]
شَوْقاً إلى حَرَمٍ بِطَيْبَةَ آمِنٍ | طابَتْ بذلكَ رَوْضَةٌ وضَرِيحُ
إنِّي لأرْجُو أنْ تَقَرَّ بِقُرْبِه | عَيْنِي ويُؤْسَى قَلْبيَ المَجْرُوحُ[2]
فأُكَحِّلُ بِطَيْفِ منه طرْفاً جَفْنُه | بِدُموعِه حتى يَرَاهُ قَرِيحُ[3]
فلَقَدْ حَباني الله فيكَ مَحَبَّةً | قلبي بها إلا عليكَ شَحِيحُ
دَامَتْ عَلَيْكَ صلاتُه وسلامُه | يَتْلُو غَبُوقَهُما الذَيك صَبُوحُ[4]
ما افْتَرَّ ثَغْرٌ للأزاهِرِ أشْنَبُ | وانْهَلَّ دَمْعٌ للسَّحاب سَفُوحُ[5]

قافية الدال

وقال يمدح أهل البيت عليهم السلام: [الطويل]

المنهل العَذب

جَنابكِ منه تُسْتَفادُ الفوائدُ | ولِلنّاسِ بالإحسَانِ منكِ عوائدُ
فَطُوبَى لِمَنْ يَسْعَى لِمَشْهَدِكِ الذي | تكادُ إلى مَغْنَاهُ تَسْعَى المَشَاهِدُ
إذا يَمَّمَتْهُ القاصِدُونَ تَيَسَّرَتْ | عليهمْ وإنْ لم يسألوكِ المقاصدُ
تَحَقَّقَت البُشْرَى لِمنْ هُوَ رَاكِع | يُرَجِّي به فضلاً وَمَنْ هُوَ ساجِدُ
فَعَفَّرَتِ الشُّبانَ وَالشَّيبُ أوْجهَا | بهِ والعَذارَى حُسَّرٌ والقَواعِدُ
هُوَ المَنْهَلُ العَذْبُ الكَثِيرُ زِحامُهُ | فَرِدْهُ فما مِنْ دُونِ وِرْدِكَ ذائدُ
أتيتُ إليه والرَّجاءُ مُحَلأٌ | فما عُدْتُ إلا والمُحَلأُ وَارِدُ[6]
فيالكَ مِنْ يَأْس بَلَغْتُ بِهِ المُنَى | وعُسْرٍ لأقْفالِ اليَسارِ مَقالِدُ[7]
ألَذُّ مِنَ الماءِ الزُّلالِ مَواقِعاً | عَلَى كَبِدِ الظَّمْآنِ وَالماءُ بارِدُ
سَلِيلَةَ خَيْرِ العالمينَ «نَفيسَةٌ» | سَمَتْ بِكِ أعراقٌ وطابَتْ مَحاتِد[8]

---

(١) الأراك: شجر تتخذ منه المساويك. الثُّمام والشِّيخ: ضربان من النبات.
(٢) يؤسى: يُداوى.
(٣) القريح: الجريح.
(٤) الغَبوق: شراب المساء. والصَّبوح: شراب الصباح.
(٥) الثغر الأشنب: ما كان فيه رقة وبرْد. والشَّنَب: العذوبة في الأسنان.
(٦) المملأ: المصدود.
(٧) المقالد: يعني المفاتيح والواحد مِقلد.
(٨) المحتد: الأصل والطبع.

إذا جحدت شمس النهار ضياءها ... فَفَضلك لم يجحده في الناس جاحد(1)

بآبائك الأطهار زينت العلا ... فحبات عقد المجد منهم فرائد

ورثت صفات المصطفى وعلومه ... ففضلكما لولا النبوة واحد

فلم ينبسط إلا بعلمك عالم ... ولم ينقبض إلا بزهدك زاهد

معارف ما ينفك يفضي بسرها ... إلى ماجد من آل أحمد ماجد

يضيء محياه كأن ثناءه ... إلى الصبح سار أو إلى النجم صاعد

إذا ما مضى منهم إمام هدى أتى ... إمام هدى يدعو إلى الله راشد

تبلج من نور النبوة وجهه ... فمنه عليه للعيون شواهد

وفاضت بحار العلم من قطر سحبها ... عليه فطابت للوراد الموارد

رأى زينة الدنيا غرورا فعافها ... فليس له إلا على الفضل حاسد

كأن المعالي الآهلات بغيره ... ربوع خلت من أهلها ومعاهد

إذا ذكرت أعماله وعلومه ... أقر لها زيد وبكر وخالد

وما يستوي في الفضل حال وعاطل ... ولا قاعد يوم الوغى ومجاهد

فقل لبني الزهراء والقول قربة ... يكل لسان فيهم أو حصائد(2)

أحبكم قلبي فأصبح منطقي ... يجادل عنكم جنبة ويجالد(3)

وهل حبكم للناس إلا عقيدة ... على أسها في الله تبنى القواعد

وإن اعتقادا خاليا من محبة ... وودٍّ لكم آل النبي لفاسد

وإني لأرجو أن سيلحقني بكم ... ولائي فيدنو المطلب المتباعد

فإن سراة القوم منهم عبيدهم ... وإن حروف النطق منها الزوائد

فدتكم أناس نازعوكم سيادة ... فلم أدر سادات هم أم أساود

أرادوا بكم كيدا فكادوا نفوسهم ... بكم وعلى الأشقى تعود المكايد

فإن حيزت الدنيا إليهم فإن من ... نفى زنفها سلمها إليهم لناقد

ولو أنكم أبناؤها ما أبتكم ... وما كان مولود ليأباه والد

إذا ما تذكرت القضايا التي جرت ... أقضت على جنبي منها المراقد

---

(1) جحد: أنكر.

(2) حصائد الألسنة: يعني الأقوال.

(3) يجالد: يضارب.

وجَدَّدَتِ الذِّكْرَى عَلَيَّ بَلابِلاً … أكابِدُ منها في الدُّجى ما أكابِدُ(١)
أفي مِثْلِ ذاكَ الخَطْبِ ما سُلَّ مُغْمَدٌ … ولا قامَ في نَصْرِ القَرابَةِ قاعِدُ
تَعاظَمَ رُزْءاً فالعُيُونُ شَواخِصٌ … لَهُ دَهْشَةً وَالثّاكِلاتُ سَوامِدُ(٢)
وطُفِّفَ يومَ الطَّفِّ كَيْلُ دِمائكم … إذا الدَّمُ جارٍ فيه والدَّمْعُ جامِدُ(٣)
فيا فِتْنَةً بَعدَ النبيِّ بها غَدا … يُهَدَّمُ إيمانٌ وَتُبْنَى مساجِدُ
وما فُتِنَتْ بعدَ ابنِ عِمْرانَ قومُهُ … بما عَبَدُوا إلّا لِيَهْلِكَ عابِدُ
كذاكَ أرادَ اللهُ منكُمْ ومنهمُ … وليس له فيما يُريدُ مُعانِدُ
وَلولَمْ يكنْ في ذاكَ مَحْضُ سعادةٍ … لكم دونَهم لَمْ يُغْمِدِ السَّيْفَ غامِدُ
وَأنتمْ أُناسٌ أُذْهِبَ الرِّجْسُ عنهمُ … فليسَ لهم خَطْبٌ وإنْ جَلَّ جاهِدُ
إذا ما رَضُوا اللهَ أوْ غَضِبُوا لَهُ … تَساوَى الأدانِي عندَهم والأباعِدُ
وسِيّانِ مِنْ جَمْرِ العِدا مُتَوَقِّدٌ … عَلَى بَهْرَمانِ الصِّدْقِ منكم وخامِدُ
وَفَدْتُ عليكم بالمَديحِ وَكُلُّكم … عليه كتابُ اللهِ بالمَدْحِ وافِدُ
وقد بَيَّنَتْ لي هلْ أتى، كَمْ أتى بها … مكارمُ أخلاقٍ لكم وَمَحامِدُ
فلَوْلا تغاضِيكم لنا في مديحِكم … لَرُدَّتْ علينا بالعيوبِ القصائدُ
ولَمْ أرْتَزِقْ مِنْ غيرِكم بِتِجارَةٍ … بَضائِعُها عندَ الأنامِ كواسِدُ
عَمَدْتُ لِقَوْمٍ منهم فكأنَّني … عَلَى عَمَدٍ لا يرجِعُ القَوْلَ عامِدُ
أأطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِواكُمْ مُساعِداً … وقد صَدَّهم حِرْمانُهم أنْ يُساعِدُوا
وَمَنْ وَجَدَ الزَّنْدَ الذي هُوَ ثاقِبٌ … فلن يَقْدَحَ الزَّنْدَ الذي هو صالِدُ(٤)
وحَسْبِي إذا مَدْحُ ابْنَةِ الحَسَنِ التي … لها كَرَمٌ: مَجْدٌ طَرِيفٌ وَتالِدُ(٥)
وَإنّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنائي قَلائِداً … إليها حَلالٌ هَدْيُها والقَلائِدُ
هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى هِيَ الرُّتَبُ العُلا … هِيَ الغايَةُ القُصْوَى لِمَنْ هُوَ قاصِدُ
كأنّي إذا أنشدْتُ في الناسِ مَدْحَها … لِما ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ المكارِمِ ناشِدُ
أسَيِّدَتي ها قدْ رَجَوْتُكِ مُعْلِناً … بما أنا مِنْ دُرِّ المناقِبِ ناضِدُ(٦)

---

(١) البلابل: الهم والوسواس.
(٢) الرُّزء: المصيبة. الثاكلات: جمع الثكلى، وهي التي فقدت ولدها. سوامد جمع سامدة: حزينة.
(٣) طُفِّف: أي زاد. والطَّف: موضع قرب الكوفة. كانت فيه وقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي.
(٤) الزَّند: ما تقدح به النار. والزندة السفلى فيها ثقب. والصالد: الخالي من الثقب.
(٥) الطريف: المال المستحدث: التالد: المال القديم الموروث.
(٦) نضد الشيء: وضع بعضه على بعض.

وَأَعْيُنُ آمالي إليكِ نواظِرٌ بِمَا أنا مِنْ عاداتِ فضلِكِ عائدُ
وما أجدَبَتْ قَوْمٌ أتى مِنْ لَدُنْهُمُ لِمَرْعَى الأماني مِنْ جنابِكِ رائدُ
ولولا نَدَى كَفَّيْكِ ما اخضرَّ يابِسٌ وَلا اهتزَّ مِنْ أرضِ المكارِمِ هامِدُ(١)
إِلى اللهِ أشكو يا ابنةَ الحَسَنِ الذي لَقِيتُ وَإِني إنْ شكوتُ لَحامِدُ
وَمالي لا أشكو لآلِ مُحمَّدٍ خُطوبًا بها ضاقتْ عليَّ المراصِدُ
ومَنْ لِصُروفِ الدَّهرِ عَنّيَ صارفٌ ومَنْ لِهُمومِ القلبِ عَنّيَ طارِدُ
تَسلَّطَ شَيطانٌ مِنَ النَّفسِ غالِبٌ عَلَيَّ وَشَيطانٌ مِنَ البُؤسِ مارِدُ
فيا وَيْحَ قَلْبٍ ما تَزالُ سَماؤُهُ بها لِشَياطِينِ الخُطوبِ مَقاعِدُ
فيا سامعَ الشَّكوى ويا كاشفَ البَلا إذا نزلَتْ في العالمينَ الشَّدائدُ
وَيا مَنْ هَدَى الطِّفلَ الرَّضيعَ وَلَمْ تَؤُبْ إليهِ قُوى عَقْلٍ وَلا اشتدَّ ساعدُ
وَيا مَنْ سَقى الوَحْشَ الظِّماءَ وَقد حمَتْ مَوارِدَها مِنْ أنْ تُنالَ المَصايدُ
ويا مَنْ يُزَجّي الفُلْكَ في البَحْرِ لُطْفُه وهنَّ جوارٍ بَلْ وَهُنَّ رَواكِدُ(٢)
وَيا مَنْ هُوَ السَّبْعَ الطَّوابقَ رافعُ ومَنْ هُوَ لِلأرضِ البسيطةِ ماهِدُ(٣)
ويا مَنْ تُنادينا خَزائِنُ فضلِهِ إلى رِفْدِهِ إنْ أمسكَ الفضلَ رافِدُ
فلا البابُ من تِلْكَ الخزائنِ مُغْلَقٌ وَلا خيرَ مِنْ تِلْكَ الخزائنِ نافِدُ
دَعَوْناكَ مِن فَقْرٍ إليكَ وحاجةٍ وَكلٌّ بما يَلْقاهُ لِلصَّبْرِ فاقِدُ
وَأفضَتْ بما فيها إليكَ ضمائرٌ وأنتَ عَلى ما في الضَّمائِرِ شاهِد
دَعَوْناكَ مُضطَرين يا ربُّ فاستَجِبْ فإنكَ لم تُخْلِفْ لَدَيْكَ المواعِدُ
فليسَ لَنا غَوْثٌ سِواكَ وَمَلْجأٌ نُراجِعُهُ في كَرْبِنا وَنُعاوِدُ
فقَدِّرْ لنا الخيرَ الذي أنتَ أهلُهُ فما أحَدٌ عَمّا تُقَدِّرُ حائدُ
وَصفحًا عنِ الذَّنبِ الذي هو سائقٌ لِنارِكَ إلاّ إنْ عَفَوْتَ وَقائدُ
وَصِلْ حَبْلَنا بالمصطفى إنَّ حَبْلَهُ لنا صِلةٌ يا ربُّ منكَ وعائدُ
عليهِ صلاةُ اللهِ ما أحمدَ السُّرى إليهِ وَذَلَّتْ لِلْمَطِيِّ فَدافِدُ(٤)

---

(١) أرض هامدة: لانبات فيها.
(٢) يُزَجّي: يشوق ويدفع.
(٣) ماهد: اسم الفاعل من مَهَدَ أي: بَسط.
(٤) السُّرى: السير ليلاً. الفَدافد: جمع الفدفَد: الفلاة.

وقال في مدح السيد المصطفى؛ صلى الله عليه وسلم؛ واعتذر فيها عن النار التي ظهرت في أرض الحجاز؛ والنار التي احترق منها الحرم الشريف وردّ على النصارى واليهود، وسَمَّاها: «تقديس الحَرَم، من تدنيس الضَّرَم»، وكناها بأم النارين[1]: [الطويل]

إلهي لك الأمرُ

إلهي عَلَى كلِّ الأمورِ لَكَ الحمْدُ ... فلَيسَ لِمَا أَوْلَيتَ مِنْ نِعَمٍ حَدُّ
لَكَ الأمرُ مِنْ قَبْلِ الزمانِ وبَعْدِهِ ... وَمالَكَ قَبْلٌ كالزَّمانِ وَلا بَعْدُ
وحُكْمكَ ماضٍ في الخلائِق نافذٌ ... إذا شئتَ أمراً ليسَ مِنْ كونِهِ بُدُّ
تُضِلُّ وتهدي مَنْ تشاءُ مِنَ الوَرَى ... وما بِيدِ الإنسانِ غَيٌّ ولا رُشْدُ[2]
دَعُوا معْشَرَ الضُّلاَّلِ عَنَّا حديثكم ... فلا خَطَأٌ مِنْهُ يُجابُ وَلا عَمْدُ
فلو أنكم خَلْقٌ كَريمٌ مُسِخْتُمْ ... بقَوْلِكُم لكن بِمَنْ يُمْسَخُ القِرْدُ؟
أتانا حديثٌ ما كَرِهْنا بِمِثْلِهِ ... لكُمْ فِتْنَةٌ فيها لِمِثْلِكُمُ حَصْدُ
غَنِيتُمْ عَنِ التأويلِ فيه بظاهِرٍ ... وَمَن تركَ الصَّمْصَامَ لم يُغْنِهِ الغِمْدُ[3]
وَأَغْشَى ضياءُ الحقِّ ضَعْفَ عقولِكُمْ ... وشمسُ الضُّحَى تَغْشَى بها الأعيُنُ الرُّمْدُ
ولَنْ تُدْرِكُوا بالجَهْلِ رُشْداً وَإنما ... يُفَرِّقُ بَينَ الزَّيْفِ وَالجَيِّدِ النَّقْدُ[4]
وُعِظْتُمْ فَزِدْتُم بالمواعِظِ نَشْوَةً ... وليسَ يفيدُ القَدْحُ إن أَصْلَدَ الزَّنْدُ[5]
وَما لَيَّنَتْ نارُ الحجازِ قلوبَكُمْ ... وَقد ذابَ مِنْ حرِّها الحَجَرُ الصَّلْدُ
وَما هِيَ إلا عينُ نَارِ جَهنَّمٍ ... تَرَدَّدَ مِنْ أنفاسِها الحرُّ وَالبَرْدُ
أَتَتْ بِشُوَاظٍ مُكْفَهِرٍّ نُحَاسُهُ ... فلوْحَ منها للضُّحَى والدُّجَى جِلْدُ[6]
فما اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ غَدا وَهو أبيضٌ ... وَما ابيضَّ من صبْحٍ غدا وَهْوَ مُسْوَدُّ
تُدَمِّرُ ما تأتي عليهِ كعاصِفٍ ... مِنَ الرِّيحِ ما إن يُسْتَطاعُ لَهُ رَدُّ
تَمُرُّ عَلَى الأرضِ الشديدِ اختلافُها ... فَتُنْجِدُ غَوْرَاً أَوْ يغورُ بها نَجْدُ

---

(١) حريق في المسجد النبوي سنة ٤٥٦هـ إثر هزة أرضية، فسقطت مِسرجة وتسببت باشتعال النار.

(٢) الورى: الخَلق.

(٣) الصَّمصَام: السيف.

(٤) النَّقد: يقال: نقد الدراهم أي ميّز الجيد من الرديء.

(٥) الزَّند: ما تقدح به النار: أصْلَد: لم ينقدح.

(٦) النّحاس، وبالضم: القِطر والنار، وما سقط من شِرار الصُّفر أو الحديد إذ طُرِق.

وَتَرمِي إلى الجوِّ الصُّخورَ كأنما … بباطِنِها غيظٌ على الجوِّ أو حِقْدُ
وتَخشى بيوتُ النارِ حَرَّ دُخانِها … ويَزدادُ طُغيانًا بها الفُرسُ والهِنْدُ
فلو قَرُبَتْ مِنْ سَدِّ يأجوجَ بَعْدَما … بَنَى منه ذو القرنَيْنِ دُكَّ بها السَّدُّ(١)
ولَمّا أساءَ الناسُ جِيرةَ رَبِّهِمْ … ولم يَرْعَها منهم رئيسٌ ولا وَغْدُ
أراهم مَقامًا ليسَ يُرْعَى لِجارِهِ … ذِمامٌ ولم يُحْفَظْ لِساكِنِهِ عَهْدُ(٢)
مدينةُ نارٍ أُحْكِمَتْ شُرُفاتُها … وأبراجُها والسُّورُ إذْ أُبْدِعَ الوَقْدُ
وقد أبصرَتْها أهلُ بُصْرَى كأنما … هِيَ البَصْرَةُ الجاري بها الجَزْرُ والمَدُّ
أضاءَتْ عَلَى بُعْدِ المزارِ لأهلها … مِنَ الإبِلِ الأعناقُ واللَّيلُ مُرْبَدُّ(٣)
أشارت إلى أنَّ المدينةَ قصدُها … قرائنُ منها ليسَ يَخفَى بها القَصْدُ
يَرُوحُ ويغدو كلُّ هَوْلٍ وكُرْبَةٍ … على الناسِ منها إذْ تَرُوحُ وإذْ تَغْدُو
فلمَّا التَجَوْا للمصطفى وتَحَرَّمُوا … بِساحَتِهِ والأمرُ بالناسِ مُشْتَدُّ
أَتَوْا بشفيعٍ لا يُرَدُّ ولم يَكُنْ … بِخَلْقٍ سِواهُ ذلك الهَوْلُ يَرْتَدُّ
فأُطْفِئَتِ النارُ التي وَقَفَ الوَرَى … حَيارَى لَدَيْها لم يُعيدوا ولم يُبْدُوا
فإنْ حَدَثَتْ مِنْ بَعْدِها نارُ فِرْيَةٍ … فما ذلك الشيءُ الفَرِيُّ ولا الإدُّ(٤)
فللهِ سِرُّ الكائناتِ وجَهْرُها … فكم حِكَمٍ تخفى وكم حِكَمٍ تَبْدُو
وقِدْمًا حَمَى مِنْ صاحبِ الفيلِ بَيْتَهُ … ولمَّا أتى الحَجَّاجُ أمْكَنَهُ الهَدُّ(٥)
ولله سِرٌّ أنْ فَدَى ابنَ خليلِهِ … بِذِبْحٍ ولو لم يَفْدِهِ شُرِعَ الوَأْدُ(٦)
فلا تُنكِروا أنْ يُحْرَمَ الحَرَمُ الغِنَى … وساكِنُهُ مِنْ فَخْرِهِ الفَقْرُ والزُّهْدُ

---

(١) قوم يأجوج ومأجوج: قوم يظهرون في آخر الزمان بعد أن ينفتح السد الذي يحجبهم وقد بناه عليهم ذو القرنين. وقال تعالى: ﴿قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوجَ ومأجوجَ مفسدون في الأرض﴾ سورة الكهف آية ٩٤. وقال أيضاً: ﴿حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حَدب ينسلون﴾ سورة الأنبياء آية ٩٦.

(٢) الذمام: العهد والميثاق.

(٣) ليل مربَدّ: ليل مظلم.

(٤) الإد: الداهية. الفَري: الأمر المكذوب المصنوع.

(٥) صاحب الفيل: يعني أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة بالفيلة ليهدمها، وذلك في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم. والحاج بن يوسف الثقفي والي العراق والحجاز أيام عبد الملك بن مروان وقد هاجم البيت الحرام وضربه بالمنجانيق وهدم جزءاً من الكعبة أثناء قتاله مع عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ، وانتهى الأمر بمقتل ابن الزبير، الذي كان بويع بالخلافة سنة ٦٤هـ.

(٦) ابن الخليل، يعني: إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. الوأد: دفن الإنسان حياً.

وقد فُدِيَتْ مِنْ مالِهِ خيرُ أُمَّةٍ وَلو خُيِّروا في ذلِكَ الأمرِ لَمْ يُفدُوا
فَواعَجَباً حتى البِقاعُ كريمَةٌ لها مثلُ ما للساكِنِ الجاهُ وَالرِّفْدُ[1]
فإنْ يَتَضَوَّعْ منه طِيبٌ بِطَيْبَةٍ فما هو إلّا المَنْدَلُ الرَّطْبُ وَالنَّدُّ[2]
وَإنْ ذَهَبَتْ بالنارِ عنه زَخارِفٌ فما ضَرَّهُ منها ذَهابٌ وَلا فَقْدُ
أَلا رُبما زادَ الحَبيبُ مَلاحَةً إذَا شُقَّ عنه الدِّرْعُ وَانتَثَرَ العِقْدُ[3]
وكم سُتِرَتْ لِلْحُسْنِ بالحَلْيِ مِنْ حُلَى وكم جَسَدٍ غَطَّى مَحاسِنَهُ البُرْدُ[4]
وَأهيَبُ ما يُلْقَى الحُسامُ مُجَرَّداً ورَوْنَقُهُ أنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالحَدُّ[5]
وَما تلكَ للإسْلامِ إلّا بَواعِثٌ على أنْ يجِلَّ الشَّوْقُ أوْ يَعْظُمَ الوَجْدُ
إلى تُرْبَةٍ ضَمَّ الأمانَةَ وَالتُّقَى بها وَالنَّدَى وَالفضْلَ مِنْ أحْمَدٍ لحدُ
إلى سَيِّدٍ لم تأتِ أُنْثَى بِمِثْلِهِ وَلا ضَمَّ حِجْرٌ مِثْلَهُ لا وَلا مَهْدُ
ولَمْ يمشِ في نَعْلٍ وَلا وَطِئَ الثَّرى شَبِيهٌ لَهُ في العالَمينَ وَلا نِدُّ[6]
وَلَمْ تَخِدِ الكُومُ العتاقُ بمثله وَلا عَدَتِ الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ الجُرْد[7]
عَلِيمٌ كريمُ الخيمِ ما فوقَ عِلمه وَلا مَجْدِهِ عِلْمٌ يُرَامُ وَلَا مَجْدُ[8]
نبيُّ هُدًى أهدَى به الله رَحْمَةً لنا لَمْ ينَلْهَا السَّعْيُ مِنَّا وَلا الْكَدُّ
ويَصَّرَهُ حتى رأى كلَّ غائبٍ وصار سواءً عندهُ القُرْبُ وَالبُعدُ
وحتى رأى ما خَلْفَهُ وهو مُقبِلٌ بِقَلْبٍ تساوَى عندهُ النَّومُ وَالسُّهْدُ
فيا ليلةً أسْرَى الإلهُ بِعَبْدِهِ لقد نالَ فيه ما يُؤَمِّلُهُ العَبْدُ
وفاءٌ وَلا غَدْرٌ وَوُدٌّ ولا قِلًى وقُرْبٌ ولا بُعْدٌ ووصْلٌ وَلا صَدُّ
وجاءهم بالبيِّناتِ التي بَدَتْ براهنها كالشمسِ لَمْ يُخفِها الجَحْدُ
وَذِكْرٍ حَكَى مغناه في الحُسْنِ لَفظُه ويُشْبِهُ ماءَ الوردِ في طِيبِهِ الوَرْدُ

---

(1) الرِّفد: العطاء والإعانة.
(2) المَندَل: العُود أو أجوده. النَّد: طِيب.
(3) الدِّرع: القميص.
(4) البُرد: الثوب المخطط.
(5) الحسام: السيف.
(6) الندى: التراب الندي. النِّد: المِثل.
(7) تخد: من الوَخد: وهو ضرب من سير الإبل السريع: الكُوم: جمع الكوماء: الناقة العظيمة السنام. المسوَّمة: المعلّمة. الجُرد: جمع الأجرد: القصير الشعر من الخيل.
(8) الخيم: الطبيعة والسجية.

وقدأُحْكِمَتْ آياتُهُ وتشابَهَتْ   فَلِلْمُبْتَدِي وِرْدٌ وَلِلْمُنْتَهي وِرْد[1]
وإنْ كانَ فيها كالنُّجومِ تَناسُخٌ   فطالعُهَا سَعْدٌ وغاربُها سَعْدُ
وَإِن قَصُرتْ عَنْ شَأْوِها كلُّ فكْرَةٍ   فَلَيْسَتْ يَدٌ للأنجُمِ الزُّهْرِ تَمْتَدُّ
فلمَّا عَمُوا عنها وَصَمُّوا أَراهُمُ   سُيوفًا لها بَرْقٌ وَخَيلاً لها رَعْدُ
وَمَنْ لَمْ يَلِنْ منهُ إلى الحقِّ جانِبٌ   بِقَولِ ألا انَتْ جَانِبَيهِ القَنا المُلْد[2]
وقد يُعجِزُ الدَّاءُ الدَّواءَ مِن امرِئٍ   وَيَشفيهِ مِنْ داءٍ به الكَيُّ والفَصْد[3]
فَغَالَبَهُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سِلاحَهُمْ   نُيُوبٌ وَأَظْفَارٌ لهمْ فَهُمُ أُسْدُ
ثِقاتٌ مِنَ الإِسلامِ إنْ يَعِدُوا يَفُوا   وإنْ يُسْأَلوا يُهْدُوا وإنْ يُقْصَدُوا يُجْدُوا
وَأَمَّا مكانُ الصِّدقِ منهم فإنه   مقالُهُمُ وَالطَّعْنُ والضَّرْبُ والوَعْدُ
إِذا ادَّرَعُوا كانتْ عُيُونُ دُرُوعِهِمْ   قلوبًا لها في الرَّوْحِ مِنْ بَأْسِهِم سَرْدُ[4]
يَشُوقُكَ منهم كلُّ حِلْمٍ وَنجْدَةٍ   تَحَلَّتْ بِكلٍّ مِنْهُما الشِّيبُ وَالمُرْدُ
بَهالِيلُ أَمَّا بَذْلُهُمْ في جِهادهِمْ   فأَنفسُهُمْ وَالمالُ والنُّصْحُ وَالحَمْد[5]
فلله صِدِّيقُ النبيِّ الذي لهُ   فضائلُ لَمْ يُدْرَكْ بِعَدٍّ لها حَدُّ
وَمَنْ كانَ لِلْمُخْتَارِ في الغارِ ثانيا   وَجَادَ إلى أنْ صارَ ليسَ لهُ وَجْد
فإِنْ يَتَخَلَّلْ بالعباءَةِ إنه   بذلك في خُلاَّتِهِ العَلَمُ الفَرْدُ
وَمَنْ لَمْ يَخَفْ في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ   وَلَمْ يُغْنِهِ قِسْطٌ يُقامُ وَلا حَدُّ
وَلا راعَهُ في اللهِ قَتْلُ شَقيقِهِ   ألا هكذا في اللهِ فَلْيَكُنِ الجَلْدُ
ومنْ جَمَعَ القرآنَ فاجْمَعَتْ به   فضائلُ منهُ مِثْلَ مَا اجتَمَعَ الزُّبدُ
وجَهَّزَ جيشًا سارَ في وقتِ عُسْرَةٍ   تَعَذَّرَ مِنْ قوتٍ به الصَّاعُ والمُدُّ
وَمَنْ لَمْ يُعَفِّرْ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ   جَبِينٌ لِغيرِ اللهِ منه ولا خَدُّ
فَتَى الحَربِ شَيْخُ العِلْمِ والحلْم والحِجَى   عَلِيٌّ الذي جَدُّ النَّبِيِّ لَهُ جَدُّ
ومَن كانَ مِنْ خيرِ الأَنامِ بِفَضْلِهِ   كهارونَ مِن موسَى وذلكُمُ الجَدُّ[6]

---

(١) الوِرد: الإشراف على الماء.
(٢) القنا: جمع القَناة: الرمح. والمُلد: جمع الأَمْلَد: الليِّن.
(٣) الفَصْد: شقّ العِرق ليسيل الدم.
(٤) السّرْد: الخَرز في الأديم، ونسج الدرع.
(٥) بها ليل: جمع بهلول: السيّد الجامع لكل خير. الوُجد: الإدراك، ووجد المالَ يجده.
(٦) الجد: الحظ.

إِذا غَمَزَتْ كَفُّ الخُطوبِ قَناتَهُ ... تَوَهَّمْتَ أَنَّ الخَطْبَ ليس لهُ زَنْدُ (١)

وإنْ عَجَمَتْ أَفواهُها عُودَ بأسِهِ ... أَفادَتْكَ عِلْماً أَنَّ أفواهَها دُرْدُ (٢)

يُوَرِّدُ خَدَّيْهِ الجِلادُ وسَيْفُهُ ... فذاكَ إذا شَبَّهْتَهُ الأسَدُ الوَرْدُ (٣)

وعِنْدِي لكمْ آلَ النبيِّ مَوَدَّةٌ ... سَلَبْتُمْ بها قلبي وصارَ له عِنْدُ

عَلَى أَنَّ تَذْكاري لِمَا قد أصابكم ... يُجَدِّدُ أشجاني وإنْ قَدُمَ العَهْدُ

فِدَى لكُمُ قَوْمٌ شَقُوا وسَعِدْتُمُ ... فدارُهُمُ الدنيا ودارُكُمُ الخُلْدُ

أَتَرْجُونَ مِنْ أبناءِ هِنْدٍ مودَّةً ... وَقَدْ أرْضَعَتْهُمْ دَرَّ بغضتِها هِنْدُ

فلا قَبِلَ الرَّحْمٰنُ عُذْرِي عُداتِكم ... فإنهم لا يَنْتَهُونَ وإنْ رُدُّوا

إليكَ رسولَ اللهِ عُذري فإنني ... بِحُبِّكَ في قَوْلِي أَلِينُ وَأَشْتَدُّ

فإنْ ضاعَ قَوْلِي في سِواكَ ضَلالَةً ... فما أنا بالماضي مِنَ القَوْلِ مُعْتَدُّ

وَمَا امْتَدَّ لي طَرْفٌ ولا لانَ جانِبٌ ... لِغَيْرِكَ إلا ساءني اللِّينُ والمَدُّ

أأشْغَلُ عَنْ رَيْحانَتَيْكَ قَرِيحتِي ... بِشِيحٍ ورَنْدٍ لا نما الشِّيحُ وَالرَّنْدُ (٤)

وأدْعُو سِفاهاً غيرَ آلِكَ سادتي ... وهل أنا إنْ وُفِّقْتُ إلا لَهُمْ عَبْدُ (٥)

فلا راحَ مَغْنِيًّا بِمَدْحِيَ حاتِمٌ ... ولا عُنِيَتْ هندٌ بِحُبِّي ولا دَعْدُ (٦)

ولا هَيَّجَتْ شَوْقِي ظِباءٌ بِوَجْرَةٍ ... ولا بَعَثَتْ وَصْفِي نَقانِقُها الرُّبْدُ (٧)

ويا طِيبَ تَشْبِيبي بِطَيْبَةَ لا ثَنَى ... عِنانَ لِساني عنكَ غَوْرٌ ولا نَجْدُ (٨)

فَهَبْ لي رسولَ اللهِ قُرْبَ مَوَدَّةٍ ... تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وتَرْوَى بِهِ كَبْدُ

وإني لأَرجو أنْ يُقَرِّبَنِي إلى ... جَنابِكَ إرْقالُ الرَّكائِبِ والوَخْدُ (٩)

وَلَوْلا تَوَقِّي مِنكَ بالفوزِ في غَدٍ ... لَمَا لَذَّ لي يَوْمًا شَرابٌ وَلا بَرْدُ

---

(١) الخطوب: المصائب والشدائد. الزَّند: ما تقدح به النار.

(٢) عجمه: عضه أو لاكه للخِبرة، ورازَه. الدَّرد: ذهاب الأسنان.

(٣) الورد: أي: الأسد.

(٤) الشِّيح: نبات. الرَّند: شجر طيب الرائحة.

(٥) سِفاها وسَفاهة بمعنى الجَهل.

(٦) حاتم: هو حاتم الطائي، جواد من أجواد العرب في الجاهلية.

(٧) وَجرة: موضع بين مكة والبصرة، أربعون ميلاً، ما فيها منزل فهي مرَت للوحش. النقانق: جمع النِّقنق: ذكر النعام. الرُّبد: جمع أربد: ما مال لونه إلى الغُبرة.

(٨) طَيبة: من أسماء المدينة المنورة. العنان: الحبل. الغَور: القَعر من كل شيء. النَّجد: ما أشرف من الأرض.

(٩) الإرمال والوَخد: ضربان من السير السريع.

عـلَـيْـكَ صـلاةُ اللهِ يُـضْـحِـي بـطـيْـبَـةٍ لَـدَيْـكَ بـهـا وفْـدٌ ويُـمْـسِـي بـهـا وفْـدُ
ودامَـتْ كـأنْـفَـاسِ الـورَى فـي تَـرَدُّدٍ عَـلَـيْـكَ مِـنَ اللهِ الـتَّـحِـيَّـةُ والـرَّدُّ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباس المرسي[1]، ويعزيه في شيخه أبي الحسن الشاذلي[2]، وعليهم رحمة الله، آمين: [الكامل]

كتب المشيب

كَـتَـبَ الـمَـشِـيـبُ بـأبْـيَـضٍ فـي أسْـوَدِ بـغـضـاءَ مـا بَـيْـنـي وبـيـنَ الـخُـرَّدِ[3]
خَـجِـلَـتْ عُـيُـونُ الـحُـورِ حِـيـنَ وصَـفْـتُـهـا وصحفَ الـمَـشيبِ وقُـلْـنَ لي: لا تَـبْـعَـدِ[4]
ولِـذاكَ أظْـهَـرَتِ انْـكِـسـارَ جُـفُـونِـهـا دَعْـــدٌ وآذَنَ خَـــدُّهـــا بِـــتَـــوَرُّدِ
يـا جِـدَّةَ الـشَّـيْـبِ الـتـي مـا غـادَرَتْ لِـنُـفُـوسِـنـا مِـنْ لَـذَّةٍ بـمـجـدَّدِ
ذَهَـبَ الـشـبـابُ وسَـوْفَ أذْهَـبُ مِـثْـلَـمـا ذَهَـبَ الـشـبـابُ ومـا امـرؤٌ بِـمُـخَـلَّـدِ
إنَّ الـفَـنـاءَ لِـكُـلِّ حَـيٍّ غـايَـةٌ مَـحـتـومَـةٌ إنْ لَـمْ يَـكُـنْ فـكـأنْ قَـدِ
وارْحَـمْـتـا لِـمُـصَـوَّرٍ مُـتَـطَـوِّرٍ فـي كـلِّ طَـوْرٍ صـورةَ الـمُـتَـرَدِّدِ[5]
قَـذَفَـتْ بـه أيْـدِي الـنَّـوَى مِـنْ حـالِـقٍ سـامِـي الـمَـحَـلِّ إلى الـحَـضيضِ الأوهَـدِ[6]
مُـسْـتَـوْحِـشٍ فـي أُنْـسِـهِ مُـتَـعـاهِـدٍ بـحـنـيـنِـهِ شَـوْقًـا الأوَّلَ مَـعْـهَـدِ
مَـنْـعَـتُـهُ أسـ[...]ـبُ لَـدَيْـهِ رجُـوعَـهُ فـاشـتـاقَ لـلأوْطـانِ شَـوْقَ مُـقَـيَّـدِ
يـا لَـيْـتَـهُ لـوْ دامَ نَـسْـيًـا مـا لَـهُ مِـنْ ذاكِـرٍ أوْ أنـه لـم يُـولَـدُ
حَـمَـلَ الـهَـوَى جَـهْـلاً بـأثْـقـالِ الـهَـوَى مُـسْـتَـنْـجِـدًا بـعـزيـمـةٍ لـم تُـنْـجِـدِ
مـا إنْ يَـزالُ بـمـا تـكـلَّـفَ حَـمْـلَـهُ فـي خُـطَّـتَـيْ خَـسْـفٍ يَـرُوحُ ويَـغْـتَـدِي
غَـرَضًـا الأمْـرِ لا تَـطـيـشُ سِـهـامُـه ومُـعَـرَّضًـا لِـمُـعَـنِّـفٍ ومُـفَـنِّـدِ[7]
وَخَـلـيـفَـةٍ فـي الأرضِ إلاّ أنَّـه مُـتَـوَعَّـدٌ فـيـهـا وعـيـدَ الـهُـدْهُـدِ

---

(١) هو أحمد بن عمر المرسي أبو العباس، فقيه متصوف من أهل الاسكندرية، مات سنة ٦٨٦هـ.
(٢) أبو الحسن الشاذلي، متصوف له طريقة منسوبة إليه، مات سنة. ٦٥٦هـ، ستأتي ترجمته.
(٣) الخُرَّد: جمع الخَريدة: البكر التي لم تُمسس، أو الخَفِرة الطويلة السكوت.
(٤) الحُور: جمع الحَوراء: من الحَوَر وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها.
(٥) الطَّور: التارة والحد بين الشيئين.
(٦) الأوهد: المنخفض.
(٧) مفنّد: مكذّب.

وَجَبَ السُّجودُ لهُ فلما أنْ عصى ... قالت خطيئتُهُ لهُ اركعْ واسْجُدِ
وَنَبَتْ بهِ الأوطانُ فهوَ بغُربَةٍ ... ما بينَ أعداءٍ يَسيرُ وحُسَّدِ
أنفاسه تُحصَى عليه وعلم ما ... يفضي إليه غدا له حُكمُ الغدِ
أبداً تراهُ واجِداً أو عادِماً ... في حَيرَةٍ لَقَطاتُها لم تُنشَدِ
يُمسي ويُصبِحُ مُتْهِماً أو مُنجِداً ... لمعادِهِ مع مُتْهِمٍ أو مُنجِدِ[1]
يَرمي به سَهلاً وَوَعراً زاجِراً ... بَطْنُ المِسَنِّ به كَظَهْرِ المِبْرَدِ[2]
مُتَخوِّفاً منه المصيرَ لِمَنزِلٍ ... مُستوبَلِ المَرْعى وبيءِ المَورِدِ[3]
ما إنْ رأى الجاني به أعمالَهُ ... إلا تَمَنّى أنه لم يولَدِ
حَسْبي لَهُ حُبُّ النبيِّ وآلِه ... عِندَ الإلهِ وسيلةً لَمْ تُزْدَدِ
فإذا أجَبْتَ سؤالَهُ في آلِهِ ... سَلْ تُعْطَ واستَمْدِدْ فلاحاتُمْدَدِ
وأمَنْ إذا قامَ النبيُّ مَقامَهُ الـ ... مَحمودَ في الأمرِ المُقيمِ المُقعِدِ
وتَزَوَّدِ التَّقوى فإنْ لم تستطع ... فمِنَ الصلاةِ على النبيِّ تَزَوَّدِ
صلّى عليه الله إنَّ صلاةَ مَنْ ... صلّى عليه ذخيرةٌ لم تَنفَدِ
واسمَعْ مدائحَ آلِ بيتِ المصطفى ... مِني ودونَكَ جَمْعُها في المُفرَدِ
صِنْوُ النبيِّ أخو النبيِّ وزيرُهُ ... وَوَليُّهُ في كلِّ خَطْبٍ مُؤيِدِ
جَدُّ الإمامِ الشاذليِّ المُنتَمي ... شَرَفاً إليهِ لِسَيِّدٍ عن سَيِّدِ
أسماؤهم عِشرونَ دونَ ثلاثةٍ ... جاءتْ على نَسَقٍ كأحرفِ أبجدِ
لِعَلِيِّ الحَسَنُ انتَمى لمُحَمَّدٍ ... عيسى وسِرُّ مُحَمَّدٍ في أحمدِ
واختارَ بَطّالٌ لِوِرْدٍ يُوشَعاً ... وبيوسُفٍ وافى قُصَيٌّ يَقتَدي
وبحاتِمٍ فُتِحَتْ سِيادةُ هُرمُزٍ ... وغدا تَميمٌ لِلْمَكارِمِ يَهتَدي
وبعبدِ جَبّارِ السمواتِ انتَضى ... لِلْفَضلِ عبدُ الله أيَّ مُهَنَّدِ
وأتى عَليٌّ في العُلا يَتلُوهُم ... فاختِمْ به سُوَرَ العُلا والسُّؤدُدِ[4]
أعني أبا الحَسَنِ الإمامَ المُجتبى ... مِنْ هاشِمٍ والشاذليَّ المَولِدِ[5]

---

(١) أتهم: أتى تِهامة. وأنجد: أتى نجداً.
(٢) زاجراً: رادعاً.
(٣) وبيء: من الوباء. مستوبل المرعى: لم يوافقه المرعى.
(٤) السؤدد: السيادة.
(٥) الشاذلي هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مات سنة ٦٥٦هـ بمصر.

إنَّ الإمامَ الشاذليَّ طريقُهُ ... في الفضلِ واضحةٌ لِعينِ المُهتدي

فانقُلْ ولو قدَماً على آثارِهِ ... فإذا فعلتَ فذاكَ آخذُ باليدِ

واسلُكْ طريقَ محمّديِّ شريعةٍ ... وحقيقةٍ ومحمّديِّ المَحتِدِ(١)

مِنْ كلِّ ناحيةٍ سَناهُ يلوحُ مِنْ ... مِصباحِ نورِ نبوّةٍ متوقّدِ(٢)

فَتحٌ أتى طوفانُهُ بمعارفٍ ... تنّورُها جوديُّ كلِّ موحّدِ

قد نالَ غايةَ ما يرومُ المُنتهي ... مِنْ ربّهِ ولهُ اجتهادُ المُبتدي

مُتمكّنٌ في كلِّ مشهدِ دهشةٍ ... أوْ وقفةٍ ما فوقَها مِنْ مَشهدِ

مَنْ لا مقامَ لهُ فإنَّ كمالَهُ ... لِلناسِ يُرجِعُهُ رُجوعَ مُقلِّدِ

قُلْ لِلمُحاوِلِ في الدُّنوِّ مقامَهُ ... ما العبدُ عندَ اللهِ كالمُتعبِّدِ

والفضلُ ليسَ ينالُهُ مُتوسِّلٌ ... بتورُّعٍ حَرِجٍ ولا بتزهُّدِ

إنْ قالَ ذاكَ هوَ الدَّواءُ فقُلْ لهُ ... كُحلُ الصَّحيحِ خلافَ كُحلِ الأرمَدِ

بمشي المُصرَّفُ حيثُ شاءَ وغيرُهُ ... يمشي بحكمِ الحَجْرِ حُكمَ مُصفَّدِ

مَنْ كانَ منكَ بمنظرٍ وبمَسمعٍ ... أيُحالُ منهُ على حديثٍ مُسنَدِ

لِكلَيْهِما الحُسنى وإنْ لم يَستَوُوا ... في رُتبةٍ فقدِ استَوَوا في الموعِدِ

كلٌّ لِما شاءَ الإلهُ مُيسَّرٌ ... والناسُ بينَ مُقرَّبٍ ومُشرَّدِ

وإذا تحقّقتِ العنايةُ فاسترِحْ ... وإذا تخلّفتِ العنايةُ فاجهَدِ

أفدي علياً في الوجودِ وكلُّنا ... بوجودِهِ مِنْ كلِّ سوءٍ نفتدي(٣)

قُطبُ الزمانِ وغوثُهُ وإمامُهُ ... عينُ الوجودِ لسانُ سرِّ المُوجِدِ(٤)

سادَ الرجالَ فقصَّرتْ عنْ شأوِهِ ... هِمَمُ المُؤوِّبِ للعُلا والمُسئِدِ(٥)

فتلَقَّ ما يُلقى إليكَ فنُطقُهُ ... نُطقٌ بروحِ القُدسِ أيِّ مُؤيَّدِ(٦)

---

(١) المحتد: الأصل. ويريد: اتبع هذه الطريقة المحمدية شرعاً ونسباً.

(٢) السّنا: الضوء.

(٣) يقول: إنه يفدي أبا الحسن بالوجود، وكل إنسان ليتخلص من كل سوء بفضل بركة الشاذلي كـ
يقول.

(٤) القطب عند الصوفية: الخليفة. وهو رجل واحد موضع نظر الله تعالى. ويسمى الغوث أيـ
باعتبار التجاء الملهوف إليه، وقوله: عين الوجود يعني سيّد الوجود. والعين عندهم، إشارة إلـ
ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء.

(٥) الشأو: السّبق.

(٦) يعني أن الله أيده. بجبريل.

إمّا مَرَرْتَ على مكانِ ضَريحِهِ ... وَشَمِمْتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تُرْبِ النَّدِ (١)
وَرأيتَ أرْضَا في الفَلا مُخْضَرَّةً ... مُخْضَلَّةً منها بِقاعُ الفَدْفَدِ (٢)
والوَحْشُ آمِنَةٌ لَدَيْهِ كأنَّها ... حُشِرَتْ إلى حَرَمٍ بأوَّلِ مَسْجِدِ
ووجَدْتَ تَعْظِيمًا بِقَلْبِكَ لَو سَرَى ... في جَلْمَدٍ سَجَدَ الوَرَى لِلْجَلْمَدِ (٣)
فَقُلِ السَّلامُ عليكَ يا بَحْرَ النَّدى الطّـ ... امي ويا بَحْرَ العلومِ المُزْبِدِ
يا وارِثًا بالفَرْضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ ... شَرَفًا وبالتَّعْصِيبِ غيرَ مُفَنَّدِ (٤)
اليَوْمَ أحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وارِثٌ ... حَظِّي عَلِيٍّ مِنْ وِراثَةِ أحْمَدِ
يُعْزَى الإمامُ إلى الإمامِ ويَقْتَدِي ... لِلْمُقْتَدِي بِهُدَاهُ فَضْلُ المُقْتَدِي
وَالمَرْءُ في مِيراثِهِ أتْباعُهُ ... فاقْدِرْ إذَنْ فَضْلَ النبيِّ مُحَمَّدِ
خيرِ الوَرَى صلَّى عليهِ اللهُ ما ... صَدَعَ الأسَى قَلْبًا بِسَجْعِ مُغَرِّدِ
وسَرَى السُّرُور إلى القلوبِ فَهَزَّها ... مَسْرَى النَّسيمِ إلى القَضيبِ الأمْلَدِ (١)
شَوْقًا لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آساسُها ... بِعَلِيِّ أبي العَبَّاسِ فَوْقَ الفَرْقَدِ (٦)
اليَوْمَ قامَ فَتَى عَلِيٍّ بَعْدَهُ ... كَيْمَا يُبَلِّغَ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدِ
فكأنَّ يُوشَعَ بعدَ موسى قائمٌ ... بِطَرِيقِهِ المُثْلَى قِيامَ مُؤَكِّدِ
فليَقْصِدِ المُسْتَمْسِكونَ بِحَبْلِهِ ... دارَ البقاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الأقْصَدِ (٧)
فإذا عَزَمْتَ على اتِّباعِ سَبِيلِهِ ... فاسْمَعْ كلامَ أخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدِ
فِنظامُ أعْمالِ التُّقَى آدابُها ... فاصْحَبْ بها أهْلَ التُّقَى والسُّؤْدَدِ (٨)
وَتَجَنَّبِ التَّأوِيلَ في أقْوالِ مَنْ ... صاحَبْتَ مِنْ أهْلِ السعادةِ تَسْعَدِ
قد فَرَّقَ التأوِيلُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ ... يَوْمَ السُّجُودِ لآدمٍ ومُبَعَّدِ (٩)

---

(١) ضريح الشاذلي بصحراء عيذاب. بمصر. النّد: طِيب.
(٢) الفَدفد: الفلاة.
(٣) الورى: الخَلق. الجَلمد: الصخر.
(٤) مفنّد: مكذّب.
(٥) السّرى: السير عامة الليل. القضيب الأملد، أي: الناعم الغض.
(٦) الفَرقد: النجم الذي يُهتدى به.
(٧) الطريق الأقصد: الطريق المستقيم.
(٨) السؤدد: السيادة.
(٩) المقرّبون، أي الملائكة الذين سجدوا لآدم امتثالاً لأمر الله. والمبعد: إبليس الذي استكبر وأبى السجود.

وَحَذارِ أنْ يَثِقَ المُريدُ بِنَفْسِهِ ... وَاحْزِمْ فما الإصلاحُ شأنُ المُفْسِدِ
فالوَصفُ يَبْقى حُكْمُهُ مَعْ فَقْدِهِ ... وَالمَرْءُ مَرْدُودٌ إذا لَمْ يُفْقَدِ
إنَّ الضَّنِينَ بِنَفْسِهِ في الأرضِ لاَ ... يَلْوِي عَلَى أحَدٍ وليسَ بِمُصْعِدِ
ويظنُّ إنْ رَكَدَتْ سفينتُه عَلَى ... أمْواجِها ورياحِها لَمْ تَرْكُدِ
فاصْحَبْ أبا العَبّاسِ أحمدَ آخِذًا ... يَدَ عارِفٍ بِهَوَى النُّفُوسِ مُنَجِّدِ
فإذا سَقَطْتَ عَلَى الخَبيرِ بِدائها ... فَاصْبِرْ لِمُرِّ دَوائِهِ وَتَجَلَّدِ
وإذا بَلَغْتَ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ مِنْ ... عِلْمَيْهِ فانْقَعْ غُلَّةَ القَلْبِ الصَّدِي
فَمَتى رأى موسى الإرادةِ عِنْدَهُ ... خِضْرُ الحقيقةِ نالَ أقْصى المَقْصِدِ
وإذا الفَتى خُرِقَتْ سَفِينَةُ جِدِّهِ ... لِنَجاتِها وَجَدَ الأسى غيرَ الدَّدِ(١)
وَتَبَدَّلَتْ أبَوا الغُلامِ بِقَتْلِهِ ... بِأبَرَّ مِنْهُ لِوالِدَيْهِ وأرْشَدِ
وَأُقِيمَ مُنْتَقَضُ الجِدارِ وتَحْتَهُ ... كَنْزُ الوُصُولِ إلى البقاءِ السَّرْمَدِي(٢)
فَلْيَهْنِ جَمْعًا في الفِراقِ ووُصْلَةً ... مِنْ قاطِعٍ وتَرَقِّيًا مِنْ مُخْلِدِ
مُغْرًى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وهُوَ لا ... يُعْطي إلى القَوَدِ القِيادَ ولا اليَدِ
للهِ مَقْتُولٌ بِغَيْرِ جِنايَةٍ ... كَلِفٌ بِحُبِّ القاتِلِ المُتَعَمِّدِ
مازالَ يَعْطِفُها عَلَى مَكْرُوهِها ... حتّى زَكَتْ وَصَفَتْ صفاءَ العَسْجَدِ(٣)
وأُجِيبَ داعِيها الرَّدُّ مُشَرَّدِ ... مِنْ أمْرِها طَوْعًا وَجَمْعِ مُبَدَّدِ
لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوى لها مِنْ عادَةٍ ... أَلِفَتْ ولا لِمَرِيضِها مِنْ عُوَّدِ
فَلْيَهْنِ أحْمَدَ كيمياءُ سَعادَةٍ ... صَحَّتْ فلا نارٌ عليه تَغْتَدِي(٤)
جَعَلَتْهُ لَمْ يَرَ لِلْحَقيقةِ طالِبًا ... إلأ يَمُدُّ إليهِ راحَةَ مُجْتَدِي(٥)
ألفاظُهُ مَبْذُولَةٌ بَذْلَ الحَيا ... وَمَصُونَةٌ صَوْنَ العَذارى الخُرَّدِ(٦)
كُلٌّ يَرُوحُ بِشُرْبِ راحِ عُلُومِهِ ... طَرِبًا كَغُصْنِ البانَةِ المُتَأَوِّدِ(٧)
ضِمْنَ الوَقارِ لها اعْتِدالُ مِزاجِها ... فَشَرابُها لا يَنْبَغي لِمُعَرْبِدِ

---

(١) الدد: اللهو واللعب.
(٢) السرمدي: الدائم.
(٣) العَسجد: الذهب.
(٤) الكيمياء: الإكسير.
(٥) الحقيقة، يعني ما يتعلق بالإيمان.
(٦) الخُرَّد: جمع الخريدة وهي البِكر التي لم تُمَسّ.
(٧) البانة: ضرب من الشجر. المتأوِّد: المعوج.

فَضَحَتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا … وَالزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الجَيِّدِ (١)
كَشَفَتْ لَهُ الأَسْمَاءُ عَنْ أَسْرَارِهَا … فَإِذَا الوُجُودُ لِمُقْلَتَيْهِ بِمَرْصَدِ
وَأَرَتْهُ أَسْبَابَ القَضَاءِ مُبِينَةً … لِلْمُسْتَقِيمِ بِعِلْمِهَا وَالمُلْحِدِ
تَأْبَى عُلُومُكَ يَا فَتَى غَيْرَ الَّتِي … هِيَ فَتْحُ غَيْبٍ فَتْحُهُ لَمْ يُسْدَدِ
قُلْ لِلَّذِينَ تَكَلَّفُوا زِيَّ التُّقَى … وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُجَلَّدِ
لَا تَخْبَئُوا كُحْلَ العُيُونِ بِحِيلَةٍ … إِنَّ المَهَا لَمْ تَكْتَحِلْ بِالإِثْمِدِ
مَا النَّحْلُ ذُلِّلَتِ الهِدَايَةُ سُبْلَهَا … مِثْلَ الحَمِيرِ تَقُودُهَا لِلْمَوْرِدِ
مَنْ أَهْمَلَتِ التَّقْوَى عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ … يَدُهُ مِنَ الأَكْوَانِ لَا مِنْ مِزْوَدِ (٢)
وَأَبِيكَ مَا جَمَعَ المَعَالِيَ وَادِّعَا … جَمْعَ الأُلُوفِ مِنَ الحِسَابِ عَلَى اليَدِ
إِلَّا أَبُو العَبَّاسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ … أَكْرِمْ بِهِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَوْحَدِ
أَفْنَتْهُ فِي التَّوْحِيدِ هِمَّةُ مَاجِدٍ … شَذَّتْ مَقَاصِدُهَا عَنِ المُتَشَدِّدِ
سَاحَتْ رِجَالٌ فِي القِفَارِ وَإِنَّهُ … لَيَسِيحُ فِي مَلَكُوتِ طَرْفِ مُسْهَدِ
وَلَهُ سَرَائِرُ فِي العُلَا خَطَّارَةٌ … خَطَّارُهَا وَرِكَابُهَا لَمْ تُشْدَدِ
فَالمُسْتَقِيمُ أَخُو الكَرَامَةِ عِنْدَهُ … لَا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الأَسْوَدَ بِأَسْوَدِ
وَأَجَلُّ حَالِ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةٍ … أُخِذَتْ إِلَى أَدَبِ المُرِيدِ بِمِقْوَدِ (٣)
فَأَتَى مِنَ الطُّرُقِ القَرِيبِ مَنَالُهَا … وَأَتَى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الأَبْعَدِ
سَيْفٌ مِنَ الأَنْصَارِ مَاضٍ حَدُّهُ … فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ وَهَدِّدِ
أُثْنِي عَلَيْهِ بِبَاطِنٍ وَبِظَاهِرٍ … لَا سِرَّ مِنْهُ بِمُغْمَدٍ وَمُجَرَّدِ
مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَابَقُوا … مَعَهُ الرِّيَاحَ بِكُلِّ نَهْدٍ أَجْرَدِ (٤)
وَثَنَوْا أَعِنَّتَهُمْ وَقَدْ تَرَكُوا العِدَا … بِالطَّعْنِ بَيْنَ مُجَدَّلٍ وَمُقَدَّدِ (٥)
مِنْ كُلِّ ذِمْرٍ كَالصَّبَاحِ جَبِينُهُ … ذَرِبٍ بِخَوْضِ المُعْضِلَاتِ مُعَوَّدِ (٦)
وَبِكُلِّ أَسْمَرَ أَزْرَقٍ فُولَاذُهُ … وَبِكُلِّ أَبْيَضَ كَالنَّجِيعِ مُوَرَّدِ (٧)

---

(١) النّقد: التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم.
(٢) المِزود: وعاء الزاد.
(٣) المُريد: الذي انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن ذاته.
(٤) النّهد والنّاهد: الفرس الكريم. الأجرد، أي: الفرس القليل الشعر.
(٥) مجدّل: مصروع، مقدّد: من قولك: قدّه بالسيف، إذا ضربه به.
(٦) الذّمر: الشجاع، ذَرِب: حادّ.
(٧) الأسمر: يعني الرمح. النجيع: الدم.

شَهِدَ النَّهارُ لِفاضِلٍ بُمُسَدَّدٍ … مِنْ رأيِهِ ولِطاعِنٍ بِمُسَدَّدِ
وتَمَخَّضَتْ ظُلَمُ اللَّيالي منهمُ … عَنْ رُكَّعٍ لا يَسْأمُونَ وسُجَّدِ
خافَ العَدُوُّ مَغيبَهُمْ لِشُهودِهِمْ … والموتُ يَكْمُنُ في الحُسامِ المُغْمَدِ
السَّاتِرُو العَوْراتِ مِنْ قَتْلَى العِدا … يَوْمَ الحَفيظَةِ بالقَنا المُتَقَصِّدِ (١)
والطَّاعِنُو النَّجْلاءَ يُدْخِلُ كَفَّهُ … في إثْرِها الآسي مكانَ المِرْوَدِ (٢)
سَلْ مِنْ سَليلِهِمُ سُلوكَ سَبيلِهِمْ … يُرْشِدْكَ أحمدُ للطَّريقِ الأحمدِ
مُسْتَمْطِراً بَرَكاتِهِ مِنْ رَاحَةٍ … أنْدَى مِنَ الغَيْثِ السَّكُوبِ وأجْوَدِ
فَمَواهِبُ الرَّحْمٰنِ بينَ مُصَوَّبٍ … منها لِراجي رحمَةٍ ومُصَعَّدِ
يا مَنْ أمُتُّ لهُ بِحِفْظِ ذِمامِهِ … وبِحُسْنِ ظَنّي فيهِ لي مُسْتَغْبِدي
مَوْلايَ دونَكَ ما شَرَحْتُ بِوَزْنِهِ … وَرَوِيِّهِ قَلْبَ الكَئيبِ الأكْمَدِ
فاقْبَلْ شِهابَ الدِّينِ عُذْرَ خَريدَةٍ … عَذْراءَ تُزْري بالعَذارَى النُّهَّدِ (٣)
مَغْسُولَةٍ ألفاظُها مِنْ كامِلٍ … أبْرِدْ حَشَى مِنْ رِيقِها بِمُبَرَّدِ
طلَعَتْ مَجَرَّةُ فضلِها بِكَواكِبٍ … دُرِّيَّةٍ مَخْفُوفَةٍ بالأسْعُدِ
رَامَ اسْتِراقَ السَّمْعِ منها مارِدٌ … لَمَّا أتَتْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعَدِ
مِنْ مَنْهَلٍ عَذْبٍ صَفا سَلْسالُهُ … لا مِنْ صَرَى يَشْوي الوجُوهَ مُصَرَّدِ (٤)
بَعَثَتْ إليكَ بها بَواعِثُ خاطِرٍ … مُتَحَبِّبٍ لِجَنابِكُمْ مُتَوَدِّدِ
صادَفْتُ دُرّاً مِنْ صِفاتِكَ مُثْمَناً … فأعَرْتُهُ مِنّي صِفاتِ مُنَضَّدِ (٥)
جاءَتْ تُسائِلُكَ الأمانَ لِخائِفٍ … مِنْ رِبْقَةٍ بِذُنُوبِهِ مُتَوَعَّدِ (٦)
فاضْمَنْ لها دَرْكَ المَعادِ ضَمانَها … بالفَوْزِ عنكَ لِسامِعٍ ولِمُنْشِدِ
فإذا ضَمِنْتَ لهُ فليسَ بِخائِفٍ … مِنْ مُبْرِقٍ يَوْماً ولا مِنْ مُرْعِدِ
جاهُ النَّبِيِّ لِكُلِّ عاصٍ واسِعٌ … والفَضْلُ أجْدَرُ باقْتِراحِ المُجْتَدي (٧)

---

(١) القنا المتقصّد: الرمح المستقيم النافذ الذي يصيب فيقتل.

(٢) الطعنة النجلاء: أي النافذة الواسعة.

(٣) الخريدة: البكر التي لم تُمس. النُّهد: جمع الناهد وهي الفتاة التي نَهد ثديها.

(٤) السّلسال: الماء العذب. الصّرى: الماء المتغير الطعم. المصرّد: المقلل.

(٥) المنضّد: ما وضع بعضه فوق بعض.

(٦) الرِّبقة: العروة.

(٧) المجتدي: الذي يطلب العطاء.

وقال، رضي الله تعالى عنه، يمدح المقرَّ العاليَ الصاحبيَّ الزينيَّ[1] زين الدين، رحمهما الله تعالى، وذلك من الكامل: [الكامل]

أهل التقى

أهلُ التُّقى والعِلمِ أهلُ السُّؤْدُدِ ... فأخو السِّيادةِ أحمدُ بنُ محمدِ
الصاحبُ ابنُ الصاحبِ ابنِ الصاحبِ الْـ ... ـحَبْرُ الهُمامُ السَّيِّدُ ابنُ السَّيِّدِ
لا تُشْرِكَنَّ به امرأً في وَصْفِهِ ... فتكونَ قد خالفتَ كلَّ مُوَحِّدِ
الشمسُ طالعةٌ فهل من مُبْصِرٍ ... والحقُّ مُتَّضِحٌ فهل من مُهتَدِي
إنَّ الفتى مَنْ سَوَّدَتْهُ نَفسُهُ ... بالفضلِ لا مَنْ سادَ غيرَ مُسَوَّدِ
والناسُ مُختَلِفو المذاهِبِ في العُلا ... والمَذهبُ المُختارُ مذهبُ أحمدِ
وفّى عُلومَ الأولين حُقوقَها ... والآخِرينَ وَفاءَ مَنْ لم يَجْحَدِ
فكأنهُ فينا خليفةُ آدمٍ ... أو آدمٌ لو أنهُ لم يُولَدِ
أفضى به علمُ اليَقينِ لِعَيْنِهِ ... ورآه حاسِدُهُ بعَيْنَيْ أَرْمَدِ
كُشِفَ الغِطاءُ لهُ فليسَ كحائرٍ ... في دينِهِ مِنْ أمرِهِ مُتَرَدِّدِ
قد كانَ يَحكُمُ في الأمورِ بعِلمِهِ ... شَهِدَ المُحقُّ لديهِ أمْ لم يَشهَدِ
لولا يُخاطِبُنا بقَدْرِ عُقولِنا ... جاءتْ معارفُهُ بما لم نَعهَدِ
ورِثَ النُّبوَّةَ فَلْيَقُمْ كَقِيامِهِ ... مَنْ حاولَ الميراثَ أو فَلْيَقْعُدِ
فلسانُهُ العَضْبُ الحُسامُ المُنتَضَى ... وبَيانُهُ بَحرٌ خِضَمُّ المُزْبِدِ[2]
وبَصيرةٌ بالله يُشرِقُ نورُها ... ويُضيءُ مثلَ الكوكبِ المُتَوَقِّدِ
وخلائقٌ ما شابَها مَنْ شانَها ... فأتتْ كماءِ المُزْنِ في قلبِ الصَّدِي[3]
فَلِبابِ زَيْنِ الدِّينِ أحمدَ فليَسِرْ ... مَنْ كانَ بالأعذارِ غيرَ مُقَيَّدِ
هوَ كعبةُ الفضلِ الذي قُصَّادُهُ ... قد حَقَّقُوا منهُ بلوغَ المَقصَدِ
لَمّا وَرَدْتُ على كريمِ جَنابِهِ ... فَوَرَدْتُ بَحرَ الجُودِ عَذْبَ المَوْرِدِ
لَمّا وَرَأَيْتُ وَجهاً أشرَقَتْ أنوارُهُ ... فأضاءَ مثلَ الكوكبِ المُتَوَقِّدِ
أعرَضْتُ عن لهوِ الحديثِ وقُلتُ يا ... مَدْحَ الوَرى عنِّي فما أنا مِنْ دَدِ[4]

(١) هو زين الدين أحمد حفيد الصاحب بهاء الدين بن حنا، عزله الملك السعيد سنة ٦٧٧ هـ.
(٢) العَضب: القاطع. وفي نسخة: وبيانه البحر الخضم. والخِضَمُّ: البحر.
(٣) المُزن: السحاب، أو ذو الماء. الصَّدي: العطشان.
(٤) الدَّد: اللهو واللعب.

وَعَزَمْتُ في يَوْمِي عَلَى العَمَلِ الذي   ألقاهُ لي نغمَ الذخيرةُ في غَدِ
مَدْحٌ إِذَا أعمَلْتُ فيه مِقْوَلي   جَاهَدْتُ عن دينِ الهُدَى بِمُهَنَّدِ
أبْقَى لهُ الذِّكْرَ المُخَلَّدَ عِلْمُهُ   أنْ ليس في الدُّنْيَا امرُؤٌ بِمُخَلَّدِ
فَاسْتُنْفِدَتْ بوجودِهِ آمالُهُ   وَاخْتَارَ عند الله ما لم يَنْفَدِ
شُغِفَتْ بِهِ الدُّنْيَا وآثَرَ أُخْتَهَا   حُبًّا فَأَوْهَمَ رَغْبَةً بِتَزَهُّدِ
وأتى عليها جُودُه فكأنها   لِهَوَانِها في نفسه لم تُوجَدِ
فإذا نَظَرْتَ إلى مقاصِدِهِ بِهَا   أبدَتْ إليكَ حَقيقةَ المُتَجَرِّدِ
كَلِفٌ بِمَا يَغْنِيهِ مِنْ إسعادِ ذي الْـ   حَاجَاتِ في الزَمنِ القليلِ المُسْعِد
يَطْوِي مِنَ التَّقْوَى حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى   وَيَبِيتُ سَهْرَانًا مُقَضَّ المَرْقَد
وَيَغُضُّ مِنْ مَغْسُولَتَيْنِ بِدَمْعِهِ   مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلامِ بِإِثْمِد
عَوِّلْ عليه في الأُمورِ فإنَّهُ   أهلُ الغَرِيبِ وبَيْتُ مالِ المُجْتَدِي[1]
وَاسْتَمْطِرِ البركاتِ مِنْ دَعَوَاتِهِ   حيثُ استقَلَّ سَحَابُ راحَتِهِ النَّدِي[2]
واسمعْ لِمَا يُوحَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي   يُشْجِي القلوبَ لَوَ انَّها مِنْ جَلْمَدِ[3]
صَدَرَتْ جَواهِرُ لفظِهِ مِنْ باطِنٍ   صافِي التُّقَى مِثْلِ الحُسام المُغْمَدِ[4]
فأراكَهُ سِحْرَ البيانِ مُنَضَّدًا   بِيَدِ البَلاغَةِ وَهْوَ غيرُ مُنَضَّدِ[5]
مُتَحَلِّيًا بِجَوامِعِ الكَلِمِ التي   يُغْنَى بها حَدِبٌ عَناءَ تَجَلُّدِ
فالقَصُّ منه إذا أتاكَ تَعَدَّدَتْ   منه المعاني وَهْوَ غيرُ مُعَدَّدِ
قُلْ لِلإمامِ المُقْتَدِي بِعُلومِهِ   قد فازَ مَنْ أَضْحَى بِرأيِكَ يَقْتَدِي
يا مَنْ يُرَاعِي للفضيلةِ حَقَّهَا   لِتَلَذُّذٍ بالفَضْلِ لا لِتَزَيُّدِ
لَمْ تُصْغِ للعُلَماءِ إلا مِثْلَمَا   أَصْغَى سُلَيْمانٌ لِقَوْلِ الهُدْهُدِ
عَجِبَتْ لِزُهْدِكَ في الوزارةِ مَعْشَرٌ   فَأَجَبْتُهُمْ عَجَبًا إذا لم يَزْهَدِ
ما ضَرَّ حِبْراً قَلَّدَتْهُ أَئِمَّةٌ   أنْ لم يكنْ لِمَنَاصِبٍ بِمُبَلَّدِ
وإذا سما باسْمِ العلومِ فلا تَسَلْ   عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بالحَضيضِ الأَوْهَدِ[6]

---

(١) المجتدي: طالب الرزق.

(٢) استقل: حمل ورفع.

(٣) الجلمَد: الصخر.

(٤) الحُسام: السيف.

(٥) المنضّد: ما وضع بعضه فوق بعض.

(٦) الأوهد: المنخفض.

مـا الـمَـجْـدُ إلاّ حِـكْـمَـةٌ أُولِـيـتَـهَـا يَـتَـخَـطُّ عـنـهـا قـدرُ كـلِّ مـمـجَّـدِ
يـا رُتْـبَـةً لا تُـرْتَـقَـى بِـسَـلالِـمٍ وسـيـادةً مـا تُـشْـتَـرى بـالـعَـسْـجَـدِ[1]
خيرُ المناصِبِ ما العيونُ كَليلَةٌ عـنـه ومـا الأيـدي لـه لـم تُـمْـتَـدِ[2]
مَـوْلايَ دونَـكَ مِـنْ ثَـنـائـي حُـلَّـةً تُـبْـلِـي مِـنَ الأيـامِ كـلَّ مُـجَـدَّدِ
جَـاءَتْ مُـسَـارِعَـةً إلـيـكَ بِـسـاعَـةٍ سَـعِـدَتْ مُـطَـالِـعَـةً وإنْ لـم تُـرْصَـدِ
يَـوْمُ اتِّـصَـالٍ بـالأحِـبَّـةِ، حَـبَّـذا يَـوْمٌ بـه انـقَـطَـعَـتْ قـلـوبُ الحُـسَّـدِ
مـا سُـيِّـرَتْ مـا بَـيْـنَ يـوسُـفَ مِـثْـلَـمـا قـد سُـرَّ فـيـه أحـمـدُ بـمُـحَـمَّـدِ
يـا حَـبَّـذَا مَـدْحٌ لآلِ مُـحَـمَّـدٍ دونَ الـتَّـغَـزُّلِ فـي غَـزالٍ أغْـيَـدِ[3]
إنَّ الجـلالـةَ مُـنْـذُ رُمْـتُ مَـدِيـحَـكُـم لـم تَـرْضَ لـي ذِكْـرَ الحِـسـانِ الخُـرَّدِ[4]
فـاللهُ يَـجْـمَـعُ شَـمْـلَـكُـمْ سـاداتِـنـا جَـمْـعَ الـسـلامَـةِ فـي نـعـيـمٍ سَـرْمَـدِ[5]

وقال لما مدح اليهودَ وذمّ النصارى، وسيأتي ذكرها في حرف الراء، وهذه النصارى، فألزموه فكتب: [مخلّع البسيط]

ما للنصارى

مـا لِـلـنَّـصـارَى بـِـيَ ذَنْـبٌ وإنـمـا الـذنـبُ لـلـيَـهـودِ
وكـيـفَ تَـفْـضِـيـلُـهُـمْ وفـيـهـمْ سِـرُّ الـخَـنـازيـرِ والـقُـرُودِ

وقال[6] في المركَب التي فوق الإمام الشافعي: [الطويل]

قبة الشافعي

بِـقُـبَّـةِ قَـبْـرِ الـشّـافِـعِـيِّ سَـفِـيـنَـةٌ رَسَـتْ مِـنْ بِـنَـاءٍ مُـحْـكَـمٍ فَـوْقَ جُـلْـمُـودِ[7]

---

(1) العَسجد: الذهب.
(2) كَلَّ: نبا، وكَلَّ بصره إذا ضعف.
(3) الأغيَد: الناعم، المائل العنق الوسنان.
(4) الخُرَّد: جمع الخَريدة: البكر التي لم تُمسس.
(5) السّرمدي: الدائم.
(6) كتاب المقفى للمقريزي: ٣/ ٧٦٦.
(7) الشافعي: محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٠٤هـ. الجلمود: الحجر الصلب.

وَمُذْ غاضَ طُوفانُ العُلومِ بِمَوْتِهِ اسْـ ـتَوَى الفُلْكُ في ذاكَ الضَّريحِ عَلى الجُودِيِّ[1]

قافية الراء

وقال يمدح بها علي بن الصاحبي[2]: [الخفيف]

كم هدانا

حَيِّ بُلْبَيْسَ مَنْزِلاً في العِمارَهْ ... وَتَوَجَّهْ تِلْقاءَ بِئْرِ عُمارَهْ

فالبِتِيّاتِ فالحِرازِ فَتُبْتِيـ ... ـتَ فَشَبْرا البَيُّومِ فالخَمّاره[3]

وإذا جِئْتَ حاجِراً بَيْنَ بُلْبَيْـ ... ـسَ وَقَلْيوبَ مِنْ خَرابِ فَزارَه

فارجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ بِنْهاوَأَتْـ ... ـرِيبَ وَكُلٌّ لِشاطِئِ البَحْرِ جارَه

وَإِذا ما خَطَرْتَ مِنْ جانِبِ الرَّمْـ ... ـلِ بِفاقُوسَ فاقْصِدِ الخَطّارَه

وَشَمَنْدِيلَ وَهْيَ مَنْزِلَةُ الجَيْـ ... ـشِ وَسَعْدانَةٍ مَحَلُّ غِزارَه

خَلِّنِي مِنْ هَوَى البَداوَةِ إِنّي ... لَسْتُ أَهْوَى إِلا الجِمالَ الخِضارَه

واقْرِ تِلْكَ القُرَى السَّلامَ فَإِنْ أَعْـ ... ـيَتْكَ مِنها عِبارَةٌ فَإِشارَهْ

إِنَّ قَلْبِي أَضْحَى إِلى ساكِنِيها ... باشْتِياقٍ وَمُهْجَتِي مُسْتَطارَه

أَذْكَرَتْنا عَيْشاً قَدِيماً نَزَعْنا ... هُ لِباساً كالحُلَّةِ المُسْتَعارَه

وزَماناً في الحُسْنِ وَجْهَ عَلِيٍّ ... ذا بَهاءٍ وَبَهْجَةٍ وَنَضارَه

صاحِبٌ لا يَزالُ بالجُودِ وَالإِفْـ ... ـضالِ طَلْقَ اليَدَيْنِ حُلْوَ العِبارَه

كَمْ هَدانا مِنْ فَضْلِهِ بِكِتابٍ ... مُعْجِزٍ مِنْ عُلُومِهِ بِأَثارَه

وجهُهُ مُسْفِرٌ لِعافِيهِ ما نَحْتاجُ ... في الجُودِ عِنْدَهُ لِسِفارَهْ[4]

يَدُهُ رُقْعَةُ الصَّباحِ فَما أَغْـ ... ـرَبَها مِنْ سَلامَةٍ وَطَهارَهْ

يَذْكُرُ الوَعْدَ في أُمُورٍ وَلا يَذْ ... كُرُ جَدْوَى وَلَوْ بِكُلِّ إِمارَهْ

إِنَّما يَذْكُرُ العَطِيَّةَ مَنْ كا ... نَتْ عَطاياهُ تارَةً بَعْدَ تارَه

(١) الجودي: اسم جبل بالعراق، يُقال إن سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان.

(٢) هو الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن حِنّا.

(٣) البتيات، والحراز، وتبتيت: مواضع بمصر، وكذلك شبرا، والبيوم، والخمّارة، وبُلبيس وقليوب، وبنها، وفاقوس.

(٤) العافي: طالب الرزق.

سَيِّدِي أَنْتَ نُصرَتي كلما شَنَّ عَلَيَّ الزَّمانُ بالفَقْرِ غارَه
شابَ رَأسِي وما رَأسْتُ كأَنِّي زامِرُ الحَيِّ أَوْ صغيرُ الحارَه[1]
وَابنُ عِمْرانَ وَهْوَ شَرٌّ مَتاعٍ لِلوَرَى في بَطانةٍ وَظِهارَه[2]
حَسَّنَ القُرْبُ منكُمْ قُبحَ ذِكْرا هُ كَتَحسِينِ المِسْكِ ذِكْرَ الفارَه
فَهْوَ في المَدْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحابِي وَهْوَ في الهَجْوِ مِنْ زِنادِي شَرارَه
ما لَهُ مِيزَةٌ عَلَيَّ سِوَى أَنَّ لَهُ بَغْلَةٌ وما لِي حِمَارَه
وَعِياطٌ تُذْوَى الدَّوَاوِينُ منه لا بمعنًى كأنه طِنْجهارَه
يَتَجَنَّى بِسُوءِ خُلْقٍ عَلَى النا سِ وَنَفْسٍ ظَلُومةٍ كفّارَه
لَمْ تُهَذِّبْهُ كُلُّ قاصِرَةِ الطَّـ ـرْفِ أَجادَتْ بأَخْدَعَيْهِ القِصارَه[3]
وَابنُ يَغْمُورَ إِذْ كَساهُ مِنَ الـ ـدُّرَّةِ دِرْعًا كأَنَّهُ غِفارَه[4]
طَبَعَتْ رأسَهُ دَمًا وَبِساطي جِلْدَةً أَوْ حَسِبْتُهُ جُلَّنارَه[5]
وَسُليمانُ كلما قَرَعَ القَرْ عَةَ طَنَّتْ كأنها نُقّارَه
وَقَعاتٌ تُنسِي المُؤَرِّخَ ما كا نَ مِنْ سُنْبُسٍ وَمِنْ زُنّارَه
إنْ جَهِلْتُمْ ما حَلَّ في ساحلِ الشَّيْخِ مِنَ الصَّفْحِ فاسأَلوا البَحّارَه
قالَتِ البَغْلَةُ التي أَوْقَعَتْهُ أَنا مالي عَلَى الغُبونِ مَرارَة
إنَّ هذا شَيْخٌ لهُ بِجَوارِيهِ مَعَ الناسِ كُلَّ يَومٍ صِهارَه
قُلْتُ لا تَفْتَرِي عَلَى الشاعِرِ الفَقْـ ـيهِ، قالَتْ: سَلِ الفَقِيهَ عُمارَه
لَوْ أَتاهُ في عِرْسِهِ شَطْرُ فَلْسٍ لَرَأَى البَيْعَ رَجْلَةً وشَطارَه
قُلْتُ هذا شادُ الدَّواوِينِ، قالَتْ ما أُولِي هذا عَلَى الخَرّارَه[6]
قُلْتُ ذِي غَيْرَةُ الأُبَيْرَةِ أَلاَّ تَشْتَهِي أَنْ تُفارِقَ الأَبّارَه[7]
قالَتْ أَقْوَى وكيفَ أُغَيِّرُ مِنِّي عِنْدَ شَيخٍ كُلَّ بِغَيْرِ زِبارَه

---

(١) إشارة إلى قولهم: زامر الحي لا يطرب، ويريد أن حاله لم تتغير.
(٢) ابن عمران: ناظر الشرقية في زمن البوصيري، وقد فصل البوصيري من وظيفته فعرّض به. الورَى: الخَلْق.
(٣) الأخدعان: عرقان في المحجمتين.
(٤) الدِّرع: القميص والدِّرة التي يُضرَب بها.
(٥) الجُلّنار: زهر الرمان.
(٦) الخرّارة: اسم قرية بمصر.
(٧) الأَبّارة: بائعة الإبر.

قلتُ: ما تكرهين منه؟ فقالت ... أيُّ بُخلٍ فيه وأيُّ قتاره(1)
أنا في البيتِ أشتهي كفَّ تِبنٍ ... ومِنَ الفرطِ أشتهي نُوّاره(2)
وعليقي عليه أرخصُ مِن ما ... لِ المواريثِ في شِرا ابنِ جُبارَه
سَرَق النِّصفَ واشترى النِّصفَ بالنِّصـ ... ـفِ وأفتى بأنَّ هذا تجاره
لا تلوموا إذا وقعتُ مِنَ الجو ... عِ فإني مِنَ الخوى خوّاره(3)
ما كفاهُ مِنَ الطّوافِ ببلبيـ ... ـسَ إلى أن يطوفَ بي السيّاره
آهِ مِن ضيعتي وماذاكَ إلا ... أنَّ مالي على الغُبونِ مَرارَه
أكمِلَتْ خِلقتي وشيبي ومالي ... في حُجورٍ أختٌ ولا في مهاره(4)
أيُّ شِبريّةٍ ألذوطاءَ ... مِن رُكوبي وأيُّما شبّاره
غيَّرتْني بها بِغالُ الطواحيـ ... ـنِ، وقالت تمّتْ عليكِ العياره
دُرْتُ حتى وقعتُ عندَ المناحيـ ... ـسِ فيا ليتَ أنني دوّارَه
ولقد أنذرتُهُ فرأيتُهْ ... جاهليًّا لم تُغنِ فيهِ النِّذارَه(5)
وقوافيَّ ليسَ فيها صِقالٌ ... مِن ندًى لا، وليس فيها زفاره(6)
كلُّ عذراءَ ما تُرَدُّ مِنَ الكُـ ... ـفْءِ بِعَيبٍ ولا زوالِ بكاره
سِرْنَ مِن حُسنهِنَّ في الشرقِ والغر ... بِ فكُنَّ الكواكبَ السيّاره
لن يَصيدَهُنَّ النوالُ مِن بَحرِ فكري ... أو يُصطادُ الدُّرُّ بالسنّاره؟
غيرَ أني أعدَدتُها لِخطايا ... وذُنوبٍ أسلفتُها كفّاره
أوَلَمْ تدرِ أنَّ مدحَ عليٍّ ... مِثلُ حجٍّ وعُمرةٍ وزياره

* * *

أيُّها الصاحبُ المؤمَّلُ أدعو ... كَ دُعاءَ استغاثةٍ واستجاره
أثقلتْ ظهريَ العيالُ وقد كُنْـ ... ـتُ زمانًا بهم خفيفَ الكارَه(7)

---

(١) قُتارة: رائحة.
(٢) النُّوّار: الزهر، أو الأبيض منه.
(٣) الخَوى: خلو الجوف من الطعام.
(٤) مِهار: جمع مهر.
(٥) النِّذارة: الإنذار.
(٦) صِقال: مصقولة.
(٧) خَفيف الكارَه أي: خفيف الحَمْل.

وَلَوَ أنّي وخدِي لَكُنْتُ مُرِيداً   في رِباطٍ أو عابِداً في مَغارَه[1]
أحَسَبُ الزُّهْدَ هَيِّناً وهُوَ حَرْبٌ   لستُ فيه ولا مِنَ النُّظّارَه
لاتَكِلْنِي إلى سِواكَ فأخْيَا   رُزَماني لا يَمْنَحُونَ خِيارَه
وَوُجوهُ القُصّادِ فيه حَدِيدٌ   وَقُلوبُ الأجْوادِ فيهِ حِجارَه
فإذا فازَ كَفُّ حُرٍّ بِبِرٍّ   فَهْوَ إمّا بِنَقْضَةٍ أو نِشارَه
إنّ بَيْتي يقولُ قد طالَ عَهْدِي   بِدُخولِ التَّدليـ   سِ لي وَالشّكارَه
وطعامٍ قد كانَ يَعْهَدُهُ النا   سُ مَتاعَ الهَمْ ولِلسّيّارَه
فالكوانينُ ما تُعابُ مِنَ البَرْ   دِ بِطَبّاخَةٍ وَلا شَكّاره
لا بِساطٌ ولا حَصِيرٌ بِدِهْلِيـ   زِي وَلا مَجْلِسِي ولا طَيّاره[2]
لَيس ذا حالُ مَنْ يُرِيدُ حَيَاةً   لِعِيالٍ ولا لِبَيْتٍ عِمَارَه
قُلْتُ إنّ الوَزِيرَ أسْكَنَ غَيْرِي   في مَكاني ولي عليه إجَارَه
قِيلَ إنّ الوزيرَ لَنْ يَقْصِدَ الفَسْـ   خَ، فَلِمْ لا رَاجَعْتَ في الخَرّارَه[3]
أسْقَطَتْهُ مِنْ ظَهْرِنَا فأرَتْنَا   جَيْبَهُ لازِماً لِبَطْنِ المَحارَه
ثُمّ شَدُّوه بالإزارِ فخِلْنا   هُ الخَيالِيَّ مِنْ وَرَاءِ السِّتارَه
لَمْ يُفَضّلْ عليكَ غيرَكَ لَكِنْ   عَطاياهُ كَالكُؤُوسِ المُدَارَه
فَسَأغْدُو بِهِ سَعِيداً كأني   لاعْتِدالِ الرَّبِيعِ للشّمسِ دارَه
وَيَشُوقُ الأضْيافَ في بادَهَنْجٍ   مِنْ بَعِيدٍ قُرُونُهُ كالمَنارَه
إنّ بَيْتاً يَغْشاهُ كلُّ فقيرٍ   مِنْ عَلِيٍّ في ذِمّةٍ وَخِفَارَه[4]
صَرَفَ اللهُ السُّوءَ عَنْهُ وآتا   هُ مِنَ المَجْدِ والعُلا مَا اخْتارَه

وقال يمدح أَيْدَمُر عزَّ الدين[5]، ويعزيه في سيف الدين: [البسيط]

---

(١) المُريد: من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته. وفي الشطر الأول خلل عروضي.
(٢) الدّهليز: ما بين الباب والدار.
(٣) الخرّارة: اسم قرية من قُرى الشرقية بمصر.
(٤) الخِفارة: الإجارة والمنع.
(٥) هو السلطان عز الدين أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي المعروف بالتركماني، أول ملوك الترك بالديار المصرية. تولى السلطنة سنة ٦٤٨هـ. وقتل سنة ٦٥٥هـ. وسيف الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس بن موسك القيمري، من أكابر الأمراء.

لله درُّك عزَّ الدين

قد خصَّ بالفضلِ قطليجا وأيدمرٌ ... وطابَ منه ومنكَ الأصلُ والثَّمرُ
بحرانِ لو جادَ بحرٌ مثلَ جودِهما ... بيعتْ بأرخصَ من أصدافِها الدُّرَرُ
لله درُّكَ عزَّ الدينِ ليثَ وغى ... لهُ من البيضِ نابٌ والقنا ظُفُرُ
ألقى الإلهُ على الدُّنيا مهابتَهُ ... فالبيضُ ترعَدُ خوفاً منه والسُّمُرُ(١)
أرَيْتَنا فضلَ شمسِ الدِّينِ منتقِلاً ... إليكَ منه وصحَّ الخُبْرُ والخَبَرُ
إنْ تُحيي آثارَهُ مِنْ بَعْدِما درسَتْ ... فإنَّكَ النيلُ تُحيي الأرضَ والمطرُ
وإنْ تكنْ أنتَ خيرَ الوارثينَ لهُ ... فما يُنازِعكَ في ميراثِهِ بشرُ
وإنْ تكنْ في العُلا والفضلِ تخلُفُهُ ... فالشمسُ يخلُفُها إنْ غابتِ القمرُ
أخجلْتَ بالحِلمِ ساداتِ الزَّمانِ فلَمْ ... يَعفوا كعفوِكَ عَنْ ذَنْبٍ إذا قدروا
ولَمْ تَزَلْ تستُرُ العَيْبَ الذي كَشفوا ... ولم تَزَلْ تَجبُرُ العَظْمَ الذي كَسَروا
لو أنَّ ألسنةَ الأيامِ ناطقةٌ ... أثنتْ على فضلِكَ الآصالُ والبُكَرُ(٢)
شرعتَ للناسِ طُرقاً ما بها عُجَرٌ ... يخافُ سالكُها فيها ولا بُجَرُ(٣)
لو يستقيمُ عليها السالكونَ بها ... كما أمرتَ مشتْ مشيَ المها الحُمُرُ
أكرمْ بأيدمرَ الشمسيِّ من بطلٍ ... بذكرِهِ في الوغى الأبطالُ تفتخِرُ
تخافُ منه وترجوهُ كما فعلتْ ... في قلبِ سامعِها الآياتُ والسُّوَرُ
معنى الوجودِ الذي قامَ الوجودُ به ... وهلْ بغيرِ المعاني قامتِ الصُّوَرُ؟
بنانُهُ من نداهُ الغيثُ منسكِبٌ ... وسيفُهُ من سطاهُ النارُ تستعِرُ
نهتْهُ عن لذةِ الدُّنيا نزاهتُهُ ... وشرَّدَ النومَ من أجفانِهِ السَّهَرُ
وليسَ يُضجِرُهُ قولٌ ولا عملٌ ... وكيفَ يُدرِكُ من لا يتعبُ الضَّجَرُ
يُمسي ويُصبحُ في تدبيرِ مملكةٍ ... أعيا الخلائقَ فيها بعضُ ما يزرُ
يكفيهِ حملُ الأماناتِ التي عُرِضتْ ... على الجبالِ فكادتْ منه تنفطِرُ(٤)
خافَ الإلهَ فخافتْهُ رعيَّتُهُ ... والمرءُ يُجزى بما يأتي وما يذرُ

---

(١) البيض: يعني السيوف. والسمر: أي الرماح.

(٢) الآصال: جمع الأصيل: ما قبل الغروب، العشي. بُكَر: جمع بُكرة: غداة.

(٣) العُجَر: جمع العُجرة وهي موضع العَجر والعقدة في الخشبة ونحوها. والعُجَر والبُجَر: العيو والأحزان. والبُجرة في الأصل: السُّرّة، والعقدة في البطن والوجه.

(٤) تنفطر: تتشقق.

واخْتَارَهُ مَلِكُ الدُّنيا لِيَخْبرَهُ ... في مُلْكِهِ وهُوَ مُخْتَارٌ ومُخْتَبَرُ
فَطَهَّرَ الأرضَ مِنْ أَهْلِ الفسادِ فَلا ... عَيْنٌ لَهُمْ بَقِيَتْ فيها ولا أَثَرُ
ودَبَّرَ المُلْكَ تَدْبيراً يُقَصِّرُ عَنْ ... إدراكِ أَيْسَرِهِ الأَفهامُ والفِكَرُ
وحينَ طارَتْ إلى الأعداءِ سُمْعَتُهُ ... ماتَ الفِرَنْجُ بِداءِ الخَوْفِ والتَّتَرُ(١)
فَما يُبالي بأعداءٍ قُلوبُهُمُ ... فيها تَمَكَّنَ منهُ الخوفُ والذُّعُرُ
وكُلُّ أرضٍ ذَكَرْناهُ بها غَنِيَتْ ... عَنْ أنْ يُجَرَّدَ فيها الصارِمُ الذَّكَرُ
فَلَوْ تُجَرَّدُ مِنْ مِصْرٍ عَزائِمُهُ ... إلى العِدا بَطَلَ البَيْكارُ والسَّفَرُ
في كُلِّ يَوْمٍ تَرى القَتْلى بِصارِمِهِ ... كأنَّما انُحِرَتْ في مَوسِمٍ جُزُرُ
كأنَّ صارِمَهُ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... نَذِيرُ مَوْتٍ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ النُّذُرُ
شُكْراً لَهُ مِنْ وَلِيٍّ في وِلايَتِهِ ... مَعْنى كرامَتِهِ للناسِ مُشْتَهِرُ
عَمَّ الرَّعِيَّةَ والأجنادَ مَعْدَلَةً ... فَما شَكا نَفَراً مِنْ عَدلِهِ نَفَرُ
وسَرَّ أسماعَهُمْ منهُ وأعْيُنَهُمْ ... وَجْهٌ جَميلٌ وذِكْرٌ طَيِّبٌ عَطِرُ
تأرَّجَتْ عَنْ نَظيرِ المِسْكِ نَظْرَتُهُ ... كما تأرَّجَ عَنْ أكمامِهِ الزَّهَرُ(٢)
مِنْ مَعْشَرٍ في العُلا أَوْفَوا عُهودَهُمُ ... وليسَ مِنْ مَعْشَرٍ خانُوا ولا غَدَرُوا
تُزْكُ تَزَيَّنَتِ الدُّنيا بِذِكْرِهِمُ ... فَهُمْ لها الحَلْيُ إنْ غابُوا وإنْ حَضَرُوا
حَكَتْ ظَواهِرُهُمْ حُسْناً بَواطِنَهُمْ ... فَهُمْ سَواءٌ أَسَرُّوا القَوْلَ أو جَهَرُوا
بِيضُ الوُجوهِ يَجُنُّ اللَّيْلُ إنْ رَكِبُوا ... إلى الوَغى ويُضِيءُ الصُّبْحُ إنْ سَفَرُوا
تَسْعَى لأبْوابِهِمْ قُصّادُ مالِهِمْ ... وجاهِهِمْ زُمَراً في إثْرِها زُمَرُ
تَسابَقُوا في العُلا سَبْقَ الجِيادِ لَهُمْ ... مِنَ الثَّناءِ الحُجولُ البِيضُ والغُرَرُ(٣)
وكُلُّ شَيءٍ سَمِعْنا مِنْ مَناقِبِهِمْ ... فَمِنْ مَناقِبِ عِزِّ الدِّينِ مُخْتَصَرُ
مَوْلى تَلَذُّ لنا أخبارُ سُؤْدُدِهِ ... كأنَّ أخبارَهُ مِنْ حُسْنِها سَمَرُ
فَلَوْ أدارَتْ سُقاةُ الرّاحِ سِيرَتَهُ ... عَلى النَّدامى وحَيَّوْهُمْ بها سَكِرُوا
يا حُسْنَ ما يَجْمَعُ الدُّنيا ويُنْفِقُها ... كالبَحْرِ يَحْسُنُ منهُ الوِرْدُ والصَّدَرُ(٤)
لِكُلِّ شَرْطٍ جَزاءٌ مِنْ مَكارِمِهِ ... وكُلُّ مُبْتَدَإٍ منها لَهُ خَبَرُ

---

(١) الفرنج: يعني الصليبيين. والتتر: المغول القادمين من أواسط آسيا.
(٢) الأرج: توهج ريح الطِّيب.
(٣) الحجول: جمع الحِجل: البياض في قوائم الفرس. الغُرر: جمع الغُرّة: البياض في الجبهة.
(٤) الوِرْد: الإشراف على الماء. الصَّدَر: الرجوع عن مورد الماء.

فما نَظَمْتُ مديحاً فيه مُبْتَكَراً ... إلاَّ أتانِيَ جُودٌ منه مُبْتَكَرُ
صَدَقْتُ في مَدْحِهِ فازْدادَ رَوْنَقُهُ ... فما عَلى وَجْهِهِ مِنْ رِيبَةٍ قَتَرُ(1)
أَغْنَتْ عَطاياهُ فُقَرَ الناسِ كلَّهُمِ ... فَسَلْهُمُ عَنْهُ إنْ قَلُّوا وإنْ كَثُرُوا
لِذاكَ أثْنَوا عليه بالذي عَلِمُوا ... خيرٌ أفيا حُسْنَ ما أثْنَوا وما شَكَرُوا
قالوا وَجَدْناهُ مِثْلَ الكَرْمِ في كَرَمٍ ... يَفِيءُ منه علينا الظِّلُّ والثَّمَرُ
وما يَزالُ يُعِينُ الطائِعِينَ إذا ... تَطَوَّعُوا بِجَمِيلٍ، أو إذا نَذَرُوا
ومَنْ أعانَ أُولِي الطاعاتِ شارَكَهُمْ ... في أجْرِ ما حَضَرُوا منه وما تَجَرُوا
فما أتَى الناسُ مِنْ فَرْضٍ ومِنْ سُنَنٍ ... ففي صَحِيفَتِهِ الغَرّاءِ مُسْتَطَرُ
فَحَجَّ وهو مُقِيمٌ والحِجازُ به ... قَوْمٌ يُقِيمُونَ لا حَجُّوا ولا اعْتَمَرُوا
وجاهَدَتْ في سبيلِ الله طائفةٌ ... وخَيْلُها منه والهِنْدِيَّةُ البُتُرُ
وأطْعَمَ الصّائِمِينَ الجائِعِينَ ومَنْ ... فَرْطِ الخَصاصةِ في أكبادِهِمْ سُعُرُ
ولَمْ تَفُتْهُ مِنَ الأوْرادِ ناشِئَةٌ ... في لَيْلَةٍ قامَ يُحْيِيها ولا سَحَرُ
يَطْوِي النَّهارَ صِياماً وهو مُضْطَرِمٌ ... واللَّيْلَ يَطْوِي قِياماً وهو مُعْتَكِرُ
ومالُهُ في زكاةٍ كلُّهُ نُصُبٌ ... لا الخُمْسُ فيه لَهُ ذِكْرٌ ولا العُشْرُ
أعمالُهُ كلُّها لله خالِصَةٌ ... ونُصْحُهُ لم يُخالِطْ صَفْوَهُ كَدَرُ
كم عادَ بَغْيٌ عَلَى قومٍ عليه بَغَوْا ... وحاقَ مَكْرٌ بأقوامٍ به مَكَرُوا
لَمْ يَخْفَ عَنْ عِلْمِهِ في الأرضِ خافِيَةٌ ... كأنَّهُ لِلْوُجُودِ السَّمْعُ والبَصَرُ
فلا يَظُنَّنْ مُرِيبٌ مِنْ جَهالَتِهِ ... بأنَّ في الأرضِ شيءٌ عنه يَسْتَتِرُ
عَصَتْ عليه أُناسٌ لا خَلاقَ لَهُمْ ... الشُّؤْمُ شِيمَتُهُمْ واللُّؤْمُ والدَّبَرُ(2)
تَلَثَّمُوا ثُمَّ قالوا: إنَّنا عَرَبٌ ... فقلتُ لا عَرَبٌ أنتم ولا حَضَرُ
ولا عُهُودَ لَكُمْ تُرْعَى ولا ذِمَمٌ ... ولا بُيُوتُكُمُ شَعْرٌ ولا وَبَرُ
وأيُّ بَرِّيَّةٍ فيها بُيُوتُكُمُ ... وهلْ هِيَ الشَّعْرُ قولوا لِي أمِ المَدَرُ؟
وليسَ يُنْجِي امْرَأً رامُوا أذِيَّتَهُ ... منهمْ فِرارٌ فَقُلْ كَلاَّ ولا وَزَرُ
يَشْكُو جميعُ بني الدُّنيا أذِيَّتَهُمْ ... فَهُمْ بِطُرْقِهِمُ الأحْجارُ والحُفَرُ
يَرَوْنَ كُلَّ قَبِيحٍ مِنْهُمُ حَسَناً ... ولَمْ يُبالُوا ألامَ الناسُ أمْ عَذَرُوا؟
مِنْ لُؤْمِ أحْسابِهِمْ إنْ شاتَمُوا رَبِحُوا ... ومِنْ حَقارَتِهِمْ إنْ قاتَلُوا خَسِرُوا

---

(1) القَتَر: الغَبَرة.

(2) لاخلاق لهم، يعني لا ينالهم خيرٌ. الخَلاق: الخير.

لَمّا عَلِمْتَ بأنَّ الرِّفْقَ أبْطَرَهُم ... والمُفْسِدُونَ إذا أكْرَمْتَهُمْ بَطِرُوا
زَجَرْتَهُمْ بعقوباتٍ مُنَوَّعَةٍ ... وفي العقوباتِ لِلطاغِينَ مُزْدَجَرُ
كأنهم أقْسَمُوا بالله أنهمُ ... لا يَشْرِكُونَ الأذى إلا إذا قُهِرُوا
فَمَعْشَرٌ رَكِبُوا الأوْتادَ فانقطعَتْ ... أمعاؤهم فتَمَنَّوْا أنَّهمْ نُحِرُوا
وَمَعْشَرٌ قُطِعَتْ أوصالُهُمْ قِطَعًا ... فما يُلَفِّقُها خَيْطٌ ولا إبَرُ(١)
ومَعْشَرٌ بالظُّبا طارتْ رُؤوسُهُمُ ... عَنِ الجُسومِ فقُلْنا إنها أُكَرُ(٢)
وَمَعْشَرٌ وُسِّطُوا مِثْلَ الدِّلاءِ وَلَمْ ... تُرْبَطْ حِبالٌ بها يَوْمًا ولا بَكَرُ(٣)
وَمَعْشَرٌ سُمِّروا فوقَ الجِيادِ وقدْ ... شُدَّتْ جُسومُهُمُ الألْواحُ وَالدُّسُرُ(٤)
وآخَرُونَ فَدَوْا بالمالِ أنفسَهُمْ ... وقالتِ الناسُ خَيْرٌ مِنْ عَمًى عَوَرُ
مَوْتاتُ سَوْءٍ تَلَقَّوْها بما صَنَعُوا ... وَمِنْ وَراءِ تَلَقِّيهِمْ لها سَقَرُ
وَقدْ تأدَّبَتِ المُسْتَخْدَمُونَ بهم ... وَالغافِلُونَ إذا ما ذُكِّرُوا ذَكَرُوا
فَعَفَّ كلُّ ابنِ أنثى عَنْ خِيانتِه ... فلمْ يَخُنْ نفسَهُ أُنثى وَلا ذَكَرُ
إنْ كانَ قد صَلَحَتْ مِنْ بعْدِ ما فَسَدَتْ ... أحوالُهُمْ بِكَ إنَّ الكَسْرَ يَنْجَبِرُ
لَوْلاكَ ما عَدَلُوا مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِمُ ... عَلَى الرَّعايا وَلا عَفُّوا وَلا انْحَصَرُوا
ولا شَكَرْتَهُمُ مِنْ بَعْدِ ذَمِّهِمُ ... كأنهم آمَنُوا مِنْ بَعْدِ ما كَفَرُوا
وكُنْتُ وصَّيْتُهُمْ أنْ يَحْذَروكَ كما ... وصَّى الحكيمُ بَنيهِ وَهْوَ مُحْتَضَرُ
وقلتُ لا تَقْرَبوا ما الأحَوتْ يَدُهُ ... فالفَخُّ يَهْرُبُ منه الطائرُ الحَذِرُ
وحاذِرُوا معه أنْ تَرْكَبُوا غَرَرًا ... فليسَ يُحْمَدُ مَنْ مَرْكُوبُهُ الغَرَرُ(٥)
ولا تَصَدَّوْا لِمالٍ لَمْ يَرُضْ خاطِرُهُ ... إنَّ التَّصَدِّي لِمالٍ لَمْ يَرُضْهُ خَطَرُ
فَبانَ نُصْحي لَهُمْ إذْ ماتَ ناظِرُهُمْ ... وَقدْ بَدَتْ لِلْوَرَى في مَوْتِهِ عِبَرُ(٦)
مُقَدَّماتٌ: أماتاهُ وأقْبَرَهُ ... مَشاعِلِيّانِ ما أدَّوْا وَلا نَصَرُوا
وجَرَّسُوهُ عَلَى النَّعْشِ الذي حَمَلُوا ... مِنَ الفِراشِ إلى القَبْرِ الذي حَفَرُوا(٧)

---

(١) يلفقها: يضم شقة إلى أخرى.
(٢) الظُّبا: جمع الظُّبَة: حد السيف.
(٣) وسَّطه: قطعه نصفين.
(٤) الدُّسُر: جمع الدِّسَار: خيط ليف تُشد به ألواح السفينة.
(٥) الغرر: التعرض للهلكة.
(٦) الورى: الخَلْق.
(٧) جرَّسُوه: تكلموا عنه.

يا سوءَ ما اقترفوا من كلِّ مُخزيَةٍ ... عَلى جنازَتِهِ جهراً وما هجَرُوا
وَكبَّروا بعدَ تصغيرٍ جرائمَهُ ... وَقبَّحوا ما طوَوا منها وما نَشرُوا
وكانَ جمَّعَ أموالاً وعدَّدَها ... وظنَّها لِصروفِ الدَّهرِ تُدَّخَرُ
فآذنتْ بِزوالٍ عنهُ مُسرعَةً ... كما يزُولُ بِحلقِ العانةِ الشَّعَرُ
وراحَ مِنْ خِدمَةٍ صِفرَ اليدَيْنِ فَقلْ ... لِلْعامِلِينَ عليها بعدهُ اعتبِروا
ما عُذرُ ماشٍ مَشى بالظُّلم في طُرُقٍ ... رَأى المُشاةَ عليها بعدَهُ عَبرُوا
إذا تفكَّرتَ في المُستَخدَمِينَ بَدا ... منهم لِعَينَيْكَ ما لم يُبْدِهِ النَّظَرُ
ظَنُّوهُمُ عَمَّرُوا الدُّنيا بِبذْلِهِمُ ... وَإنما خَرَّبُوا الدُّنيا وما عَمَرُوا
فطهِّرِ الأرضَ منهمْ إنهمْ خَبَثٌ ... لوْ يَغسِلُونَهُمُ بالبحرِ ما طهرُوا
نِيرانُ شرٍّ كفانا اللهُ شرَّهُمُ ... لا يَرحَمُونَ وَلا يُبقُونَ إنْ ظَفِرُوا
فاحذَرْ كِبارَ بَنِيهِمْ إنهمْ قُرُمٌ ... وَاحذَرْ صِغارَ بَنِيهِمْ إنهم شَرَرُ
فالفيلُ تَقتُلُهُ الأفعى بِأصغَرِها ... فيها ولم تخشَهُ مِنْ سِنِّها الصِّغَرُ
واضرِبْهُمْ بِقَنًا مثلِ الحديدِ بِهِمْ ... فليسَ من غيرِ ضَربٍ يَنفَعُ الزُّبُرُ
ولا تَثِقْ بِوَفاءٍ مِنْ أخي حُمُقٍ ... فالحمقُ داءٌ عَياءٌ بُرؤُهُ عَسِرُ
مِنْ كلِّ مَنْ قَدْرُهُ في نَفسِهِ أبَدًا ... مُعظَّمٌ وَهوَ عندَ الناسِ مُحتَقَرُ
يَصُدُّ عنكَ إذا استغنى بِجانِبِهِ ... وَلا يَزُورُكَ إلّا حِينَ يَفتَقِرُ
كأنهُ الدَّلوُ يعلو حينَ تَملَؤُهُ ... ماءً وَيُفرِغُ ما فيهِ فَيَنحَدِرُ
وَالدَّهرُ يَرفَعُ أطرافاً كما رَفَعَتْ ... أذنابَها لِقَضاءِ الحاجَةِ البَقَرُ
حَسْبُ المَحلَّةِ لَمّا زالَ ناظِرُها ... أنْ زالَ مُذْ زالَ عنها البُؤسُ والضَّرَرُ (1)
وَأنَّ أعمالَها لَمّا حَلَلْتَ بها ... تَغارُ مِنْ طِيبِها الجَنّاتُ والنُّهُرُ
وأهلَها في أمانٍ مِنْ مَساكِنِها ... مِنْ فَوقِهِمْ غُرَفٌ مِنْ تَحتِهِمْ سُرُرُ
مَلأتَ فيها بُيُوتَ المالِ مِنْ ذَهَبٍ ... وَفِضَّةٍ صُبَراً يا حَبَّذا الصُّبَرُ (2)
وَالمالُ يُجنى كما يُجنى الثِّمارُ بها ... حتى كأنَّ بَنِي الدُّنيا لها شَجَرُ
وتابَعَتْ بعضَها الغَلّاتُ في سَفَرٍ ... بعضًا إلى شُوَنٍ ضاقَتْ بها الخُدُرُ (3)

---

(١) المحلة: اسم بلد بمصر.

(٢) الصُّبَر: جمع الصُّبْرة: الأرض ذات الحصباء، وقطعة من حديد أو حجارة.

(٣) شُوَن: جمع شُونة: مخزن الغَلّة. الخُدُر: جمع الخِدر: الستر للجارية في ناحية البيت، والمكان المظلم.

وَسبقتِ الخيلُ للأبوابِ مُسرَجةً   لَمْ تُحصِ عَدًّا وتُحصى الأنجُمُ الزُّهُرُ
وَالهُجنُ تَحسِبُها سُحبًا مُفوَّفَةً   في الحَقِّ منها فضاءُ الجوِّ مُنحَصِرُ (١)
وكُلُّ مُقتَرَحٍ مادارَ في خَلَدٍ   يأتي إليكَ بهِ في وقتِهِ القَدَرُ
وَما هَمَمتَ بأمرٍ غيرِ مَطلَبِهِ   إلا تَيَسَّرَ مِن أسبابِهِ العَسِرُ
والعاملونَ عَلى الأموالِ ما عَلِموا   مِن أيِّ ما جهةٍ يأتي وما شَعَرُوا
وما أرى بَيتَ مالِ المسلمينَ دَرَى   مِن أينَ تأتي لهُ الأكياسُ والبِدَرُ (٢)
هذا وما أحدٌ كلَّفتَهُ شَطَطا   بما فَعَلتَ كأنَّ الناسَ قد سُحِروا
بل زادَهُم فيكَ حُبًّا ما فَعَلتَ بِهِم   مِنَ الجميلِ وَذَنبُ الحُبِّ مُغتَفَرُ
فإن شَكَوا بِغضةً مِمَّن مَضى سَلَفَت   فما لِقلبٍ عَلى البَغضاءِ مُصطَبَرُ
فالصَّبرُ مِن يَدِ مَن أحبَبتَهُ عَسَلٌ   وَالشَّهدُ مِن يَدِ مَن أبغضتَهُ صَبِرُ
لقد جُبِلتَ عَلى عَدلٍ وَمعرِفَةٍ   سارَت بِفضلهما الأمثالُ والسِّيَرُ
فما حَكَمتَ بمكروهٍ عَلى أحدٍ   حُكمًا يُخالِفُهُ نَصٌّ ولا خَبَرُ
رُزِقتَ ذُرِّيَّةً ضاهَتكَ طَيِّبَةً   مِن طِينةٍ غارَ منها العَنبَرُ العَطِرُ
فَليَنهِكَ اليومَ منها الفضلُ حين غَدا   دينُ الإلهِ بِسَيفِ الدِّينِ مُنتَصِرُ
عَلى صِفاتِكَ دَلَّتنا نَجابَتُهُ   وَبانَ مِن أينَ ماءُ الوَردِ يُعتَصَرُ
ميزانُهُ في التُّقى ميزانُ مَعدَلَةٍ   وَحِكمَةٍ لا صَغى فيها ولا صِغَرُ (٣)
مَشى صِراطًا سَوِيًّا مِن دِيانَتِهِ   فما يَزالُ بأمرِ اللهِ يأتَمِرُ
تُرضيكَ في اللهِ أعمالٌ وتُغضِبُهُ   وَما بَدا لِيَ أمرٌ مِنكُما نُكُرُ
قالت لِيَ الناسُ ماذا الخُلفُ؟ قلتُ لهم: كما تَخالَفَ موسى قَبلُ والخَضِرُ
أما عَصى أمرَ موسى عِندَ سَفكِ دَمٍ   ما في شَريعةِ موسى أنه هَدَرُ
وقد تَعاطى ابنُ عَفّانٍ لأُسرَتِهِ   وما تَعاطى أبو بَكرٍ ولا عُمَرُ
ولن يَضيرَ أولي التَّقوى اختلافُهُمُ   وهم على فِطرةِ الإسلامِ قد فُطِروا
مُشمِّرٌ في مَراعي اللهِ مجتهدٌ   وبالعَفافِ وَتقوى اللهِ مُؤتَزِرُ (٤)

---

(١) الخيل الهُجن: غير العتيقة. مفوَّفة: فيها خطوط بيض.

(٢) البِدَر: جمع البَدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم.

(٣) الصَّغى: الميل.

(٤) المؤتزر: الذي وضع الإزار، الإزار: المِلحفة.

وَقَفتُ بينَ يديهِ مِنْ مهابتهِ وقالتِ الناسُ ميتٌ مسَّهُ كِبَرُ
وَقَصَّرتْ كلماتي عن مدائحهِ وقد أتيتُ مِنَ الحالينِ أعتذِرُ
فاقبَلْ بفضلكَ مدحاً قد أتاكَ به شيخٌ ضعيفٌ إلى تقصيرهِ قِصَرُ
فما على القوسِ من عيبٍ تُعابُ به إنِ انحنتْ واستقامَ السَّهمُ والوترُ
والبسْ ثناءً أجادتْ نسجهُ فِكَرٌ يَغارُ في الحُسنِ منه الوشيُ والحِبَرُ[1]
مِنْ شاعرٍ صادقٍ ما شانهُ كَذِبٌ فيما يقولُ ولا عِيٌّ ولا حصَرُ
يَهيمُ في كلِّ وادٍ من مدائحهِ على معانٍ أضلَّتْ حُسنَها الفِكَرُ
لا ينظِمُ الشِّعرَ إلا في المديحِ وما غيرُ المديحِ لهُ سُؤلٌ ولا وطرُ
ما شاقهُ لِغزالٍ في الظِّبا غَزَلٌ ولا لِغانيةٍ في طرْفِها حَوَرُ[2]
مديحُهُ فيكَ حُرٌّ ليسَ يملِكُهُ مِنَ الجوائزِ أثمانٌ ولا أجرُ
إنَّ الأديبَ إذا أهدى كرائِمَهُ فقصْدُهُ شرفُ الأنسابِ لا المَهرُ[3]
تبّاً لِقومٍ قدِ استغنوا بما نظموا مِنِ امتِداحِ بني الدُّنيا وما نثروا
فلو قفَوتُ بأخذِ المالِ إثرَهم لعوَّقتني القوافي فيكَ والفِقَرُ[4]
خيرٌ مِنَ المالِ عندي مدحُ ذي كرمٍ ذِكري بمدحي لهُ في الأرضِ ينتشِرُ
فالصُّفرُ مِنْ ذهبٍ عندي وإنْ صفِرَتْ يدي وإنْ غنِيتْ سيَّانِ والصُّفُرُ
بَقيتَ ما شئتَ فيما شئتَ مِن رُتبٍ عليَّةٍ عُمُرَ الدُّنيا بها عَمِروا
وبلَّغتكَ الليالي ما تؤمِّلهُ ولا تعدَّتْ إلى أيامِكَ الغِيَرُ
وقد دعتْ لكَ منّي كلُّ جارحةٍ وبالإجابةِ فضلُ اللهِ يُنتظرُ

---

(١) الطُرَر: جمع الطُرَّة: طرف كل شيء وحرفه. والغُرر: جمع غراء أو غُرّة. وهي بياض في الجبهة.

(٢) الحِبَر: جمع الحَبْرة: الوشي.

(٣) الحَوَر: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها مع استدارة حدقتها.

(٤) الكرائم، يريد قصائده.

(٥) قفوت إثرهم: تبعتهم.

وقال[1]: [الطويل]

فضلك أوّل

جِوارُكَ مِنْ جَوْرِ الزَّمانِ يُجيرُ وَبِشْرُكَ لِلرّاجي نَداكَ بَشيرُ
فَضَلْتَ بَني الدُّنيا فَفَضْلُكَ أوّلُ وَأوّلُ فَضْلِ الأوّلينَ أخيرُ
وَأنتَ هُمامٌ دَبَّرَ المُلْكَ رَأيُهُ خَبيرٌ بِأحْوالِ الزَّمانِ بَصيرُ
إذا المَلِكُ المَنْصورُ حاوَلَ نَصْرَهُ كَفَى المَلِكَ المَنْصورَ منكَ نَصيرُ
فَلا تَنْسِهِ الأيّامُ ذِكْرَكَ إنّهُ بهِ فَرِحٌ بَيْنَ المُلوكِ فَخورُ
إذا مَرَّ في أرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ تَكادُ لهُ أُمُّ النُّجومِ تَمورُ[2]
وَتَحْسِبُهُ قَدْ سارَ يَرْمي بُروجَها بِخَيْلٍ عليها كالبُروجِ يُغيرُ
وَما قَلْبُها مِمّا يَقَرُّ خُفوقُهُ وَلا طَرْفُها حتّى يَعودَ قَريرُ
سَواءٌ عليهِ خَيْلُهُ وَرِكابُهُ وَسَرْجٌ إذا جابَ الفَلاةَ وَكُورُ[3]
لَقَدْ جَهِلَتْ داوِيَّةُ الكُفْرِ بَأسَهُ وَغَرَّهُمُ بالمُسلمينَ غَرُورُ[4]
فَلا بُورِكُوا مِنْ إخْوَةٍ إنّ أُمَّهُمْ وَإنْ كَثُرَتْ منها البَنونَ نَزورُ
فَإنْ غَلُظَتْ مِنْهُمْ رِقابٌ لِبُعْدِهِ فَما انْحَطَّ عَنْها لِلْمَذَلَّةِ نِيرُ
أَلَمْ تَعْلَموا أنّا نُواصِلُ إنْ جَفَوْا وَأنّا على بُعْدِ المَزارِ نَزورُ
يَظُنُّونَ خَيْلَ المُسلمينَ يَصُدُّها عَنِ الغَزْوِ في أرْضِ العَدُوِّ دُحورُ[5]
أما زُلْزِلَتْ بالعادياتِ وَجاءَها مِنَ التُّرْكِ جَمٌّ لا يُعَدُّ غَفيرُ[6]
أَتَوا بِطِمِرّاتٍ مِنَ الجُرْدِ سُيِّرَتْ وَرَجْلٍ لهُمْ مِثْلُ الجَرادِ طُمورُ[7]
فَلَمْ يَرْقُبوا مِنْ صَرْحِ هامانَ مَرْقَبًا بِهامَتِهِ بَرْدُ السَّحابِ بَكورُ[8]
وَصُبَّ عليهِم عارِضٌ مِنْ حِجارَةٍ وَنَبْلٍ وَكُلٌّ بالعَذابِ مَطيرُ
وسامُوهُ خَسْفًا مِنْ نُقوبٍ كأنّها أثافٍ لها تلكَ البُروجُ قُدورُ[9]

(١) قال هذه القصيدة في مدح المنصور قلاوون الألفي بمناسبة بنائه المارستان الكبير، ومدرسة الحديث والقبة سنة ٦٨٤هـ. وقلاوون كان قد تولى السلطنة سنة ٦٧٨هـ.
(٢) المَوْر: الموج والاضطراب.
(٣) الفلاة: المفازة لا ماء فيها، القفر. الكُور: الرَّحل.
(٤) الدَّوية: الفلاة.
(٥) الدحور: الطرد والإبعاد.
(٦) العاديات: جمع العادية: جماعة الفُرسان. جم: كثير.
(٧) الطمرّات: جمع الطِّمِرّ: الفرس الجواد.
(٨) برد السحاب، يعني السحاب المصحوب بالبرد. وهامان: وزير فرعون.
(٩) ساموه: أذاقوه. أثاف: جمع إثفية: أحد أحجار الموقد حيث يُوضع القِدر.

فَذاقوا به مُرَّ الحِصارِ فأصبحوا لهم ذلك الحِصْنُ الحَصينُ حَصيرُ
يَصيحونَ أعلى السُّورِ خوفاً كصافِنٍ نَفى عنه نومَ المُقلتَيْنِ صَفيرُ[1]
وماذا يَرُدُّ السُّورُ عنهم وخلفَهُ مِنَ الخيلِ سُورٌ والصَّوارمِ سُورُ
وَليسَ لهمْ إلاّ إلى الأسرِ مَلْجَأٌ وَإلاّ إلى ضَرْبِ الرِّقابِ مَصيرُ
فلما أحَسُّوا بَأسَ أغلبَ هِمَّةً غَدُوٌّ إليهم بالرَّدَى وبَكورُ
دَعَوْهُ وشَمْلُ النَّصْرِ منهم مُمَزَّقٌ أمانا وجِلْبابُ الحياةِ بَقيرُ[2]
أعارَهُمُ آفرَنْسيسُ تِلكَ وَسيلةً رأى مُسْتَعيراً غِبَّها وسَعيرُ
فَدَى نفسَهُ بالمالِ والآلِ وانثَنى تَطيرُ به مِن حيثُ جاءَ طُيورُ
فلا تَذكُروا ما كانَ بالأمسِ منهمُ فذاكَ لأحقادِ السُّيوفِ مُثيرُ
فلو شاءَ سُلْطانُ البَسيطَةِ ساقَهُمْ لِمِصْرٍ وتَحتَ الفارِسَيْنِ بَعيرُ[3]
تُبَشِّرُ مِصرَ دائماً بِقُدومِهِمْ إذا فَصَلَتْ منهم لِغَزَّةَ عِيرُ[4]
تَسُرُّهُمْ عند القُفولِ بِضاعةً وَتَحفَظُ منهمْ إخوةً وَتَميرُ[5]
ولو شاءَ مَدَّ النِّيلَ سَيْلُ دمائِهِمْ وَرَفَّتْ نُحورٌ ماءَهُ وسُحورُ
بِعيدٍ كَعيدِ النَّحرِ يا حُسْنَ ما يُرَى به مِن عُلوجٍ كالعُجولِ جَزُورُ[6]
وَلكنهُ مِنْ حِلمِهِ واقتِدارِهِ عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ العظيمِ غَفورُ
وَلَمْ يُبْقِهِمْ إلاّ لِخَيرٍ لِمثلِها مَليكٌ يَجُبُّ الرَّأيَ وَهوَ خَبيرُ
يَرى الرَّأيَ مُرَّ الرَّاحِ يُهوَى عَتيقُهُ وَيكْرَهُ منه الحُلْوُ وَهوَ عَصيرُ[7]
فَلَوْلا وسوءُ الظَّنِّ يَلْوي وُجُوهَهُمْ فَتَحْسِبُها صُوراً وما هيَ صُورُ[8]
وقد شَغَرَتْ مِنهم حُصونٌ وأهلٌ وما راعَها مِنْ قَبلِ ذاكَ شُغورُ
فَلِلّهِ سلطانُ البَسيطةِ إنهُ مَليكٌ يَسيرُ النَّصْرُ حيثُ يَسيرُ
وَيُغْمِدُ في هامِ الملوكِ حُسامَهُ ويَرْهَبُ مِنْ هامِ المُلوكِ غَفيرُ[9]

---

(١) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.
(٢) بقير: مشقوق.
(٣) سلطان البسيطة، يعني الملك السلطان قلاوون.
(٤) فصل منهم: أخرجهم.
(٥) تمير: تجلب الطعام.
(٦) العُلوج: جمع العِلج: الكافر من كفار العجم.
(٧) الراح: الخمرة. مُز الراح: لذة طعم الخمرة.
(٨) صُور: جمع أصْوَر: ماء. الحسام: السيف.
(٩) الحسام: السيف.

وَيَجْمَعُ مِنْ أَشْلائِهِمْ مُتَفَرِّقًا ... بِصارِمِهِ جَمْعَ الهَشِيمِ حَظِيرُ (١)
فَأَخْلِقْ بِأَنْ يَبْقَى وَيَبْقَى لِمُلْكِهِ ... ثَناءٌ حَكاهُ عَنْبَرٌ وَعَبِيرُ
وتأتيه خَيْلُ اللهِ فالبَعِيدُ من كُلِّ وِجْهَةٍ ... يُؤَيِّدُ منها بالنفيرِ نفيرُ
وَيَحْمِلُ كَلَّ المُلْكِ عنه وإِصْرَهُ ... خَرِيٌّ بِتَدْبِيرِ الأُمورِ جَدِيرُ (٢)
أَخُو عَزَماتٍ فالبَعِيدُ مِنَ العُلا ... لَدَيْهِ قَرِيبٌ والعَسِيرُ يَسِيرُ
تَكادُ إِذا ما أُبْرِمَتْ عَزَماتُهُ ... لها الأَرضُ تُطْوَى والجِبالُ تَسِيرُ (٣)
دَعانِي إِلَى مَغْناهُ داعٍ وَلَيسَ لِي ... جَنانٌ عَلَى ذاكَ الجَنابِ جَسُورُ
فقلتُ له دَعْنِي وَسَيْرِي لِماجِدٍ ... لَهُ اللهُ في كُلِّ الأُمورِ يُجِيرُ
إِذا جِئْتُهُ وَحْدِي يَقُومُ بِنُصْرَتِي ... قَبائِلُ مِنْ إِقْبالِهِ وَعَشِيرُ
فَتَى أَبْدَتِ الدُّنيا عَواقِبَها لَهُ ... وَأَفْضَتْ بِما فيها لَدَيْهِ صُدُورُ
فَغَفْلَتُهُ مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ يَقْظَةٌ ... وَغَيْبَتُهُ عَمّا يُرِيدُ حُضُورُ
وما كُلُّ فَضْلٍ فيهِ إِلّا سَجِيَّةٌ ... يُشارِكُ فيها ظاهِرٌ وضَمِيرُ (٤)
فَلَيسَ لَهُ عِنْدَ النِّزالِ مُحَرِّضٌ ... وليسَ له عندَ النَّوالِ سفيرُ (٥)
هُوَ السَّيْفُ فاحذرْ صَفْحَةً لِغِرارِهِ ... فَبَيْنَهُما لِلآمِنِينَ غُرُورُ (٦)
مَهِيبٌ وَهُوبٌ لِلْمُحاوِلِ جُودَهُ ... جَوادٌ ولِلَّيْثِ الهَصُورِ هَصُورُ (٧)
إِشاراتُهُ فِيما يَرُومُ صَوارِمٌ ... وساعاتُهُ عمّا يَسَعْنَ دُهورُ
إِذا هَجَرَ النّاسُ الهَجِيرَ لِكَرْبِهِمْ ... يَلَذُّ لَهُ أَنَّ الزَّمانَ هَجِيرُ (٨)
وَهَلْ يَتَّقِي حَرَّ الزَّمانِ ابنُ غادَةٍ ... جَلِيلٌ عَلَى حَرِّ الزَّمانِ صَبُورُ
يُحاذِرُهُ المَوْتُ الزُّؤامُ إِذا سَطا ... ولكنه مِنْ أَنْ يُلامَ حَذُورُ (٩)
وتَسْتَهْوِنُ الأَهوالَ في المَجْدِ نفسُهُ ... وتَسْتَحْقِرُ المَوْهُوبَ وهُوَ خَطِيرُ

---

(١) الأشلاء: جمع الشِّلو: العضو. الهشيم: نبت يابس مكسَّر. حظير: يريد الحظيرة.
(٢) الإصر: الذَّنب والثِّقل.
(٣) أبرمت عَزَماته، يعني أحكمت: أبرم الحبل: جعله طاقتين ثم فتله.
(٤) السجيّة: الطبيعة.
(٥) النَّوال: العطاء.
(٦) غرار السيف: حدُّه. ويريد بالغُرور: الهلاك.
(٧) الليث الهَصُور: الأسد.
(٨) الهَجير: نصف النهار عند زوال الشمس.
(٩) الموت الزؤام: الموت الكريه المجْهز.

مَكارِمُهُ لَمْ تُبْقِ فَقْراً ورأيُهُ ... إلى بعضِهِ أغنى الملوكِ فقيرُ
كَفَتْهُ سُطاهُ أنْ يُجهِّزَ عَسْكَراً ... وآراؤهُ أنْ يَسْتَشارَ وَزيرُ
فواطنُ أطرافِ البَسيطةِ ذِكْرُهُ ... وصِينتْ حُصونٌ باسمِهِ وثُغورُ(١)
مُحَيّاهُ طَلْقٌ باسِمٌ رَوضُ كَفِّهِ ... أريضٌ وماءُ البِشْرِ منه نميرُ(٢)
حَكى البحرَ وصفاً مِنْ طهارةِ كَفِّهِ ... فقيلَ لهُ مِنْ أجلِ ذاكَ طَهُورُ
وَمَا هُوَ إلا الكيمياءُ سعادةً ... وَوَصْفي لتلكَ الكِيمياءِ شُذُورُ(٣)
بها قامَ شِعْري لِلْخَلاصِ فما أرى ... لِشِعْري امتحانَ الناقدينَ نَصيرُ
وَرُبَّ أديبٍ ذي لِسانٍ كَمِبْرَدٍ ... بَدا مِنْ فَمٍ كالكِيرِ أوْ هُوَ كِيرُ(٤)
أرادَ امتحاني فَزَيَّفَ لَفْظَهُ ... نَتانٌ بَدا مِنْ نَظْمِهِ وخَرِيرُ(٥)
إذا ما رآني عافَني واسْتَقَلَّني ... كأنّي في قَعْرِ الزُّجاجةِ سُورُ(٦)
وَيُعْجِبُهُ أنّي نَحيفٌ وأنّه ... سَمِينٌ يَسُرُّ الناظرينَ طَرِيرُ(٧)
وَلَمْ يَدْرِ أنَّ الدُّرَّ يَصْغُرُ جِرْمُهُ ... وَمِقدارُهُ عندَ الملوكِ خَطِيرُ(٨)
فقامَ بِنَصْري دونَهُ ذو نَباهةٍ ... حَليمٌ إذا خَفَّ الحَليمُ وَقُورُ
وَلا جَوْرَ في أحكامِهِ غيرَ أنّه ... عَلَى الخائنينَ الجائرينَ يَجُورُ
فلا تَنْظُرِ العُمّالُ لِلْمالِ إنّهُ ... عَلَى بَيْتِ مالِ المسلمينَ غَيُورُ
وأنَّ عَذابَ المُجْرِمينَ بِعَدْلِهِ ... طويلٌ وعُمْرُ الخائنينَ قَصِيرُ
لهُ قَلَمٌ بالبأسِ يَجْري وبالنَّدى ... فَفي جانِبَيْهِ جَنّةٌ وَسَعيرُ
تُحَلّي الطُّروسَ العاطلاتِ سطورُها ... كما تَتَحلّى بالعُقودِ نُحورُ(٩)
أُجَلّي لِحاظي في خمائلِ حُسْنِهِ ... فَمِنْ حَيْرةٍ لَمْ تَدْرِ كيفَ تَحُورُ(١٠)

---

(١) البسيطة: الأرض.
(٢) النمير من الماء: الزاكي.
(٣) الكيمياء: الإكسير.
(٤) الكِير: زقٌّ ينفخ فيه الحدّاد.
(٥) الخرير: صوت الماء والريح.
(٦) السور: السؤر وهو بقية الماء في إناء الشارب.
(٧) الطرير: الشاب إذا طرّ شاربه أي: طلع.
(٨) الدُّر: جمع الدرة: اللؤلؤة العظيمة.
(٩) الطروس: جمع الطِّرْس: الصحيفة. النحور: جمع النحر: موضع القِلادة.
(١٠) الخمائل: جمع الخَميلة: المنهَبط من الأرض، وهي مَكرَمة للنبات.

حَكَى حَسَنَاتٍ في صحائِفِ مُؤْمِنٍ ... يُسَرُّ كَبيريٌّ بها وَصَغِيرُ
فكانت شكولاً منه زانَتْ حروفُهُ ... حِساباً قَلَتْ منه الصِّحاحُ كُسورُ
فقلتُ وقد راعَتْ بفضلِ خِطابِهِ ... وراقَتْ عُيُونَ الناظرِينَ سُطُور
لئِنْ جاءَهم كالغيثِ منه مُبَشِّراً ... لقد جاءهم كالموتِ منه نَذِيرُ
فويلٌ لِقَوْمٍ مِنْ يَراعٍ كأنَّه ... خِلالٌ يَرُوعُ الأُسْدَ منه صَرِيرُ
ولم لا وآسادُ العرينِ لِداتُهُ ... يَكُونُ له مثلُ الأُسودِ زَئِيرُ (١)
يَغُضُّ لديه مُقْلَتَيْهِ ابنُ مُقْلةٍ ... كما غَضَّ مَنْ في مُقْلَتَيْهِ بُثُورُ
وأنَّى له لو نالَهُ مِنْ تُرابِهِ ... لِيَكْحَلَ منه مُقْلَتيهِ ذَرُورُ (٢)
وقد كَفَّ عن كوفيَّةٍ كَفُّ عاجِزٍ ... وفيه نَظِيمٌ دُرُّهُ ونَثِيرُ (٣)
وَوَدَّ العذارى لو يُعَجِّلُ نِحْلَةً ... إليهِنَّ مِنْ تلكَ الحُروفِ مُهُورُ (٤)
رَأى ما يَرُوقُ الطَّرْفَ بل ما يَرُوعُهُ ... فَخارَ وذُو القَلْبِ الضعيفِ يَخُورُ
بَنى ما بَنَى كِسْرَى وعادٌ وتُبَّعٌ ... وليسَ سواءً مُؤْمِنٌ وكَفُورُ (٥)
ودَلَّ على تَقْوَى الإلٰهِ أساسُهُ ... كما دَلَّ بالوادي المُقَدَّسِ طُورُ (٦)
حِجارَتُهُ السُّحْبِ الثِّقالِ يَسُوقُها ... عَلَى عَجَلٍ سَوْقاً صَباً ودَبُورُ (٧)
ومنها نُجومٌ في بُروجٍ مَجَرَّةٍ ... عَلَى الأرضِ تَبْدُو تارَةً وتَغُورُ
تَضِيقُ بها السُّبْلُ الفِجاجُ فلا يُرَى ... بها لِلرياحِ العاصفاتِ مَسِيرُ (٨)
فكَمْ صَخْرَةٍ عاديَّةٍ قَذَفَتْ بها ... إليهِ سُهُولٌ جَمَّةٌ ووُعُورُ
ومَنْ عُمُدٍ في هِمَّةِ الدَّهْرِ قُوَّةٌ ... وفي باعِهِ مِنْ طُولِهِنَّ قُصُورُ
أشارَ لها فانقادَ سَهْلاً عَسِيرُها ... إليهِ وما أمْرٌ عليه عَسِيرُ
أتَتْهُ بها أنْدَى الرِّياحِ ودونَ ما ... أتَتْهُ بها أنْدَى الرِّياحِ ثَبِيرُ (٩)

---

(١) اللِبدةُ: التِّرْب.
(٢) الذَّرور: ما يُذر في العين.
(٣) الدُّر: جمع الدُّرَّة: اللؤلؤة العظيمة. النثير: خلاف المنظوم.
(٤) النِّحلة: مَهر المرأة، والعطيّة.
(٥) كسرى يعني الملك من ملوك الفرس. عاد: الذي ذُكر في القرآن، من العرب البائدة، قال تعالى: ﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعاد﴾، وتُبَّع: الملك من ملوك اليمن، ومن أشهرهم الملك حسّان تُبَّع.
(٦) الطُّور: الجبل، وجبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء.
(٧) الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الدَّبُور: ريح تقابل الصَّبا.
(٨) الفجاج: جمع الفَج: الطريق الواسع بين جبلين.
(٩) ثبير: اسم لعدة جبال بظاهر مكة وهي: ثبيرُ الخضراء، والنَّصع، والزِّنج، والأعرج، والأحدب، وغيناء.

وما كان لولا ما له من كرامة ... ليأتينا بالمعجزات أمير
لما فيه من تقوى وعلم وحكمة ... بحر مبانيه الثلاث تشير
فمئذنة في الجو تشرق في الدجى ... عليها هدى للعالمين ونور
ومن حيثما وجهت وجهك نحوها ... تلقتك منها نضرة وسرور
يمد إليها الحاسد الطرف حسرة ... فيرجع عنها الطرف وهو حسير (١)
فكم حسدتها في العلو كواكب ... وغارت عليها في الكمال بدور
إذا قام يدعو الله فيها مؤذن ... فما هو إلا للنجوم سمير
فللناس من تذكاره وأذانه ... فطور على رجع الصدى وسحور
وقبة مارستان ليس لعلة ... عليه وإن طال الزمان مرور
صحيح هواء للنفوس بنشره ... معاد وللعظم الرميم نشور (٢)
يهب فيهدي كل روح بجسمه ... كأن صباه حين ينفخ صور (٣)
فلو تعلم الأجسام أن ترابه ... مهاد حياة للجسوم وثير
لسارت بمرضاها إليه أسرة ... وصارت بموتاها إليه قبور
وما عاد يبلي بعد ذلك ميتا ... ضريح ولا يشكو المريض سرير
بجنته ورق تراسل ماءه ... يشوق هديل منهما وهدير
وقد وصفت لي الناس منها عجائبا ... كأوجه غيد ما لهن سفور (٤)
محاسنها استدعت نسيبي وما دعا ... نسيبي غزال قبل ذاك غرير (٥)
وبات بها قلبي يمثل حسنها ... لعيني ونومي بالسهاد غزير (٦)
ولا وصف إلا أن يكون لواصف ... ورود على موصوفه وصدور
بدت فهي عند الصالحية جلق ... وفي تلك جنات وتلك قبور (٧)
ولو فتحت أبوابها لتبادرت ... من الدر ولدان إليه وحور (٨)

---

(١) حسير: مُتعَب.
(٢) العظم الرميم: البالي.
(٣) الصُّور: القَرن يُنفخ فيه.
(٤) الغِيد: جمع الغيداء.
(٥) الغَرير: الذي لا تجربة له، والغَرير: الخُلُق الحسن.
(٦) السُّهاد: قلة النوم.
(٧) جِلِّق: اسم لمدينة دمشق.
(٨) الحُور: جمع الحَوراء وهي التي في عينها حَوَرٌ وهو اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها.

وَمَدْرَسَةٌ وَدَّ الخَوَرْنَقُ أنَّه | لَدَيْها حَظِيرٌ والسَّدِيرُ غَدِيرُ[1]
مَدِينَةُ عِلْمٍ وَالمَدارِسُ حَوْلَها | قُرَى أوْ نُجُومٌ بَدْرُهُنَّ مُنِيرُ
تَبَدَّتْ فأخْفَى الظَّاهِرِيَّةَ نُورُها | وليسَ بِظُهْرٍ لِلنُّجُومِ ظُهُورُ
بِناءٌ كأنَّ النَّحْلَ هَنْدَسَ شَكْلَهُ | وَلانَتْ لَهُ كالشَّمْعِ منه صُخُورُ
بَناهَا حَكِيمٌ لَيْسَ في عَزَماتِهِ | فُتُورٌ وَلا فيما بَناهُ فُتُورُ
بَناهَا شَدِيدُ البَأسِ أوْحَدُ عَصْرِهِ | خَلَتْ حِقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وعُصُور[2]
فَما صَنَعَتْ عادٌ مَصانِعَ مِثْلَهُ | وَلا طاوَلَتْهُ في البِناءِ قُصُورُ
ثَمانِيَةٌ في الجَوِّ يَحْمِلُ عَرْشَها | وبعضٌ لبعضٍ في البناءِ ظَهِير
يَرَى مَنْ يَراها أنَّ رافِعَ سَمْكِها | عَلَى فِعْلِ ما أعْيا المُلوكَ قَدِيرُ[3]
وَأنَّ مَنارًا قائِمًا بإزائِها | بَنانٌ إلى فَضْلِ الأَمِيرِ تُشِيرُ
كَأنَّ مَنارًا اسْكَنْدَرِيَّةَ عِنْده | نَواةٌ بَدَتْ والبابُ فيهِ نَقِيرُ
بَناها سَعيدٌ في بِقاعٍ سَعيدَةٍ | بِها سَعِدَتْ قَبْلَ المَدارِسِ دُورُ
إذا قامَ يَدْعُو اللهَ فيها مُؤَذِّنٌ | فَما هُوَ إلاّ لِلنُّجُومِ سَمِيرُ
فَصارَتْ بُيوتُ اللهِ آخِرَ عُمْرِها | قُصورٌ خَلَتْ مِنْ سادةٍ وَخُدُور[4]
ذَكَرْنا لَدَيْها قُبَّةَ النَّسْرِ مَرَّةً | فَما كادَ نَسْرٌ لِلْحَياءِ يَطِيرُ
فإنْ نُسِبَتْ لِلنَّسرِ فالطائرُ الذي | لَهُ في البُروجِ الثَّابِتاتِ وُكُورُ
وإلاّ فَكَمْ في الأرضِ قَدْ مالَ دونَها | إلى الأرضِ عِقْبانٌ هَوَتْ وَنُسورُ
تَبَيَّنْتُ في مِحْرابِها وَهيَ كالدُّمَى | قُدودَ غَوانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورُ[5]
وقدْ حُلِّيَتْ مِنها صُدورٌ بِعَسْجَدٍ | وَلُفَّتْ لَها تَحْتَ الحُلِيِّ شُعُورُ[6]
بِها عُمُدٌ كاثَرْنَ أيّامَ عامِها | وَمِنْ عامِها لَمْ يَمْضِ بعدُ شُهُورُ
مَبانٍ أبانَتْ عَنْ كَمالِ بِنائِها | وأغْرَبَ عَنْ وَضْعِ الأَساسِ هَتُور[7]

---

(١) السّدير: نهر بناحية الحيرة. الخَوَرْنق: قصر للنعمان الأكبر.
(٢) الحِقَب: جمع الحِقبة من الدهر: المدة لا وقت لها.
(٣) السَّمك: السَّقف.
(٤) الخُدور: جمع الخِدر: سترٌ يُمد للجارية في ناحية البيت.
(٥) الدُّمى: جمع الدُّمية: الصَّنم. المحراب: صدر البيت. الغواني: جمع الغانية وهي المرأة الحسناء التي غَنيت بجمالها.
(٦) العَسجد: الذهب.
(٧) الهَتُور: من الهتر: الأمر العجب.

سَمَاوِيّةٌ أزجاؤُهَا فكأنها
عليها من الوَشْي البَديعِ سُتُورُ

تَوَهّمَ طَرْفِي أنْ تَجزيعَ بُسْطِها
رُقُومٌ وتَلْوِينَ الرُّخام حَرِيرُ[1]

وكم جَاوزَ الإبْدَاعُ في الحُسْنِ حَدَّهُ
فأوْهَمَنَا أنّ الحَقيقةَ زُورُ

فَلِلّهِ يَوْمٌ ضَمّ فيه أئمّةً
تَدَفّقَ منهم لِلعُلومِ بُحورُ

وشَمسُ المَعَالِي مِنْ كِتابٍ وسُنّةٍ
عَلَى النّاسِ مِنْ لَفظِ الكَلامِ تُدِيرُ

وقد أغرَبَتْ لِلنّاسِ عَنْ خَيْرِ مَوْلِدٍ
عَرُوبٌ بِهِ وَالفَضلُ فيه كَثيرُ[2]

فأكْرِمْ بِيَوْمٍ فيه أكْرَمُ مَوْلِدٍ
لأكْرَمِ مَوْلُودٍ نَمَتْهُ حُجُورُ

يُطالِعُهُ لِلمُسلمينَ مَسَرّةً
ولكِنْ به لِلكَافِرينَ ثُبورُ[3]

قَرَأنا بِها القُرآنَ غيرَ مُبَدّلٍ
فغَارَتْ أناجيلٌ وغَارَ زَبُورُ[4]

وَثَنّتْ بأخْبارِ النّبيِّ رُواتُها
وكُلٌّ بأخْبارِ النّبيِّ خَبيرُ

وثَلّثَ يَدعو اللهَ فيها مُوَحِّدٌ
ذَكُورٌ لِنَعْمَاءِ الإلٰهِ شَكُورُ

وما تِلكَ لِلسّلطانِ إلّا سَعادَةٌ
يَدومُ لَهُ ذِكْرٌ بها وأُجُورُ

دَعاها إليه وافِرُ الرّأيِ والحِجا
يَزِينُ الحِجَى والرّأيَ مِنهُ وُقُورُ[5]

فهَلْ في مُلوكِ الأرضِ أو خُلَفائِها
لَهُ في الّذي شادَتْ يَداهُ نَظيرُ

علَى أنّهم في جَنبِ ما شادَ مِن عُلاً
ولو كانَ كالسّبعِ الطِّباقِ حَصيرُ[6]

القصيدة المُضَرِيّة في الصلاة على خير البرية[7]: [البسيط]

يا رَبِّ صَلِّ عَلَى المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ
وَالأنبيا وَجَميعِ الرُّسْلِ ما ذُكِرُوا

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الهادِي وَشِيعَتِهِ
وَصَحْبِهِ مِنْ لِطَيِّ الدِّينِ قَدْ نَشَرُوا

وَجاهَدُوا مَعَهُ في اللهِ وَاجْتَهَدُوا
وهاجَرُوا ولَهُ آوَوْا وَقَدْ نَصَرُوا

(١) الرُّقوم: جمع الرَّقم: ضرب مخطَّط من الوَشْي أو الخز.
(٢) العَروب: المرأة المتحببة إلى زوجها.
(٣) الثبور: الهلاك.
(٤) أناجيل: جمع إنجيل. ويريد أن القرآن لم يحرَّف في حين تعرض الإنجيل والزبور إلى تغيير وتحريف.
(٥) الحجا: العقل.
(٦) السبع الطباق: السماوات السبع. حصير: بخيل.
(٧) المجمعة الكبرى: ٧٠.

وَبَيَّنُوا الْفَرْضَ وَالْمَسْنُونَ وَاعْتَصَبُوا ... للهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَانْتَصَرُوا
أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَشْرَفَهَا ... يُعَطِّرُ الْكَوْنَ رَيَّا نَشْرِهَا الْعَطِرُ
مَفْتُوقَةً بِعَبِيرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً ... مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ(1)
عَدَّ الْحَصَى وَالثَّرَى وَالرَّمْلِ يَتْبَعُهَا ... نَجْمُ السَّمَاءِ وَنَبْتُ الْأَرْضِ وَالْمَدَرُ(2)
وَعَدَّ مَا حَوَتِ الْأَشْجَارُ مِنْ وَرَقٍ ... وَكُلُّ حَرْفٍ غَدَا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ
وَعَدَّ وَزْنِ مَثَاقِيلِ الْجِبَالِ كَذَا ... يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَسْمَاكِ مَعْ نَعَمٍ ... يَتْلُوهُمُ الْجِنُّ وَالْأَمْلَاكُ وَالْبَشَرُ
وَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ مَعْ جَمْعِ الْحُبُوبِ كَذَا ... وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَرْيَاشُ وَالْوَبَرُ(3)
وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا ... جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأْمُونُ وَالْقَدَرُ
وَعَدَّ نَعْمَائِكَ اللَّاتِي مَنَنْتَ بِهَا ... عَلَى الْخَلَائِقِ مُذْ كَانُوا وَمُذْ حُشِرُوا
وَعَدَّ مِقْدَارِهِ السَّامِي الَّذِي شَرُفَتْ ... بِهِ النَّبِيُّونَ وَالْأَمْلَاكُ وَافْتَخَرُوا
وَعَدَّ مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَا سَنَدِي ... وَمَا يَكُونُ إِلَى أَنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ
فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِهَا ... أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ أَوْ يَذَرُوا
مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ مَعْ جَبَلٍ ... وَالْفَرْشِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِي وَمَا حَصَرُوا
مَا أَعْدَمَ اللهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعْـ ... ـدُومًا صَلَاةً دَوَامًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ مَعْ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا ... يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
لَا غَايَةً وَانْتِهَاءً يَا عَظِيمُ لَهَا ... وَلَا لَهَا أَمَدٌ يُقْضَى وَيُنْتَظَرُ
مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ ... رَبًّا وَضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
وَعَدَّ أَضْعَافِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدٍ ... مَعْ ضِعْفِ أَضْعَافِهِ يَا مَنْ لَهُ الْقَدَرُ
كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا ... أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّي أَنْتَ مُقْتَدِرُ
وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي ... أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لِتَالِيهَا وَسَامِعِهَا ... وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا أَيْنَمَا حَضَرُوا
وَوَالِدِينَا وَأَهْلِينَا وَجِيرَانِنَا ... وَكُلُّنَا سَيِّدِي لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ
وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عِدَادَ لَهَا ... لَكِنَّ عَفْوَكَ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغِيهِ أَشْغَلَنِي ... وَقَدْ أَتَى خَاضِعًا وَالْقَلْبُ مُنْكَسِرُ

---

(1) الأرج: توهُّج ريح الطيب.

(2) المَدَر: قطع الطين اليابس.

(3) الذر: صِغار النحل. والوَبَر: الصوف.

أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَا
بِجَاهِ مَنْ فِي يَدَيْهِ سَبَّحَ الحَجَرُ[1]

يَا رَبِّ أَعْظِمْ لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
لأَنَّ جُودَكَ بَحْرٌ لَيْسَ يَنْحَصِرُ

وكُنْ لَطِيفًا بِنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
لُطْفًا جَمِيلاً بِهِ الأَهْوَالُ تَنْحَسِرُ

بِالمُصْطَفَى المُجْتَبَى خَيْرِ الأَنَامِ وَمَنْ
جَلالَةً نَزَلَتْ فِي مَدْحِهِ السُّوَرُ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى المُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ وَمَا قَدْ شَعْشَعَ القَمَرُ

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يَنْتَصِرُ

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الفَارُوقِ صَاحِبِهِ
مَنْ قَوْلُهُ الفَصْلُ فِي أَحْكَامِهِ عُمَرُ

وَجُدْ لِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَتْ
لَهُ المَحَاسِنُ فِي الدَّارَيْنِ وَالظَّفَرُ

كَذَا عَلِيٌّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمِّهِمَا
أَهْلِ العَبَاءِ كَمَا قَدْ جَاءَنَا الخَبَرُ

سَعْدٌ سَعِيدُ بْنُ عَوْفٍ طَلْحَةٌ وَأَبُو
عُبَيْدَةَ وَزُبَيْرٌ سَادَةٌ غُرَرُ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ قَاطِبَةً
مَا جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِي أَوْ بَدَا السَّحَرُ[2]

وقال: [الخفيف]

لا تُطاوله

ذُو يَرَاعٍ يَرُوعُ كَالسَّيْفِ إِمَّا
بِصَلِيلٍ عِدَاهُ أَوْ بِصَرِيرِ[3]

مَا رَأَى النَّاسُ قَبْلَهُ مِنْ يَرَاعٍ
لِوَزِيرٍ صَرِيرُهُ كَالزَّئِيرِ

فَإِذَا سَطَّرَ الكِتَابَ [illegible]نَا
بَحْرَ فَضْلٍ أَمْوَاجُهُ مِنْ سُطُورِ

وَإِذَا اسْتَخْرَجُوهُ يَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ
رَنَفِيسًا مِنْ بَحْرِهِ المَسْجُورِ[4]

نَظَرَتْ مُقْلَتِي إِلَيْهِ كَأَنِّي
نَاظِرٌ فِي بَدِيعِ زَهْرٍ نَضِيرِ

ثم شَرَّفْتُ مِسْمَعِي بِتُوَامٍ
وفُرَادَى مِن دُرِّهِ المَنْثُورِ

لا تُطَاوِلْهُ فِي الفَخَارِ فَمَا غَا
دَرَ فِي الفَخْرِ مُرْتَقًى لِفَخُورِ

ذِكْرُهُ لَذَّةُ المَسَامِعِ فَاسْتَمْـ
ـتِعْ بِهِ مِنْ لِسَانِ كُلِّ ذَكُورِ

ثَمَّ مَغْنًى وصورَةٌ فَهْوَ فِي الحَا
لَيْنِ مِلْءُ العُيُونِ مِلْءُ الصُّدُورِ

---

(١) الداران، يعني الدنيا والآخرة.

(٢) الدياجي: الظلمات. جَنَّ: ستر.

(٣) الصرير: صوت القلم. اليراع: القصب، ويريد القلم.

(٤) البحر المسجور: البحر الذي ماؤه أكثر منه.

زُرْتُ أبْوابَهُ الَّتي أسْعَدَ اللهُ ... بِها كُلَّ زائِرٍ ومَزُورِ
كُلُّ مَنْ زارَها يَعُودُ كَما عُدْ ... تُ بِفَضْلٍ مِنْها وأجْرٍ كَثيرِ
وَكَفاني سَعْيِي إليها الأهْدَى ... مِنهُ بالرُّشْدِ في جَميعِ الأُمورِ
إنَّ مَنْ دَبَّرَ المَمالِكَ لا يَعْـ ... ـزُبُ عَنْ حُسْنِ رَأْيِهِ تَدْبيري (١)
كانَ رِزْقي مِنْ جَدِّهِ وأبيهِ ... أيَّ رِزْقٍ مُيَسَّرٍ مَوْفُورِ
وَإذا كانَ مِثْلُ ذاكَ عَلى الوا ... رِثِ إنّي عَبْدٌ لِعَبْدِ الشَّكُورِ
فارِسِ الخَيْلِ العالِمِ العامِلِ الْـ ... ـحَبْرِ الهُمامِ الحُلاحِلِ النِّحْريرِ (٢)
لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلُومِهِ وَتُقاهُ ... بَيْنَ تاجٍ مِنْ سُؤْدُدٍ وسَريرِ (٣)
أبَداً بالصَّوابِ يَنْظُرُ في المُـ ... ـلْكِ وَفي بَيْتِ مالِهِ المَعْمُورِ
فَغَدا الجُنْدُ والرَّعِيَّةُ والما ... لُ بِخَيْرٍ مِنْ سَعْيِهِ المَشْكُورِ
فَأقَلُّ الأجْنادِ في مِصْرَ يُزْرِي ... مِنْ بِلادِ العِدا بِأوْفَى أمِيرِ
قُلْ لِمَنْ خابَ قَصْدُهُ في جَميعِ النَّـ ... ـاسِ مِنْ آمِرٍ وَمِنْ مَأمُورِ
يَمِّمِ الصاحِبَ الذي يُتَرَجَّى ... فَتْحُ ثَغْرٍ بِهِ وَسَدُّ ثُغُورِ
وَبَعِيدُ الأُمورِ مِثْلُ قَرِيبٍ ... عِنْدَهُ والعَسيرُ مِثْلُ يَسيرِ
آوِ مِمّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتي عَنْـ ... ـهُ وَمِنْ نِسْبَتي إلى التَّقْصِيرِ
كَثُرَ الشّاهِدُونَ لي أنَّني مُـ ... ـتُّ وفي البُعْدِ عَنهُ قَلَّ عَذِيري (٤)
مَنْ لِشَيْخٍ ذي عِلَّةٍ وعِيالٍ ... ثَقَّلَتْ ظَهْرَهُ بِغَيْرِ ظَهيرِ (٥)
أثْقَلُوهُ وَكَلَّفُوهُ مَسيراً ... وَمِنَ المُسْتَحيلِ سَيْرُ ثَبيرِ (٦)
فَهْوَ في قَيْدِهِمْ يُذادُ مِنَ السَّـ ... ـعْيِ لِتَحْصيلِ قُوتِهِمْ كالأسيرِ
وعَتَتْ أُمُّهُمْ عَلَيَّ ولَجَّتْ ... في عُتُوٍّ مِنْ كَبْرَتي ونُفُورِ (٧)

---

(١) يغرب: يغيب.
(٢) الحَبْر: العالم الحاذق. الهُمَام: السيد الشجاع السخي. الحُلاحل: السيد الشجاع، أو الضخم الكثير المروءة. النّحرير: الحاذق الماهر.
(٣) السؤدد: السيادة.
(٤) العذير: العاذر.
(٥) الظهير: النصير.
(٦) ثبير: اسم لعدة جبال بظاهر مكة وهي: ثبير الخضراء، والنّصع، والزّنج، والأعرج، والأحدب، وغيناء.
(٧) عتا: استكبر، وجاوز الحد.

وَدَعَتْ دونَهُمْ هُنالِكَ بالوَيْـ ـلِ لأمْرٍ في نَفْسِها والثُّبورِ (١)
حَسِبَتْ عِلَّتي تَزولُ فقالَتْ يا كَثيرَ التَّهْوينِ والتَّهْويرِ (٢)
كُلُّ داءٍ لَهُ دواءٌ فَعَجِّلْ بِمُداواةِ داءِ عُضْوٍ خَطيرِ
قُلْتُ مَهْلاً فما بِمِلحِ السَّقَنْقو رِ أُداوي ولا بِلَحْمِ الذُّرورِ (٣)
سَقَطَتْ قُوَّةُ المَريضِ التي كا نَتْ قديماً تُزادُ بالكافورِ
وعَصاني نَظْمُ القَريضِ الذي جَـ ـرَّ ذُيولاً عَلى قَريضِ جَريرِ (٤)
وازْدَرَتْني بعضُ الوُلاةِ وقد أصْـ ـبَحَ شِعْري فيهِمْ كَخُبْزِ الشَّعيرِ (٥)
وغَسَلْتُ الذي جَمَعْتُ مِنَ الشِّعْـ ـرِ بِفَيْضٍ عليهِ غِسْلَ صُخورِ
ونَهَتْني عَنِ المَسيرِ إليهِمْ شِدَّةُ البَأْسِ مِنْ سَخاً في مَسيرِ
وهَجَرْتُ الكِرامَ حتى شَكاني منهُمُ كُلُّ عاشِقٍ مَهْجورِ
وكَزُغْبِ القَطا وَرائي فِراخٌ مِنْ إناثٍ أعولُهُمْ وذُكورِ (٦)
يَتَعاوَوْنَ كالذِّئابِ ويَنْقَضْـ ـونَ مِنْ فَرْطِ جوعِهِمْ كالنُّسورِ
وَفَتاةٍ ما جُهِّزَتْ بِجَهازٍ خُطِبَتْ لِلدُّخولِ بعدَ شُهورِ
وَاقْتَضَتْني الشَّوارَ بَغْياً عَلى مَنْ بيتُهُ ليسَ فيهِ غيرُ حَصيرِ
هذِهِ السُّورَةُ التي أقْعَدَتْني عنكَ آياتُها قُعودَ حَسيرِ (٧)
أقْعَدَتْني بِقَرْيَةٍ أسْلَمَتْني لِضَياعٍ مِنْ فاقَتي وكُفورِ
كُلَّ يَوْمٍ مُنَغَّصٍ بِطَعامٍ أوْ رَفيقٍ مُنَغَّصٍ بِشُرورِ
ورِفاقي في خِدْمَةٍ طولَ عُمْري رِفْقَتي في الحِرانِ مِثْلُ الحَميرِ (٨)
كُلَّما رُمْتُ أُنْسَهُمْ ضَرَبوا مِنْ وَحْشَةٍ بينَهُمْ وبَيْني بِسُورِ
وأَبَوْا أنْ يُساعِدوني على قو تِ عِيالي بُخْلاً بِكَيْلِ بَعيرِ
فَسَيُغْنيني الإلهُ عنهُمْ بِجَدْوى خيرِ مَوْلى لَنا وخيرِ نَصيرِ

---

(١) الويل والثُّبور: الهلاك.
(٢) التَّهوير: الوقوع في الأمر بِقلَّة مبالاة.
(٣) السَّقنقور: دابة تنشأ بشاطئ بحر النيل، لحمها باهِيٌّ.
(٤) جرير: الشاعرجرير بن عطية الخطفي.
(٥) يريد أن شعره قد كسد فلا يستسيغه بعض الولاة.
(٦) القطا: من الطيور.
(٧) حسير: كليل، ضعيف.
(٨) يقال: حَرنت الدابة حِرانا فهي حَرون إذا استُدِدَّ جريُها، وقفت.

صاحِبٌ يَبْلُغُ المُؤَمِّلُ منهُ ... كُلُّ ما رامَهُ بِغَيرِ سَفيرِ
مِنْ أُناسٍ سادُوا بَنِي الدِّينِ والدُّنْـ ... ـيا فما في الوَرَى لَهُمْ مِنْ نَظِيرِ (١)
سَرَّتِ الناظِرِينَ منهم وجوهٌ ... وُصِفَتْ بالجَمالِ وَصْفَ البُدُورِ
وَرِثُوا الأرضَ مثلَ ما كَتَبَ اللـ ... ـهُ تعالى في الذِّكْرِ بعدَ الزَّبُورِ
فَهُمُ القائمونَ في الزَّمَنِ الأوَّ ... لِ بالقِسْطِ والزَّمانِ الأخيرِ
وَهُمُ المُؤْمِنُونَ والوارِثُو الفِرْدَوْ ... سِ وَالمُفْلِحُونَ في التفسيرِ
عَبَدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّيـ ... ـنَ لِما في قلوبِهِمْ مِنْ نُورِ
وأحَبُّوا آلَ النبيِّ فكانوا ... معهم في مَغِيبِهِمْ والحُضُورِ
في مَقامٍ مِنَ الصَّلاحِ وَأَمْنٍ ... وَمُقامٍ مِنَ النَّعِيمِ وَثِيرِ (٢)
أهلُ بيتٍ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرِّجْـ ... ـسِ وَهُمْ أغنياءُ عَنِ التَّطْهِيرِ
حُجِبُوا بالأثاثِ عنَّا وبالزِّيِّ ... وأخْفَوْا جَمالَهُمْ بالخُدُورِ
لَبِسُوا الزِّيَّ بالقلوبِ وَأَغْنَوْا ... صِدْقُهُمْ عَنْ لِباسِ ثَوْبَيْ زُورِ
وَأَرَوْنا أهلَ التقى في الزَّوايا ... سَلَّمُوا في البَقا لأهلِ القُصُورِ
وأتَوْا كُلُّهُمْ بِقَلْبٍ سَليمٍ ... وأتى غيرُهُمْ بِثَوْبٍ نَقِيرِ (٣)
وحَكَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ كالذَّرارِي ... مِنْ بُطُونٍ زَكِيَّةٍ وظُهُورِ (٤)
يُطْعِمُونَ الطَّعامَ لا لِجَزاءٍ ... يَتَرَجَّوْنَهُ ولا لِشُكُورِ
عَلَى اللهِ منهم ما جَهِلْنا ... وكَفاهُمْ شُكْرُ العليمِ الخَبِيرِ

ومن قوله، وَكان قد أشيع أنه مات (٥) :[الخفيف]

عاش بعد موت

عاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ البُوصِيرِيْ ... وَحياةُ الكِلابِ مَوْتُ الحَمِيرِ
عاشَ قَوْمٌ مُذْ قِيلَ إنِّي قد مِتُّ ... فماتُوا قَبْلِي بِوَخْزِ الصُّدُورِ
لَسْتُ مِمَّنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي ... وَأَبْكِي عَلَيْهِمُ في القُبُورِ

(١) الوَرى: الخَلق.
(٢) الوَثير: المُوَطَّأ.
(٣) الثوب النقير: أي المنقور.
(٤) الذُّرِّية: الولد. دراري: جمع دُرة: لؤلؤة عظيمة
(٥) المقفى للمقريزي: ٢٥٠.

وَصَحِيحٌ بِأَنَّنِي كُنْتُ قَدِمتُ   وأخيانِيَ جُودُ هَذا الوَزِيرِ

وقال فيمن على عينيه بياض:[1] [مجزوء الكامل]

عين بيضاء

انظُرْ بِحَمْدِ اللهِ فِي   عَيْنَيْهِ سِرًّا أَيَّ سِرِّ
طَمَسَ اليَمِينَ بِكَوْكَبٍ   وَسَيَطْمُسُ اليُسْرَى بِفَجْرِ

وقال: [الطويل]

ثناؤك أعطر

ثَنَاؤُكَ مِنْ رَوْضِ الخَمَائِلِ أَعْطَرُ   وَوَجْهُكَ مِنْ شَمْسِ الأَصَائِلِ أَنْوَرُ[2]
وَسَعْيُكَ مَقْبُولٌ مُقْبِلٌ   وَكُلُّ مَرَامٍ رُمْتَ فَهُوَ مُيَسَّرُ
وجاءَكَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ رِفْعَةٍ   كأنكَ في أَمْرِهِ المَعَالِي مُخَيَّرُ
وَقَدْرُكَ أَعْلَى أَنْ تُهَنَّى بِمَنْصِبٍ   وأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَجَلُّ وَأَكْبَرُ
فيا لَكَ شَمْسًا تَمْلأُ الأَرْضَ رَحْمَةً   وَيَمْلأُهَا شَوْقًا لَهُ حِينَ يُذْكَرُ
لَقَدْ مُلِئَتْ حُبًّا وَرُعْبًا قُلُوبُنَا   بِهِ فَهُوَ بِالأَمْرَيْنِ فِيهَا مُصَوَّرُ
وَقَدْ أَذْعَنَتْ حُبًّا مِنْهُ الجَوارِحُ طاعَةً   لَهُ إِنَّ سُلْطَانَ الجَوارِحِ سُنْقُرُ[3]
يَرُوعُ العِدَا مِثْلَ البَغَايَا إِمَاتَةً   إِذَا رَاعَهَا مِنْ رُمْحِهِ اللَّدْنِ مَنْسِرُ[4]
فَيَا أَيُّهَا الشَّمْسُ الذي في صِفَ[...]   عُقُولُ الوَرَى مِنْ دَهْشَةٍ تَتَحَيَّرُ[5]
تَعَلَّمَ مِنْكَ النَّاسُ مَا مُدِحُوا بِهِ   كَأَنَّكَ فِيهِمْ لِلْفَضَائِلِ عُنْصُرُ
وَأَنْتَ هُمَامٌ قَدْ مَتَّهُ ثَلاثَةٌ   لَهَا المُنْتَهَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَمَنْظَرُ[6]

---

(١) فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٧.
(٢) الخمائل: جمع الخَميلة: المُنهَبَط من الأرض، وهي مَكرَمة للنبات، الأصائل: جمع الأصيل: العَشِي.
(٣) الجوارح: الأعضاء. سُنقُر: اسم الممدوح، وهو المعروف بسنقر الأشقر وكان تسلطن بدمشق سنة ٦٧٩هـ: واستمرت سلطته حتى سنة ٦٨٥هـ حيث سلّم لقلاوون.
(٤) الرمح اللدن: الرمح اللين.
(٥) الورى: الخَلْق.
(٦) الهُمام: السيد الشجاع.

مِنَ الشِّرْكِ في أخْلاقِهِ بَلَوِيَّةٌ ... لها يَعْتَزِي زَيْدٌ وعَمْرٌو وعَنْتَرُ
وَكَمْ فِتْنَةٍ بَيْنَ العشيرِ أزالَها ... وكانَ بها للناسِ بَعْثٌ ومَحْشَرُ
فأخْمَدَ ما بَيْنَ الخَليلِ بِرأيِهِ ... ونابُلُسَ النارَ التي تَتَسَعَّرُ(1)
وَقَدْ زَبَرَتْ زَبْراً وقَبْضاً وحارِثاً ... كِنانَتُهُ مِثْلَ الكَرْمِ إبّانَ يُزْبَرُ(2)
وَقَدْ أخْرَبَتْ ما لَيْسَ يَعْمُرُ عامِرٌ ... وقَدْ قَتَلَتْ ما لَيْسَ يَقْبُرُ مَقْبَرُ
وَلَولاهُ لَمْ تَخْمَدْ مِنَ القَوْمِ فِتْنَةٌ ... وَلَمْ يَنْعَقِدْ فيها على الصُّلْحِ مَشْوَرُ
إذا ما أرادَ اللهُ إنفاذَ أمْرِهِ ... يُنَطِّقُ ذا رأيٍ بِهِ ويُبَصِّرُ
فإنْ فَوَّضَ السُّلْطانُ أمْرَ بِلادِهِ ... إليهِ فما خَلْقٌ بِهِ منه أجْدَرُ
وأمْسِ رَأى حالَ المَحَلَّةِ حائِلاً ... وأعمالَها والجَوْرَ يَنْهَى ويَأمُرُ
فقالَ لأهلِ الرَّأيِ مَنْ يُرْتَضَى لها ... فقالوا لهُ اللَّيْثُ الهُمَامُ الغَضَنْفَرُ(3)
فما غيرُ شمسِ الدِّينِ يَحْمِي دِيارَها ... سُطاهُ كما يَحْمِي العَرِينَةَ قَسْوَرُ(4)
خَبيرٌ بأحْوالِ الأنامِ كأنَّهُ ... بما في نُفوسِ العالَمِينَ يُخَبَّرُ(5)
وَلا مِثْلَ ما بَيْنَ الرَّعايا وبَيْنَهُ ... ولكنَّهُ حِلْماً على الناسِ يَسْتُرُ
فَلَمّا رأتْ أهلُ المَحَلَّةِ قَدْرَهُ ... يُعَزَّزُ ما بَيْنَ الوَرَى ويُوَقَّرُ
تَناجَوْا وقالوا: قامَ فينا خَليفَةٌ ... ولَكِنْ لَهُ مِنْ صَبْوَةِ الظَّرْفِ مِنْبَرُ
هَلُمُّوا لَهُ فَهْوَ الرَّشِيدُ بِرأيِهِ ... وبَيْنَ يَدَيْهِ جُودُ كَفَّيْهِ جَعْفَرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ رَسولُ سِيادَةٍ ... وصارِمُهُ للناسِ هادٍ ومُنْذِرُ
فَقُلْ للرَّعايا لا تَخافوا ظُلامَةً ... وَلا تَحْزَنوا مِنْ حُكْمِ جَوْرٍ وأبْشِروا
فَقَدْ جاءَكُمْ والبِرُّ وَقْفٌ بِجَوْفِهِ ... إذا المَعْتُ لم يَبْقَ في الأرضِ مُنْكَرُ
فَتًى حَسُنَتْ أخْبارُهُ واخْتِيارُهُ ... وطابَ مَغيبٌ مِنْ عُلاهُ ومَحْضَرُ
عَجِبْتُ لَهُ يُرْضِيهِ الرَّعايا اتِّضاعُهُ ... وَيَعْظُمُ ما بَيْنَ الرَّعايا ويَكْبُرُ
وَيَرْمِي العِدا مِنْ كَفِّهِ بِصَواعِقٍ ... وأنْمُلُها أنهارُ جُودٍ تَحَدَّرُ(6)
وَيَجْمَعُ سِرَّ الماءِ والنارِ سَيْفُهُ ... وفي العُودِ سِرُّ النارِ والعُودُ أخْضَرُ

---

(1) الخليل ونابلس: بلدتان بفلسطين. ويشير إلى إخماد الفتنة هناك.
(2) زبر: رمى.
(3) الليث، والغضنفر، من أسماء الأسد.
(4) القسور: الأسد.
(5) الأنام: البشر.
(6) الأنمل: جمع الأنملة: رأس الإصبع.

ويُجري على وَفقِ المُرادِ أُمورَهُ … فيَبسُطُ فيها ما يشاءُ ويَقدُرُ
وتَنفعِلُ الأشياءُ مِن غيرِ فِكرةٍ … لهُ وقد اعتاصَتْ على مَن يُفكِّرُ (١)
ويَستعظِمُ الظلمَ الحقيرَ فلو بدا … كمِثلِ القذا في العَينِ أو هُوَ أحقَرُ
فطَهَّرَ وجهَ الأرضِ مِن كلِّ فاسِدٍ … وما خِلتُهُ مِن قَبلِهِ يتطَهَّرُ
ومَهَّدَهُ للسالِكينَ مِنَ الأذى … فليسَ به الأعمى إذا سارَ يَعثُرُ
فَشرِّقْ وغَرِّبْ في البِلادِ فكَمْ لَهُ … بها عابِرٌ يُثني عليه ويَغبُرُ
وما كلُّ والٍ مِثلُهُ فيه يَقظةٌ … ولا قلبُهُ بالله قلبٌ مُنوَّرُ
أنامَ الرَّعايا في أمانٍ وطَرفُهُ … لِما فيه إصلاحُ الرَّعيَّةِ يَسهَرُ
فلا الخوفُ مِن خوفٍ ألَمَّ بأرضِهِ … ولا الشرُّ فيها بالخواطِرِ يَخطُرُ
أتى الناسَ مثلَ الغيثِ في أرضِ جُودِهِ … يُرَوِّضُ ما يأتي عليه ويُزهِرُ
وكانتْ وُلاةُ الحربِ فيها كعاصِفٍ … مِنَ الرِّيحِ ما مَرَّتْ عليه تُدَمِّرُ
وكلُّ امرِئٍ وَلَّيتَهُ في رَعِيَّةٍ … بما فيه مِن خَيرٍ وشرٍّ يُؤَثِّرُ
فَمَنْ حَسُنَتْ آثارُهُ فهوَ مُقبِلٌ … ومَن قَبُحَتْ آثارُهُ فهوَ مُدبِرُ
وكَمْ سعِدَتْ بالطالعِ السَّعدِ أُمَّةٌ … وكَمْ شَقِيَتْ بالطَّالِعِ النَّحسِ مَعشَرُ
فما بلَغَ القُصَّادُ غايَةَ سُؤلِهِمْ … لقد خابَ مَن يَرجو سواهُ ويَحذَرُ
ومَن حَظُّهُ مِن حُسنِ مَدحِيَ وافِرٌ … وحظِّي مِنْ إحسانِهِ بِيَ أوفَرُ
أمَولايَ عُذراً في القَريضِ وكلُّ مَن … شكا العجزَ عَنْ إدراكِ وَصفِكَ يُعذَرُ (٢)
لَكَ الهِمَمُ العُليا وكلُّ مُحاوِلٍ … مَداها وكم بالمَدحِ مِثلِي مُقَصِّرُ
تباشَرَتِ الأعمالُ لمَّا رأيتَها … بمَرآكَ والوجهُ الجميلُ مُبَشِّرُ
عَذَرتُ الوَرى لمَّا رأوكَ فهَلَّلوا … لِمَطلَعِ شمسِ الفضلِ مِنكَ وكَبَّروا (٣)
دَعَوكَ بها كِسرى وكم لكَ نائِبٌ … يُقِرُّ لَهُ في العَدلِ كِسرى وقَيصَرُ
عَمَرتَ بها ما ليسَ يَخرَبُ بَعدَها … وقد أخربَ الماضونَ ما ليسَ يَعمُرُ
تفاءلتُ لمَّا قيلَ: مَن سَخا … وكلُّ امرِئٍ غادٍ لِمَلقاهُ مُبكِرُ
فيَمَّمتُهُ مُستبشِراً بِقُدومِهِ … وطائرُ حَظِّي منه بالسَّعدِ يُزجَرُ (٤)

---

(١) اعتاص الأمر عليه: اشتد.

(٢) القريض: الشعر.

(٣) الورى: الخلق.

(٤) زجر الطير: تفاءل به.

وحَقَّقَ طَرْفِي أنَّ مَرْآكَ جَنَّةٌ — وبِشْرُكَ رِضْوانٌ وكَفُّكَ كَوْثَرُ (١)
ولو لم تكنْ شمساً سِرْتَ في الضُّحى — تَسُرُّ عُيُونَ النّاظِرِينَ وتَبْهَرُ
وأقْبَلْتَ تُحيي الأرضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها — وفي الجُودِ ما يُحيي المَواتَ ويَنْشُرُ
فأخْرَجْتَ مَرْعاها وأجْرَيْتَ ماءَها — غَداةَ بِحارُ الأرضِ أشْعَثُ أغْبَرُ
ولولاكَ ما راعَتْ بُحُورٌ أتْراعُها — ولا كانَ مِنْ جِسْرٍ عَلى الماءِ يُجْسَرُ
فها هِيَ تَحْكِي جَنَّةَ الخُلْدِ نُزْهَةً — ومِنْ تَحْتِها أنهارُها تَتَفَجَّرُ
وأُعْطِيتَ سُلطاناً عَلى الماءِ عالياً — بهِ يَزْخَرُ البَحْرُ الخِضَمُّ ويُسْجَرُ (٢)
فَخُذْ آيَتَيْ موسى وعيسى بِقُوَّةٍ — وكلُّ النصارى واليهودِ تَحَسَّرُوا
فيا صالحاً في قِسْمَةِ الماءِ بينهم — ولا ناقةً في أرضِهِمْ لَكَ تُعْقَرُ (٣)
فَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ الماءُ راكِدٌ — وَفي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَحَدَّرُ
فهذا له وقتٌ وحَدٌّ مُعَيَّنٌ — وَهذا له حَدٌّ وَوَقْتٌ مُقَدَّرُ
هَنِيئاً لإبْنُوطِيرَ أنكَ زُرْتَها — وشرَّفَها مِنْ وَقْعِ خَيْلِكَ عَنْبَرُ (٤)
دَعَتْ لَكَ سُكّانٌ بها ومَساكِنٌ — ولم يَدْعُ إلا عامِرٌ ومُعَمَّرُ
وصَلُّوا بها شُكْراً وصَدَّقُوا — وَحُقَّ عليهم أنْ يُصَلُّوا ويَنْحَرُوا
فكلُّ مَكانٍ منكَ بالعدلِ مُخْصِبٌ — وبالحمدِ وَالذِّكْرِ الجميلِ مُعَطَّرُ
أتَيْتُكَ بالمَدْحِ الذي جاءَ مُظْهِراً — إلَى الناسِ مِنْ حُبِّيكَ ما أنا مُضْمِرُ
فخُذْهُ ثَناءً يُخْجِلُ الزَّهْرَ نَظْمُهُ — وَهَلْ تُنْظَمُ الأزهارُ نَظْمي وتُنْثَرُ
مِنَ الرَّأْيِ أنْ يُهْدَى لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ — جَهِلْتُ وَهَلْ يُهْدَى إلى البحرِ جَوْهَرُ
فُتِنْتُ بِشِعْري وهْوَ كالسِّحْرِ فِتْنَةً — وَقُلْتُ كَذا كانَ امْرُؤُ القَيْسِ يَشْعُرُ
وَمالِيَ أُزَكِّي النَّفْسَ فيما أقولُهُ — وَأَتْبَعُها فيما يُذَمُّ وَيُشْكَرُ
وَها إنَّ شَمْسَ الدِّينِ لِلْفَضْلِ باهِرٌ — وليسَ بِخافٍ عنه لِلْفَضْلِ مَخْبَرُ
إلَى اللهِ أشكو إنَّ صَفْوَ مَوَدَّتي — عَلَى كَدَرِ الأيّامِ لا تَتَكَدَّرُ
وإنْ أظْهَرَ الأصْحابُ ما ليسَ عِنْدَهم — فإني بما عِندي مِنَ الوُدِّ مُظْهِرُ
وإنْ غَرَسَتْ في أرضِ قَلْبِي مَحَبَّةً — فليسَ بِبُغْضٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُثْمِرُ

---

(١) الكَوْثر: الكثير من كل شيء.
(٢) الخِضَمُّ: البحر: يسجر الماء: يتفجّر.
(٣) تعقر: تُذبح.
(٤) ابنوطير: اسم بلد.

ويَمْلِكُنِي خُلْقٌ عَلَى السُّخْطِ والرِّضا ... جَمِيلٌ كمِثْلِ البُرْدِ يُطْوَى ويُنْشَرُ
وقَلْبٌ كمِثْلِ البحرِ يَغْلو عُبابُهُ ... ويَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ ولا يَتَغَيَّرُ (١)
إذا سُئِلَ الإبْرِيزَ جاشَ لُعابُهُ ... ويَصْفُو بما يَطْفُو عليه ويَظْهَرُ (٢)
وما خُلُقِي مَدْحُ اللَّئِيمِ وإنْ عَلَتْ ... بهِ رُتَبٌ لا أنَّنِي مُتَكَبِّرُ
وَلا أبْتَغِي الدُّنْيا ولا عَرَضاً بِها ... بِمَدْحِي فإنِّي بالقَناعَةِ مُكْثِرُ
لِيَعْلَمَ أغْنَى العالَمِينَ بِأنَّهُ ... إلَى كَلِمِي مِنِّي لِدُنْياهُ أفْقَرُ
وَأبْسُطُ وَجْهِي حينَ يَقْطُبُ وَجْهَهُ ... فَيَحْسَبُ أنِّي موسِرٌ وهْوَ مُعْسِرُ
أأنْظِمُ هذا الدُّرَّ في جِيدِ جاهِلٍ ... وأظْلِمُهُ إنِّي إذنْ لَمُبَذِّرُ
وعِنْدِي كَلامٌ واجِبٌ أنْ أقولَهُ ... فلا تَسْأمُوا مِمَّا أقولُ وتَسْخَروا
وَلَمْ تَرَنِي لِلْمالِ بالمَدْحِ مُؤْثِراً ... ولكِنَّنِي لِلْوُدِّ بالمَدْحِ مُؤْثِرُ
فيا مَصْدَرَ الفضلِ الذي الفضلُ دأبُه ... فما اشْتُقَّ إلاّ منه لِلْفضلِ مَصْدَرُ
بَرِئْتُ مِنَ المُسْتَخْدِمِينَ فَخَيْرُهم ... لِصاحِبِهِ أعْدَى وأدْهَى وأنْكَرُ
هَدَرْتُهُمُ مِثْلَ الرُّماةِ لِكِذْبِهِمْ ... وَعِنْدِيَ أنَّ المرءَ بالكِذْبِ يُهْدَرُ
فلا تُدْنِهِ منهم واحِداً منكَ ساعةً ... ولو فاحَ بُرْدَيْهِ مِسْكٌ وعَنْبَرُ
وَقدْ قيلَ كُتَّابُ النَّصارَى مَناسِرٌ ... فما مِثْلُ كُتَّابِ المَحَلَّةِ مَنْسَرُ (٣)
فَبَرِّدْ فُؤادي بانْتِقامِكَ منهمُ ... فقدْ كادَ قلبي منهمُ يَتَفَطَّرُ (٤)
مُنِعْتُ بهم حَظِّي شُهوراً ولم أصِلْ ... إلى حَظِّهِمْ حتى مَضَتْ لِي أشْهُرُ
وحَسْبُكَ أنِّي منهمُ مُتَضَوِّرٌ ... وكلُّ امْرِئٍ منهم كذا يَتَضَوَّرُ (٥)
فَواعَجَباً مِنْ واقِفٍ منهمُ على ... شَفا جُرُفٍ هارٍ مَعِي يَتَهَوَّرُ (٦)
يَقولونَ لو شاءَ الأميرُ أزالَهمْ ... فقُلْتُ زَوالُ القَوْمِ لا يُتَصَوَّرُ
فقدْ قَهَرَ السُّلْطانُ كلَّ مُعانِدٍ ... وما أحَدٌ لِلْقِبْطِ في الأرضِ يَقْهَرُ
وَما فِيهِمُ لا بارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... أخو قَلَمٍ إلاّ يَخُونُ ويَغْدِرُ
إنِ اسْتُضْعِفُوا في الأرضِ كانَ أقَلُّهُمْ ... عَلَى كلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ الناسَ أقْدَرُ

---

(١) عُباب البحر: كثرة مائه، وارتفاع الماء، أو الموج.
(٢) الإبريز من الذهب: الخالص.
(٣) المنسر: المنقار، ويريد أنهم لصوص.
(٤) يتفطّر: يتشقق.
(٥) التضور: التلوي من الضرب، أو الجوع.
(٦) الشفا: الحافة. الجُرف: ما جرفته السيول وأكلته من الأرض.

كأنَّهمُ البُرغوثُ ضَعفاً وجُزأةً   وإنْ يَشبَعِ البُرغوثُ لولا يُعَذَّرُ

رياستُهُمْ أنْ يُصفَعوا ويُجَرَّسوا   ودينُهُمُ أنْ يَصلُبوا ويُسَمِّروا

وما أحدٌ منهم على الصَّرفِ صابِرٌ   ولا أحدٌ منهم على الذُّلِّ أصبَرُ

ومُذكِرُهُ السُّلطانُ خِدمَتَهُمْ لَهُ   تَمَنَّى النَّصارى أنهم لم يُنَصَّروا

إذ كانَ سُلطانُ البسيطةِ منهمُ   يَغارُ على الإسلامِ فاللهُ أغيَرُ (١)

وبالرَّغمِ منهمْ أنْ يَرَوْا لكَ كاتِباً   وما أحدٌ في فِتنةٍ منهُ أمهَرُ

ويُعجِبُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدَّيهِ بُطرُسٌ   ويَحزُنُهُمْ مَنْ جَدُّ جَدَّيهِ جَحدَرُ

بأنَّ النَّصارى يَرغَبونَ لِبُغضِهِمْ   ومِنْ غيرِهِمْ كُلٌّ يُراعُ ويُزعَرُ (٢)

عَداوتُهُمْ لِلمُلْكِ ما ليسَ تَنقَضي   وذَنبُ أخي الإسلامِ ما ليسَ يُغفَرُ

ومنهمْ أناسٌ يُظهِرونَ مَوَدَّتي   ويُبغِضُهُمْ لي مِنْ قِفا نَبْكِ أشهَرُ

وكَمْ عَمَّرَ الوالي بلاداً وأخرَبوا   وكَمْ آنَسَ الوالي قُلوباً ونَفَّروا

وقالوا بأيَّامي مَساقٌ مُحَرَّرٌ   وليسَ لهمْ فَلْسٌ مَساقٌ مُحَرَّرُ

وكَمْ زُورِ قَولٍ قُلتُمُ أيُّ حُجَّةٍ   وكَمْ حُجَجٍ لِلخائنينَ تُزَوَّرُ

وإنْ تَنصُروني قُمتُ فيهم مُجاهِداً   فإنَّهمُ للهِ أعصى وأكفَرُ

وإلّا فإنّي للأميرِ مُذَكِّرٌ   بما فَعَلوهُ والأميرُ مُنَظَّرُ

وكَمْ مُشتَكٍ مِثلي شَكا لِيَ منهمُ   كما يَشتَكي في الليلِ أعمى وأعوَرُ

وكُنتُ ومالي عندهمْ طِلابَةٌ   أُزَوَّدُ مِنْ أموالِهِمْ وأُسَفَّرُ

وما ضَرَّني إلّا المَعارِفُ منهمُ   ذُنوبُ وِدادي عندهمْ لا تُكَفَّرُ

ولولا حَيائي أنْ أُعانِدَ مُمسِكاً   لِحَقّي أتاني الحَقُّ وهوَ مُعَبَّرُ

فإنْ شَمَّروا عَنْ ساقِ ظُلمي فإنَّني   لِذَمِّهِمُ عَنْ ساقِ جِدّي مُشَمِّرُ

وإنْ حَمَلوا قلبي وساروا فمَنطِقي   يُحَمَّلُ في آثارِهِمْ ويُسَيَّرُ

وإنْ يَسبِقوا اللُّبابَ دوني فإنَّهم   بما صَنَعوا بالناسِ أحرى وأجدَرُ

فإنْ أشكُ ما بي للأميرِ فإنَّه   لَيَعلَمُ منه ما أُسِرُّ وأجهَرُ

فإنْ أشكَتِ الأيامُ تُلقِ قِيادَها   إليهِ وتَجفُ مَنْ جَفاهُ وتَهجُرُ

وتُملي على أعدائِهِ ما يَسوؤُهُمْ   وتُوحي إلى أسماعِهِ ما يُحَبَّرُ

---

(١) البسيطة: الأرض.

(٢) زَعِر: قلّ وتفرّق.

وقال يداعب بهاء الدين بن عليّ بن محمد بن سليم بن حنا[1] : [الكامل]

أيها المولى

يا أيها المولى الوزير الذي ... أيامه طائعة أمره
ومن له منزلة في العلا ... تكل عن أوصافها الفكره
أخلاقك الغر دعتنا إلى الـ ... إدلاء في القول على غِرّه[2]
إذ لم تزل تصفح عمّن جنى ... وتؤثر العفو مع القدره
حتى لقد يخفى على الناس ما ... تحب من أمر وما تكره
إليك نشكو حالنا إننا ... عائلة في غاية الكثره
أحدث المولى الحديث الذي ... جرى عليهم بالخيط والإبره
صاموا مع الناس ولكنهم ... كانوا لمن يبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم ... ما برحت والشربة الجره[3]
لهم من الخبيز مسلوقة ... في كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها ... تنزهوا في الماء والخضره
وأقبل العيد وما عندهم ... قمح ولا خبز ولا فطره
فارحمهم إن أبصروا كعكة ... في يد طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها ... بشهقة تتبعها زفره
فكم أقاسي منهم لوعة ... وكم أقاسي منهم حسره
كم قائل يا أبتا منهم ... قطعت عنّا الخبز في كره
ما صرت تأتينا بفلس ولا ... بدرهم ورق ولا نقره[4]
وأنت في خدمة قوم فهل ... تخدمهم يا أبتا سخره
يا خيبة المسعى إذا لم يكن ... يجري لنا أجر ولا أجره
لقد تعجبت لها فطنة ... أتى بها الطفل بلا خبره
وكيف يخلو الطفل من فطنة ... وكل مولود على الفطره

(١) هو وزير كان من أكابر الرجال في عصره، استوزره الملك الظاهر بيبرس توفي سنة ٦٧٧هـ.

(٢) الأخلاق الغُر، يعني الأخلاق الحسنة. غِرّة: خدعة.

(٣) الزِّير: الدّن.

(٤) النُّقرة: القطعة المذابة من الذهب والفضة.

وَيَوْمَ زارتْ أُمُّهمْ أُخْتَها ... والأُخْتُ في الغَيْرةِ كالضَّرَّهْ
وَأَقْبَلَتْ تَشْكو لها حالَها ... وَصَبْرَها مِنّي على العُسْرَهْ
قالتْ لها كيفَ تكونُ النِّسا ... كذا مَعَ الأزواجِ يا غِرَّهْ[1]
قومي اطْلبي حَقَّكِ منه بِلا ... تَخَلُّفٍ منكِ ولا فَتْرَهْ[2]
وإنْ تَأَبَّى فَخُذِي ذَقْنَهُ ... ثُمَّ انْتِفي منها شَعْرةً شَعْرَهْ
قالتْ لها ما عادَتي هكذا ... فإنَّ زَوْجي عِنْده ضَجْرَهْ
أخافُ إنْ كَلَّمْتُهُ كِلْمَةً ... طَلَّقَني قالتْ لها: بَعْرَهْ[3]
فَهَوَّنَتْ قَدْري في نَفْسِها ... فَجاءَتِ الزَّوْجةُ مُحْتَرَّهْ
فاسْتَقْبَلَتْني فَتَهَدَّدْتُها ... فاسْتَقْبَلَتْ رأسي بآجُرَّهْ[4]
وَباتَتِ الفِتْنَةُ ما بَيْنَنا ... مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إلى بُكْرَهْ
ومارأى العَبْدُ لهُ مُخْلَصاً ... إلا وما في عَيْنِهِ قَطْرَهْ
فَحَقُّ مَنْ حالَتُهُ هذِهِ ... أنْ يَنْظُرَ المَوْلَى لهُ نَظْرَهْ

ولهُ في عيد المسيح؛ لم يخبر ولا نبّه النصارى لطعام العيد: [مخلع البسيط]

يَهُودُ بُلْبَيْسَ كُلَّ عِيدٍ ... أَفْضَلُ عِنْدي مِنَ النَّصارَى
أَما تَرَى البَغْلَ وَهْوَ بَغْلٌ ... فِي فَضْلِهِ يَفْضُلُ الحِمارا

قافية السين

قال يمدح الصاحب شمس الدين بن الصاحب برهان الدين[5]: (الكامل)

لولا الصاحبَيْن

إنْ تُخْيِ آمالي بِرُؤْيَةِ عيسى ... فَلَطالما أنْضَتْ إليهِ العِيسا[6]

(١) الغِرة من النساء: التي لا تجربة لها.
(٢) فترة: ضعف.
(٣) البعر: رجيع الخُف والظلف.
(٤) الآجر: الحجر المصنوع، وهو من المعرَّب.
(٥) هو شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الدين السنجاري المتوفى سنة ٦٨٢هـ. وكان ينوب عن والده في الوزارة.
(٦) أنضَت من النّضو: الهزال. العِيس: الإبل البِيض يخالط بياضها شُقرة، والواحدة عَيساء.

وَحَظيتُ بَعْدَ اليَأسِ بِالخِضْرِ الذي ... مازالَ يَرْقَى أوْ حَكَى إدْرِيسا[1]
لولا وُجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كِلَيْهِما ... صارتْ بُيُوتُ العالَمِينَ رُمُوسا[2]
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أنْجَبَ الأبُ ابْنَهُ ... لا غَرْوَ أنْ يَلِدَ النَّفِيسُ نَفِيسا
للهِ شَمْسُ الدينِ شَمْسٌ أطْلَعَتْ ... فينا بُدُوراً لِلْهُدَى وَشُمُوسا
رَدَّتْ لنا يَدُهُ الغَضُوبَ وأسْكَنَتْ ... بالعَدْلِ آرامَ الكِناسِ الخِيسا
أغْنَتْ مكارِمُهُ الفقيرَ وأطْعَمَتْ ... مَنْ كانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمانِ يَئُوسا
حِبْرٌ تَصَدَّرَ لِلنَّوالِ فَلَمْ يَزَلْ ... يَتْلو عليهِ مِنَ المَدِيحِ دُرُوسا
دُعِيَ ابْنُ سِينا بالرَّئيسِ وَلَوْ رَأى ... عيسى لَسَمَّى نَفْسَهُ المَرْؤوسا
وَحَسِبْتُهُ مِنْ بَأسِهِ وَذَكائِهِ ... بَهْرَامَ قارَنَ في العُلا بَرْجِيسا[3]
مِنْ مَعْشَرٍ لَيُسَارِعُونَ إلى الوَغَى ... مُتنازِعِينَ مِنَ الحِمامِ كُؤُوسا
لُدُّ الخِصَامِ إذا تَشاجَرَتِ القَنا ... لَمْ يَجْعَلوا لَهُمُ الحَديدَ لَبُوسا
وأخُو البَسالَةِ مَنْ غَدا بِذِراعِهِ ... لا دِرْعِهِ يَوْمَ الوَغَى مَحْرُوسا
يُوفُونَ ما وَعَدُوا كأنَّ وُعُودَهُم ... كانَتْ يَميناً بالوفاءِ غَمُوسا
يا أيُّها المَوْلَى الوَزِيرُ ومَنْ لَهُ ... حِكَمٌ أغارَتْ منه رَسْطاليسا[4]
هُنِّيتَ تَقْلِيداً أتاكَ مُجَدِّداً ... لِلناسِ مِنْ سُلْطانِهِم نامُوسا[5]
أُرْسِلْتَ منه لِلْخَلائِقِ رَحْمَةً ... عَمَّتْ قِياماً منهمُ وجُلُوسا
وكأنَّ قارِئَهُ بِيَوْمِ عَرُوبَةٍ ... لَكَ يُعرِبُ التَّسْبيحَ والتقْديسا[6]
ونَظَمْتَ شَمْلَ المُلْكِ بالقَلَمِ الذي ... حَلَّيْتَ منه لِلسُّطورِ طُروسا[7]
وبِسَتْرِكَ العَوْراتِ قد كَشَفَ الوَرَى ... لَكَ بالدُّعاءِ المُسْتَجابِ رُؤُوسا
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الخِناقِ بِكُرْبَةٍ ... نَفَّسْتَ عنه خِناقَهُ تَنْفِيسا
أطْفَأتَ نِيرانَ العَداوةِ بَعْدَما ... أوْطَأتَ منها المُوقِدِينَ وَطِيسا[8]

---

(١) إدريس يعني النبي إدريس عليه السلام.

(٢) رموس: جمع رَمْس: قبر.

(٣) بهرام: اسم المرّيخ. البِرجيس: اسم نجم، أو هو المشتري.

(٤) رسطاليسا: يعني أرسطو طاليس الفيلسوف اليوناني الحكيم.

(٥) الناموس: صاحب السر.

(٦) يوم عَروبة: يوم الجمعة.

(٧) الطِّرس: الصحيفة.

(٨) الوطيس: التنّور، ويقال: حَمي الوطيس، أي اشتدت الحرب.

وَارْحَمْهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ تُحْيِي لَهُمْ ... في كُلِّ يَوْمٍ داحِساً وبَسُوسا(١)
هَلَكَتْ جَدِيسُ وطَسْمُ حِينَ تَعادَتا ... وكأنَّ طَسْماً لَمْ تكنْ وجَدِيسا(٢)
يا بنَ الذي يَلْقَى الفَوارِسَ باسِماً ... حاشاكَ أنْ تَلْقَى الضُّيوفَ عَبُوسا
سَعِدَتْ بِكَ الجُلساءُ فاحْذَرْ بعضَهُمْ ... فَلَرُبَّما أغْدَى الجَليسُ جَليسا
بَخَسُوا ضيوفَ اللهِ عِنْدَكَ حَظَّهُمْ ... لا كانَ حَظُّكَ عندهم مَبْخوسا(٣)
وأُعِيذُ مَجْدَكَ أنْ يكونَ بِطائِفٍ ... مِنْ حاسِدٍ بِنَميمَةٍ مَمْسوسا
فاللهُ عَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ آدَماً ... وأطاعَ آدَمُ ناسِياً إبْليسا
إنَّ المُراحِلَ مَنْ أضاعَ أُجُورَهُ ... واعْتاضَ عنها بالنفيسِ خسيسا(٤)
فارْغَبْ إلى حُسْنِ الثَّناءِ فإنَّهُ ... لا يستوي في الذِّكْرِ نِعْمَ وبِيسا(٥)
ما أنتَ مِمَّنْ تَسْتَبِيحُ صُدورُهُم ... حِقْداً ولا أعراضُهُمْ تَدْنِيسا
أدْعُوكَ لِلصَّفْحِ الجَميلِ فإنْ تُجِبْ ... أحْكَمْتَ بُنْياناً عَلا تأسيسا
ومِنَ السِّياسَةِ أنْ تكونَ مُراعِياً ... لِلصّالِحينَ تَبَرُّهُمْ وتَسُوسا
قَوْمٌ إذا انْتُدِبُوا اليَوْمَ كَرِيهَةٍ ... أَلْفَيْتَ واحِدَهُمْ يَرُدُّ خَمِيسا(٦)
تاللهِ ما خابَ امْرُؤٌ مُتَوَسِّلٌ ... بالقَوْمِ في النُّعْمَى ولا في البُوسَى(٧)
ولقد أتَيْتُكَ باليَقِينِ فلا تَخَلْ ... قَوْلِي ظُنُوناً فيهِمْ وحُدُوسا(٨)
ورأيتُ منهمْ ما رأيتُ لِغَيْرِهِم ... وأقَمْتُ دَهْراً بينهم جاسوسا
مَنْ كانَ مُلْتَبِساً عليهِ حديثُهُمْ ... أذْهَبْتُ عنه منهمُ التَّلْبِيسا
ما ضَرَّهُم قولُ المُعانِدِ إنَّهُمْ ... بِفِعالِهِمْ أقوى الأنامِ نُفوسا
كَمْ ذَمَّهُمْ جَهْلاً وأنكرَ [حـ]الَهُمْ ... قَوْمٌ يَلُونَ الحُكْمَ والتَّدْرِيسا.

---

(١) داحس: اسم حصان لقيس بن زهير سيد عبس في الجاهلية. والبَسوس: اسم امرأة هي خالة جسّاس بن مُرّة قاتل كليب وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر التغلبي. وبسبب داحس ثارت حرب بين عبس وذبيان، وبسبب البَسوس وجار لها وناقة ثارت حرب البسوس بين بكر وتغلب.

(٢) طسم وجديس: من العرب البائدة.

(٣) بخسوا: أنقصوا.

(٤) الخسيس: القليل.

(٥) يريد أنه لا يستوي الحسن والسيء.

(٦) الخميس: الجيش.

(٧) البُوس: أي البؤس.

(٨) الحَدْس: الظن والتوهم.

فَرَدَدْتُ قَولَهُمُ بِقَوْلِي ضَارِباً ... مَثَلاً على الخَضِرِ السَّلامُ ومُوسى
وعلى سُلَيْمانَ النبيِّ فإنه ... أغرى رِحالَيْهِ على بَلْقِيسا
وَعلى فَتى الحَسَنِ الذي سَطَوَاتُهُ ... مَرَّتْ على الأعداءِ مَرَّ المُوسَى
يارُبَّ ذي عِلْمٍ رأى نُضْجِي لَهُ ... فأجابَنِي أتُطِبُّ جالِينُوسا(1)
لَمْ يَدْرِ أني كُلَّما اسْتَعْطَفْتُهُ ... كانَ الحديدَ وكنتُ مِغْناطِيسا
لو كنتُ أرضى الجاهليَّةَ مِثْلَهُ ... أمْلَيْتُ ما مَلأَ القلوبَ نَسِيسا(2)
وَنَفَخْتُ نارَ عَداوةٍ لا تُصْطَلى ... بَلْ لا يُطِيقُ لها العَدُوُّ حَسِيسا(3)
لَمْ يُبْقِ لي خَوْفُ المَعادِ مُعادِياً ... فَيَهِيجَ مِنّي لِلْهِياجِ رَسِيسا(4)
أوَ ما تَرى حُبَّ السَّلامَةِ جاعِلِي ... أُلْقِي السَّلامَ مُسالِماً والكِيسا
أمُكَلِّفِي نَظْمَ النَّسِيبِ وَقد رَأى ... عُودَ الشَّبابِ الرَّطْبَ عادَ يَبِيسا
أمّا النَّسِيبُ فما يُناسِبُ قَوْلُهُ ... شَيْخاً أبَدَّ مُعَمَّراً مَنْكُوسا
ما هَمَّ يَخْضِبُ شَيْبَهُ مُتَشَوِّقاً ... زَمَنَ الصِّبا إلا أتَّقى التَّدْلِيسا(5)
لَمّا رأى زَمَنَ الشَّبِيبَةِ مُدْبِراً ... نَزَعَ السُّرَى وتَدَرَّعَ التَّعْرِيسا(6)
مَضَتِ الأحِبَّةُ والشَّبابُ وخَلَّفا ... لِيَ الادِّكارَ مُسامِراً أو أنِيسا
أذْكَرْتَنِي عَهْدَ الطِّعانِ فَلَمْ أجِدْ ... رُمْحاً أصُولُ بِهِ وَلا دَبُّوسا(7)
أيّامَ عَزْمِي لا تَفُوتُ سِهامُهُ ... غَرَضاً أو سَهْمِي جُرْحُهُ لا يُوسَى
ثَنَتِ السُّنُونَ سِنانَ صَعْدَتِيَ التي ... لم تَلْقَ رادِفَةً ولا قَرْبُوسا(8)
فَقَناةُ حَرْبِي لا أُرِدْ تَقْوِيـ ـها ... لِلطَّعْنِ إلا أرَدَّها تَقْوِيسا
ماحالُ مَنْ مُنِعَ الرُّكُوبَ وطَرْفُهُ ... يَشْكُو إليهِ رِباطَهُ مَحْبُوسا
بالأمْسِ كانَ لَهُ الشُّمُوسُ مُذَلَّلاً ... واليَوْمَ صارَ لَهُ الذَّلُولُ شَمُوسا
لا دَرَّ دَرُّ الشَّيْبِ إنْ نُجُومَهُ ... تَذَرُ السَّعِيدَ مِنَ الرِّجالِ نَحِيسا

---

(١) جالينوس: من علماء اليونان وأطبائهم.
(٢) النسيس: الجوع الشديد، وغاية جهد الإنسان.
(٣) الحَسيس: الصوت.
(٤) الرسيس: ابتداء الحب والحمى.
(٥) التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري.
(٦) السُّرى: السير عامة الليل. التعريس: النزول آخر الليل للاستراحة.
(٧) الدبوس: ضرب من الأسلحة.
(٨) القَربوس: حنو السرج.

كيفَ الطَّريقُ إلى اجتماعٍ جاعِلٍ بَيْتَ الفِراشِ بِساكِنٍ مَأنُوسا

لو كانَ لي في بَيْتِ خالِيَ نُصْرَةٌ جَمَعَتْ نقيَّ الخَدِّ والإنْكِيسا(١)

ونَصِيحَةٌ أعْرَبْتُ عنها فانْثَنَتْ كالصُّبْحِ يَجلو ضَوْءُهُ التَّغليسا(٢)

إنَّ النَّصارَى بالمَحَلَّةِ وُدُّهُمْ لو كانَ جامِعُها يكونُ كَنِيسا

أتُرى النصارى يَحكُمونَ بأنَّه مَنْ باشَرَ الأحْباسَ صارَ حَبيسا(٣)

إنْ عادَ إسْحاقٌ إليها ثانِياً ضَرَبُوا على أبوابِها النّاقُوسا

صَرَفَ الإلهُ السُّوءَ عنكَ بِصَرْفِهِ فاصْرِفْهُ عَنّا واصْفَعِ القِسِّيسا

أفْدِي بِهِ المُسْتَخْدَمِينَ وإنَّما أفْدِي بِتَيْسٍ كاليَهودِ تُيُوسا

لو كُنتُ أمْلِكُ أمْرَهُمْ مِنْ غَيْرَتي لَمْ أبْقِ لِلْمُسْتَخْدَمِينَ ضُرُوسا

يَرْعَوْنَ أموالَ الرَّعِيَّةِ بالأذى لو يُخْلَبُونَ لأشْبَهُوا الجامُوسا

اللهُ أرْسَلَهُمْ على أقْواتِهِمْ سُوساً وقد أمِنُوا عليها السُّوسا

مَلأتْ بُيوتَهُمُ الغِلالُ فلا تَرى منها كَبَيْتِي فارِغاً مَكْنُوسا

مَنْ لَمْ يَقُمْ لي منهُمُ بِوَظيفَتِي جَرَّسْتُهُ بِمَلامَتِي تَجْرِيسا

إنِّي لأُنْذِرُ بَعْضَهُم وكَأنَّني في أُذْنِ بَغْلِ الكُوسِ أضْرِبُ كُوسا(٤)

لِي صاحِبٌ سَرَقَ اللُّصُوصُ ثِيابَهُ لَيْلاً فباتَ بِبَيْتِهِ مَحْبُوسا

وشَكا لِوالي الحَرْبِ سارِقَ بَيْتِهِ فكأنَّما يَشْكُو لَهُ أفْرَنْسِيسا

وكأنَّهُ قاضٍ يقولُ لِخَصْمِهِ: هذا غَرِيمُكَ أثْبِتِ التَّفْلِيسا

ويَحُجُّهُ أصْحابُ رَيْعٍ عِنْدَهُ ويُقَدِّمُوهُ فَيُظْهِرُ التَّعْبِيسا

ولَرُبَّما التَمَسُوهُ بالمالِ الذي سَرَقُوا فأصْبَحَ لامِساً مَلْمُوسا

مَلأوا البُيوتَ بمالِهِ ولو اشْتَكَى مَلأوا بأولادِ الحَزِينِ حُبُوسا(٥)

كَمْ قُلْتُ إذْ سَمِعَ الوُلاةُ كَلامَهُمْ أتُرى الوِلايَةَ تُفْسِدُ الكَيْمُوسا(٦)

قَلَبَ العِيانَ لَهُمْ وكَمْ في عِلْمِهِ جَعَلوا الدَّنانِيرَ الثِّقالَ فُلُوسا

فانْظُرْ لِمَنْ ذَهَبَ اللُّصُوصُ بِمالِهِ وبِعَقْلِهِ يَغْنُو اللُّصُوصُ حَبُوسا

---

(١) الإنكيس: الضعيف.
(٢) التغليس: الدخول في ظلمة آخر الليل.
(٣) الحبيس من الخيل: الموقوف في سبيل الله.
(٤) الكُوس: الطبل.
(٥) في الأصل: ملئوا البيوت، وملئوا بأولاد.
(٦) الكَيموس: الخَلْط: وهي من السّرياني.

رَفَعُوا القَواعِدَ مِنْ شِوارِ ثِيابِه | واسْتَأصَلوا المَنْصُوبَ والمَلْبُوسا
قد كنتُ مِنْ خَوْفِ اللُّصوصِ أخافُ أنْ | أُهْدِي إليكَ مِنَ القَرِيضِ عَرُوسا(1)
لا زِلْتَ طولَ الدَّهْرِ تَحْكِي في العُلا | آباءَكَ الغُرَّ الكِرامَ الشُّوسا(2)
ما دام يَتْبَعُ النُّجومَ مُنَجِّمٌ | وَيُخَبِّرُ التَّثْلِيثَ والتَّسْدِيسا

وقال في رجل مغربيٍّ عانده في الشعر، وشرع في هجائه وكان نزل عند ولي الدولة المستوفي ضيفا عنده، وكان يعمل شعره نخلة: [السريع]

قل لوَلي الدولة

قُلْ لِوَلِيِّ الدَّوْلَةِ المُرْتَجَى | والمُتَّقَى في الجُودِ والباسِ
فُزْتَ بِأهْلِ الفَضْلِ حتَّى حَكَوْا | عِنْدَكَ فَوْزاً عِنْدَ عَبَّاسِ
لا سِيَّما هذا الأدِيبُ الذي | أتَى مِنَ النَّظْمِ بِأجْناسِ
النَّابِهُ المُفْلِقُ في مَدْحِهِ | وَهَجْوِهِ والجارِحُ الآسِي
لَمْ أرَ مِنْ قَبْلِ وُقُوفي على | ما قالَ نُشَّاباً بِقِرْطاسِ
ونَخْلَةٍ تَشْكُرُ جِذْواكَ مِنْ | أصْلٍ ومِنْ فَرْعٍ ومِنْ راسِ
شاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مِصْرٍ تُرَى | وَهِيَ خَوَالِيٌّ دَرْبِ دَوَّاسِ
وَرُقْعَةُ الشِّطْرَنْجِ ثُمَّ انْتَهَى | ولَمْ أكُنْ لِلْفَضْلِ بالنَّاسِي
حالِيَةٌ عامِرَةٌ شُبِّهَتْ | بَيادِقٌ فيها بِأفْراسِ(3)
فَقُلْ لنا مَنْ ذا الأدِيبُ الذي | زادَ بِهِ حُبِّي وَوَسْواسِي؟
إنْ كانَ مِثْلِي مَغْرِبِيّاً فَما | في صُحْبَةِ الأجْناسِ مِنْ باسِ
وَإنَّ مِثْلِي عِنْدَهُ اليَوْمَ كالصَّ | خْرَةِ عِنْدَ الجَبَلِ الرَّاسِي
وَبَيْنَ دارَيْنا كَما بَيْنَنا | وأيْنَ مُرَّاكُشُ مِنْ فاس(4)
وإنْ يُكَذِّبْ نِسْبَتِي جِئْتُهُ | بِجُبَّتِي الصُّوفِ وَدِفَاسِي
وإنْ يَجِدْ في لُغَتِي رِيبَةً | أكْتُمْ نَبَا نَازَعَتْ إفْلاسِي

---

(1) القَرِيض: الشّعر.

(2) الشُّوس: جمع الأشْوس: وهو الذي ينظر بمؤخر عينه تكبّراً، أو تغيّظاً.

(3) البياذقة: الرّجّالة.

(4) مُراكش وفاس: مدينتان بالمغرب.

وقال[1] يمدح أبا العَبّاسِ المُرْسِي: [الكامل]

أما المحبة

أمّا المَحَبَّةُ فهيَ بَذْلُ نُفُوسِ فَتَنَعَّمِي يا مُهْجَتِي بالبُوسِ[2]
بَذْلُ المُحِبِّ لِمَنْ أحَبَّ دُمُوعَهُ وَطَوَى حَشَاهُ عَلَى أحَرِّ رَسِيسِ[3]
صِدْقٌ وقَوْلُ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ امْرُؤٌ بِجُلُوسِ
قَبِلَ الإلهُ تَقَرُّبِي بِمَدِيحِهِ وَتَوَجُّهِي لِجَنابِهِ المَحْرُوسِ
رُمْتُ المَسِيرَ إلَيْهِ أعْجَزَنِي السُّرَى وأبَاحَنِي مَرْآهُ غَيْرَ يَؤُوسِ[4]
أكْرِمْ بِيَوْمِ الأرْبَعاءِ زِيَارَةً لَكَ إنّهُ عِنْدِي كَألْفِ خَمِيسِ
كُلُّ اتّصالاتِ السَّعِيدِ سَعِيدَةٌ بِمَثَابَةِ التَّثْلِيثِ والتَّسْدِيسِ
شَرَفاً لِشَاذِلَةٍ ومَرْسِيَةٍ سَرَتْ لَهُما الرِّيَاسَةُ مِنْ أجَلِّ رَئِيسِ[5]
ما إنْ نَسَبْتُ إلَيْهِما شَيْخَيْهِما إلاّ جَلَوْتُهُما جِلاءَ عَرُوسِ

وقال فيمن اسمه عَمْرو، وعلى عينيه فَص[6]: [البسيط]

قافية الطاء

سَمَّوْهُ عَمْراً فَصَحَّفْنَا اسْمَهُ غَمَراً فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مِنّا مَوْضِعَ الغَلَطِ
فأصْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْناً بِنُقْطَتِها وطالَما ارْتَفَعَ التَّصْحِيفُ بالنُّقَطِ

في بَعْضِ تواريخ مصر أن الملك الظاهر[7] عين أربعة قضاة لكل مذهب قاضياً؛ فنظم البوصيريُّ هذه الأبيات: [الطويل]

---

(١) لطائف المِنن: ٢/ ٢٦.
(٢) المهجة: الروح، أو بقية الروح، أو الدم.
(٣) الرسيس: ابتداء الحمّى.
(٤) السُّرى: السير عامة الليل.
(٥) شاذِلة ومَرسية: مدينتان بالأندلس.
(٦) فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٤.
(٧) هو الملك السلطان الظاهر بيبرس، تسلطن سنة ٦٥٨هـ. وكان جعل قاضياً لكل من المذاهب الأربعة: الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، وذلك سنة ٦٦٣هـ. النجوم الزاهرة: ٧/ ١٠٩ هـ.

الدين واحد

غَداجَامعُ ابنِ العاصِ كهفَ أئِمَّةٍ — فَلِلهِ كَهْفٌ لِلأئِمَّةِ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَّنَا أنَّ القُضاةَ ثَلاثَةٌ — وأنكَ تَاجَ الدِّينِ لِلقَوْمِ رَابِعُ
بِهِمْ بِنْيَةُ الإِسْلامِ صَحَّتْ وكيف لا — تَصِحُّ وهُمْ أرْكَانُها والطَّبائِعُ
فَهُمْ رُخَصاً أبْدَوا لنا وعَزائماً — هُدِينا بِها فَهْيَ النُّجومُ الطَّوالِعُ
فَلا تَبْتَئِسْ إنْ وَسَّعَ اللهُ في الهُدَى — مَذاهِبَنا بالعِلْمِ واللهُ واسِعُ
تَفَرَّقَتِ الآراءُ والدِّينُ واحِدٌ — وكُلٌّ إلى رأيٍ مِنَ الحَقِّ راجِعٌ
فَهذا اخْتِلافٌ جَرَّ لِلْخَلْقِ راحَةً — كما اخْتَلَفَتْ في الرَّاحَتَيْنِ الأصابعُ

وقال[1]: [الوافر]

فداؤك

فِدَاؤُكَ مَنْ إذا رُمْتَ امْتِناناً — عَلَيَّ لَهُ أبَى إلّا امْتِنَاعا
فَلا عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ تُجازَى — ولا لِي عِنْدَهُ ذِمَمٌ تُراعَى
أُباسِطُهُ وأحْذَرُهُ كأنِّي — أُمارِسُ مِنْ خَلائِقِهِ السِّباعا
فلا أنا آمِنٌ مِنْهُ ضِراراً — ولا هُوَ آمِلٌ مِنِّي انْتِفاعا
فَلَسْتُ أوَدُّهُ إلّا رِياءً — ولَيْسَ يَوَدُّنِي إلّا خِداعا
أضَعْتُ حُقُوقَهُ وأضاعَ حَقِّي — فيالَكِ صُحْبَةً ذَهَبَتْ ضَياعا

قافية الفاء

قال للقاضي عماد الدين، يحرضه على كنافة: [الخفيف]

حديث خُرافة

ما أكَلْنا في ذا الصِّيامِ كُنافَهْ — آهِ وابُعْدَها علينا مسافَهْ
قالَ قَوْمٌ إنَّ العِمادَ كَرِيمٌ — قُلْتُ هذا عِندي حَدِيثُ خُرافَهْ
أنا ضَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مُتُّ جوعاً — لَيتَ شِعْرِي لِمْ لا تُعَدُّ الضِّيافَهْ
وهُوَ إنْ يُطْعِمِ الطَّعامَ فما يُطْعِمُهُ — إلّا بِسُمْعَةٍ أوْ مَخافَهْ

(١) الفاضل من إنشاء الفاضل، الورقة الأولى.

وهُوَ في الحَرِّ والخَرِيفِ وَفي الـ بَيْتِ يَجْمَعُ الحُطَامَ كالجَرَّافَهْ
فاعْلَمُوهُ عَنِّي وَلا تَغْتَبُونِي إنَّ عِنْدِيَ في الصَّوْمِ بعضَ الجِرافَهْ
فَهْوَ إنْ لَمْ يُخْرِجْ قليلاً إلى الحا نِطِ في لَيْلَتِي طَلَعَتْ القَرافَهْ[1]

ولما أحضر الجناب السابقي شيوخ صَنْعاء وخَلق نصف لحية كل منهم، وعزم على أن يخلصهم، دخلوا عليه فكتب له هذه الأبيات: [الرمل]

ذقون حُلقت

أَخْبَرُونِي غَضْبَةً وصَلَفَا أنكم رُحْتُمُ إليهِ مَرْصَفا[2]
ثُمَّ قالوا عَنْ ذُقُونٍ حُلِقَتْ قُلْتُ لا بُدَّ لها أن تُحْلَقا
إنَّ حَلْقَ الذَّقْنِ خيرٌ لِلْفَتَى يا بَنِي الأَعْمامِ مِنْ أنْ تُنْتَفا
وَالذي حَلَقَ أنصافَ اللُّحى كانَ فِي الأَحكامِ عَدْلاً مُنْصِفا
حَلْقُ النِّصْفِ بِذَنْبٍ حاضِرٍ وَعَفا بالنصفِ عَمَّا سَلَفا

قافية الكاف

ولما مات الصاحب فخر الدين، ولد الصاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا في المحرم سنة ٦٧٢ وأنزل في لحده، قام البوصيري وأنشد:[3] [الخفيف]

نَم هنيئاً

نَمْ هَنِيئاً مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بِجَمِيلٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْكا
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى غَلَبَتْنا يَدُ المَنُونِ عَلَيْكا
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الحَياةِ إلَيْنا أَحْسَنَ اللهُ فهي المماتِ إلَيْكا

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير ممن حضر.

---

(١) القرافة، أي: المقبرة.
(٢) الصَّلَف: الادعاء والتكبُّر.
(٣) خطط المقريزي: ٢/ ٢٩٩.

وفي كتاب السلوك للمقريزي ما نصه:[1]

واتفق أيضاً أن الشيخ شرف الدين البوصيري رأى في منامه قبل أن يخرج الأشرف[2] إلى عكا قائلاً ينشده: [مخلع البسيط]

استعادة عكا

قَدْ أَخَذَ المُسْلِمونَ عَكَّا وَأَشْبَعوا الكافِرينَ صَكَّا
وساقَ سُلْطانُنا إِلَيْهِمْ خَيْلاً تَدُكُّ الجِبالَ دَكَّا
وَأَقْسَمَ التُّرْكُ مُنْذُ سارَتْ لا تَرَكوا لِلْفِرَنْجِ مُلْكا

قافية اللام

قال هذه القصيدة، وسماها «المخرَج والمردود، على النصارى واليهود» [الكامل]

نبوّة المسيح

جاءَ المَسيحُ مِنَ الإلٰهِ رَسولا فَأَبى أَقَلُّ العالَمينَ عُقولا
قَوْمٌ رَأَوْا بَشَراً كَريماً فادَّعَوْا مِنْ جَهْلِهِمْ للهِ فيهِ حُلولا
وعِصابَةٌ ما صَدَّقَتْهُ وَأَكْثَرَتْ بالإِفْكِ والبُهْتانِ فيهِ القِيلا[3]
لَمْ يَأْتِ فيهِ مُفْرِطٌ ومُفَرِّطٌ بالحَقِّ تَجْريحاً وَلا تَعْديلا
فكَأَنَّما جاءَ المَسيحُ إِلَيْهِمُ لِيُكَذِّبوا التَّوْراةَ والإِنْجيلا
فاعْجَبْ لأُمَّتِهِ التي قَدْ صَيَّرَتْ تَنْزيهَها الإِلٰهَها التَّنْكيلا
وإِذا أَرادَ اللهُ فِتْنَةَ مَعْشَرٍ وَأَضَلَّهُمْ رَأَوُا القَبيحَ جَميلا
هُمْ بَجَّلوهُ بِباطِلٍ فابْتَزَّهُ أَعْداؤُهُ بالباطِلِ التَّبْجيلا
وتَقَطَّعوا أَمْرَ العَقائِدِ بينهم زُمَراً أَلَمْ تَرَ عِقْدَها مَحْلولا
هُوَ آدَمٌ في الفَضْلِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ حالَ النَّفْخَةِ التَّكْميلا

* * *

(١) خطط المقريزي: ٢/ ٢٩٩.
(٢) الأشرف: هو السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون، تولى السلطنة ٦٨٩هـ، وقتل سنة ٦٩٣هـ.
(٣) الإفك والبهتان: الكذب.

قال الناظم:

لما رأيت كتبَ النصارى واليهود الآن مشحونةً بما ينكرونه من بعثِ النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها القول بخلاف ما يدعون من ألوهية المسيح، ومن صَلْبه، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود، وما لا يخفى، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سَهلُ نظمه من ذلك، وأردت أن أُورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها. فمن ذلك:

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذي رَضوا إظهاره باللغة العربية، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل. قوله في إنجيل لوقا: أنه لم يقتل أحد من الأنبياء في وطنه، فكيف يقتلونني؟! قوله حين خرج من السامرية: الحق بجلجال، إنه لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه. فهذا دليل على أنه ما جعل نفسه إلا نبياً. وكقوله في إنجيل مرقص[1]: إن رجلاً أقبل عليه وقال: أيها المعلم الصالح، أيَّ خير أعمل لأنال الحياة الدائمة؟ فقال له المسيح: لم قلت لي صالحاً؟ إنما الصالح الله وحده. وفي إنجيل يوحنا: أن اليهود لما أرادوا القبض عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء، وقال:[2] «قد دنا الوقت يا إلهي! فشرفني لديك، واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل ما تملكني الحياة الدائمة، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحداً. وبالمسيح الذي بعثت، فقد عظمتك على أهل الأرض، واحتملت ما أمرتني به» فشرِّفني لديك. وكفى بذلك تذللاً لله وعبودية، وسؤالاً و[...]ترافاً، وائتماراً بأمر الله سبحانه وتعالى. وكقوله لتلاميذه: لا تنسَوا أباكم في الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده. وفي إنجيل لوقا[3] حين أحيا الميت بباب مدينة، قام حين أشفق لأمه، لشدة حزنها عليه، فقال الناس: إن هذا نبي عظيم. وإن الله يفيدك منه، فلو كان المسيح ادَّعى أنه إله، لما قيل عنه خلاف ما ادعاه في معرض الشكر والتصديق. وكقوله في إنجيل يُوحنا: لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئاً، لكنني أجيبكم بما أسمع، لأني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني؛ وكقوله في إنجيل يوحنا أيضاً لليهود: قد عرفتموني وموضعي، ولم آت من ذاتي، ولكني بعثني بالحق وأنتم تجهلونه؛ فإن قلت إني أجهله، كنت كاذباً مثلكم.

---

(١) إنجيل مرقص إصحاح ١٠.

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١٧.

(٣) إنجيل لوقا إصحاح ٧.

وأنا أعلم أنني نبيه، وأنه بعثني. وكقوله لليهود: إن كنتم بني إسرائيل، فاقتفوا أثره، ولا تريدوا قتلي، على أنني رجل أديت لكم الحق الذي سمعته من الله تعالى، غير أنكم تقفُون آثار آبائكم. وقال: لو أن أباكم الله، لحفظتموني، لأني رسول منه خرجت مقبلاً، ولم أُقبِل من ذاتي، ولكن هو بعثني إليكم، لكنكم لا تقبلون وصيتي. وفي الإنجيل أنه كان يوماً يمشي في أسطوان سليمان، فأحاطت به اليهود، وقالوا له: إلى متى تُخفي أمرَك؟ فإن كنت المسيح الذي يُنتظر كما علمنا بذلك، ولم يقولوا: إن كنتَ الله ولا الربَّ. وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه، فبعثوا إليه الأعوان، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم، فقالوا لهم، لم تأخذوه؟ فقالوا: ما سمعنا آدمياً أنصف منه. فقالت اليهود: وأنتم أيضاً مخدوعون. أترون أنه آمن به أحد من القواد، ومن رؤساء أهل الكتاب؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب. فقال لهم يودنس القَسّ: أترون أنّ كتابَكم يحكم على أحد قبل أن يُسْمَع منه؟ فقالوا له: اكشف الكتابَ ترى أنه لا يجيء من جَلجال نبيٌ قط؛ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول، لما قالت الأعوان: ما سمعنا آدمياً أنصفَ منه، ولا قالت اليهود: إنه لا يجيء من جلجال نبيّ قط، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتي ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرِّب إلى الله تعالى قُرْبانا، لأنه لم يعرف الله ولا أنا. وفي رسائل بولُس: يسوعُ المؤتمنُ عند من خلَقَه. وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح: إنك ستعقلين جبلا، وتلدين ابنا، ويدعى اسمه يَسوع: هذا يكون عظيماً، ومعظَّماً لربه الإله، كرسيّ داود أبيه، وقال بولس الرسول: عندهم إله سيدنا يسوعَ المسيح، يعطيكم روح الحكم والبيان. وقال أناشدُك الله سيدنا يسوعَ المسيح، والملائكة المصطفين: وقوله إن هذا الرسول عظيم، اختار إيماننا يسوع الذي صنعهُ مثل موسى وكقوله كما زعموا: إلهي إلهي، لماذا تركتني، وقوله يستطاع أن تقرَّ عيني هذه الساعة. وكقوله: الآن كل شيء بقدرتك، أجْرِعْنِي هذا الكأس الذي ليس كإرادتي يكون، بل كما تريد أنت. وكقوله: جرعت نفسي الآن، فماذا أقول يارباه، فسلمني من هذا الوقت. وقوله وقد سئل عن الساعة: إنما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا تَعْلَمُها الملائكة ولا الأمم، إلا الله وحده. وقوله لتلاميذه: آمنوا بالله، وآمنوا بي. وكقوله للذي سأله ماذا أصنع لأعملَ أعمال الله تعالى؟ هذا هو عمل الله: أن يؤمنوا بمن أرسله. وفي زبور داود عليه السلام خطاباً من الله: «إنه سيولد لك ولد أُدْعَى له أبا، ويدعى لي ابناً: فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة، كي يعلم الناسُ أنه بَشرَ».

المفهوم من ذلك أن الله أطلَعَ داود على من سيدعى بالمسيح، فقال: «اللهم ابعث

جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر» وأن دعوى الربوبية له ما كان إلا بعد رفعه وموت حوارييه بنحو من ثلاث مئة سنة، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قول المسيح في الإنجيل: «اللهم ابعث البارقليط، ليعلم الناس أن الناس بشر».

وفي الزبور: سَلْني لأعطيك الشعوب ترعاهم» وقول بولس: «فالله واحد هو، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوعُ المسيح» وقوله: وليعف بعضكم عن بعض، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح» عليه الصلاة والسلام.

* * *

أسَمِعْتُمُ أنَّ الإلَهَ لِحَاجَةٍ … يَتَنَاوَلُ المَشْرُوبَ وَالمَأْكُولا
وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ … وَيَرُومُ مِنْ حَرِّ الهَجِيرِ مَقِيلا[1]
وَيَمَسُّهُ الألَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ … صَرْفاً لَهُ عَنْهُ ولا تَحْوِيلا
يالَيتَ شِعْرِي حِينَ ماتَ بِزَعْمِهِمْ … مَنْ كانَ بالتَّدْبِيرِ عنه كَفِيلا
هَلْ كانَ هَذا الكَوْنُ دَبَّرَ نَفْسَهُ … مِنْ بَعْدِهِ أمْ آثَرَ التَّعْطِيلا
اجزُوا اليَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيراً ولا … تُخزُوا يَهُوذَا الآخِذَ البِرْطِيلا[2]
زَعَمُوا الإلَهَ فَدَى العَبِيدَ بِنَفْسِهِ … وأراهُ كانَ القاتِلَ المَقْتُولا
أيَكونُ قَوْمٌ في الجَحِيمِ ويَصْطَفِي … منهم كَلِيماً رَبُّنا وخَلِيلا[3]
وإذا فَرَضْتُمْ أنَّ عِيسى رَبُّكُمْ … أفَلَمْ يَكُنْ لِفِدائِكُمْ مَبْذُولا
وأجَلُّ رُوحاً قامَتِ المَوْتَى بِهِ … عَنْ أنْ يُرَى بِيَدِ اليَهودِ قَتِيلا
فَدَعُوا حدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ … مِنْ كُتْبِكُمْ ما وافَقَ التَّنْزِيلا
شَهِدَ الزَّبُورُ بِحِفْظِهِ ونَجاتِهِ … أفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَدْخُولا
أيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الإلَهُ مُضَيَّعاً … أوْ مَنْ أشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولا؟
أيَجُوزُ قَوْلُ مُنَزِّهٍ لإلَهِهِ … سبحانَ قاتِلِ نَفْسِهِ فأقُولا؟

* * *

---

(١) الهجير: نصف النهار عند زوال الشمس.

(٢) البرطيل: الرشوة.

(٣) الكليم: يعني موسى عليه السلام.

[قال الناظم]:

في زبور داود عليه السلام: «إن الله تعالى نجى مسيحَه واستجاب له من سماء قُدسه» وكذلك قوله «إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك» فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصلب والقتل، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به، ولا رواية صحيحة، أن المسيح صلب، فإن أحداً ما حضره من أصحابه عندما أخذ شبهه، ولا كانت اليهود يعرفونه، وإنما دلهم عليه رجل يقال له يهوذا، ويسمونه يودنس الأسخريوطي، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد.

* * *

أوْ جَلَّ مَنْ جَعَلَ اليَهُودُ بِزَعْمِكُمْ ... شَوْكَ القَتَادِ لِرَأْسِهِ إكْلِيلا

ومَضَى بِحَمْلِ صَلِيبِهِ مُسْتَسْلِماً ... لِلْمَوتِ مَكْتُوفَ اليَدَيْنِ ذَلِيلا

كَمْ ذا أُبَكِّتُكُمْ ولَمْ تَسْتَنْكِفُوا ... أنْ تَسْمَعُوا التَّبْكِيتَ والتَّخْجِيلا[1]

ضَلَّ النصارَى في المَسيحِ وَأقْسَمُوا ... لا يَهْتَدُونَ إلَى الرَّشَادِ سَبِيلا

جَعَلُوا الثَّلاثَةَ واحِداً ولَوِ اهْتَدُوا ... لَمْ يَجْعَلُوا العَدَدَ الكَثيرَ قليلا

عَبَدُوا إلَهاً مِنْ إلَهٍ كائِناً ... ذَا صُورَةٍ ضَلُّوا بِهَا وهَيُولَى[2]

* * *

[قال الناظم]:

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهماً، ثم بدا له، وردَّ الدراهم وندم، وأن اليهود جاءوا إلى المكان الذي فيه المسيح فخرج إليهم رجل، فقالوا له: أنت يسوع، فقال: نعم. فأخذوه ومضوا، وكانوا يستفهمونه ويقولون: أنت هو المسيح؟ فيقول: أنتم تقولون، فمضوا به يوم الجمعة، وقالت النصارى: إنه صلب في يوم... في الساعة التاسعة، وقالت اليهود: إنه أقام عندهم محبوساً أربعين يوماً وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو، ويظهر لهم آية فلم يجبهم إلى ما سألوه، لا في حال أخذه ولا في حال صلبه، وقالت النصارى إن يودنس الذي دل عليه اليهود خنق نفسه ندماً، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه

---

(١) التبكيت: الغَلبة بالحجة.

(٢) الهيولى: القُطن، وشبّه الأوائل طينةَ العالم به.

من جملة بني آدم وبنيه، فإنهم كانوا بزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم في الجحيم، نبيهم ورسولهم، ومؤمنهم وكافرهم، وإنه أخرج الجميع وخلصهم. وصلبه، نما من اليهود من عرف المسيح، ولا من أصحابه من حضره حياً ولا ميتاً على زعمهم، وصدقوا فيه قول واحد مرتد، ثم إنه عدم فقالوا خنق نفسه، وتأولوا. وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذي دل عليه بذنبه وبكفره. والله أعلم.

* * *

ضلَّ النَّصارَى واليَهودُ فلاتَكُنْ ... بِهِم عَلَى سُبُلِ الهُدَى مَذْلُولا
والمُدَّعُو التَّثْلِيثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا ... ماخالفَ المنقولَ والمَعْقولا
والعابِدُونَ العِجْلَ قدفُتِنوابه ... ودُّوا اتِّخاذَ المُرْسَلِينَ عُجُولا
فإذاأتَتْ بُشْرَى إليهِمْ كَذَّبوا ... بِهَوَى النُّفُوسِ وقَتَّلُوا تَقْتِيلا
وَكَفَى اليهودَ بأنهم قدمَثَّلُوا ... مَعْبُودَهُم بِعِبَادِةٍ تَمْثِيلا
وبأنَّ إسرائيلَ صارعَ رَبَّهُ ... ورَمَى بِهِ شُكراً لإسرائيلا
وبأنَّهم رحَلُوا بِهِ في قُبَّةٍ ... إذْأزْمَعُوا نَحْوَ الشامِ رَحِيلا

* * *

[قال الناظم]:

أي شبه كان، والله أصدق القائلين بقوله. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وما أخرج أمره عن ذلك. وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية وم ، أم يعقوب، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلاً قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال، وأخبارهم في ذلك وفي عقائدهم مثل ذلك. هذه الأخبار كلها هَذَيانية.

(١) وفي التوراة ما يدل على التبديل: أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح.

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب، فضرب به يعقوب.

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا، ينزل فيها في سيره معهم. ثم أن موسى قال: يا رب إن هذه الأمة القاسية رقابها لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى: نعم اعملوا لي قبة، وعمل موسى القبة، وسماها قبة

العهد، ونزل فيها من عرشه، وسار معهم في داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم. هذا نص ما ترجموه من التوراة وتتمة الحديث ما معناه أنهم حملوا أموالاً إلى موسى عليه السلام، وتولى إنفاقها على القبة، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل، فاتهموا موسى حتى سمعوا صوتاً من الهواء يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمد.

* * *

وبِأنهمْ سَمِعُوا كلامَ إلٰهِهِمْ ... وسَبِيلُهُمْ أنْ يَسْمَعُوا المَنْقُولا
وبأنهم ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ ... في الحَرْبِ بوقاتٍ لَهُ وَطُبُولا
وبأنَّ رَبَّ العالَمينَ بدا لَهُ ... في خَلْقِ آدَمَ يالَهُ تَجْهِيلا
وبدا لَهُ في قَوْمِ نوحٍ وانْثَنى ... أسَفاً يَعَضُّ بنانَهُ مَذْهُولا

* * *

[قال الناظم]:

(١) وفيها أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة، كما سمعه موسى، فأيّ فضيلة لموسى عليهم بذلك؟

(٢) ومما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلاً قليلاً، حتى يلقوا عدوهم فحينئذ يضربون به بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى، فيؤيدهم على عدوهم. كأن الله تعالى وتقدس وتنزه؛ إنسان، سبحانه وتعالى عن قولهم.

(٣ و٤) ومما ترجموه فيها: أن الله تعالى ندم على خلق آدم، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة، فيكون إلٰهاً مثله، ولذلك أخرجه من الجنة. وفيها: «ورأى أن كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم، فقال: سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشائش وطير السماء، لأني نادم على خلقهم جداً» وفيما ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا في الباري سبحانه وتعالى، وأشد استحالة.

* * *

وَبأنَّ إبراهيمَ حاولَ أكْلَهُ ... خُبْزاً وَرامَ لِرِجْلِهِ تَغْسِيلا
وبأنَّ أموالَ الطَّوائِفِ حُلِّلَتْ ... لَهُمُ رِباً وخِيانَةً وَغُلولا

* * *

[قال الناظم]:

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوماً قاعدًا عند باب فسطاط الله تعالى، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة، فخر إليهم ساجداً، وقال: يا هذا إن كنت راضياً عني فلا يحلف عندك حتى أسوق ما تغسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم، وبعد هذا تذهبون. زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد، علماً بأنه الله سبحانه وتعالى، وجوّزوا على إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزاً، ليقوي بها قلبه، ويغسل رجليه، تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً. وجعلت النصارى ذلك دليلاً على أن الثلاثة واحد، وهم الذين ذكرهم في القرآن بقوله تعالى وتقدس **﴿هل أتاكَ حديثُ ضيفِ إبراهيم المكرمين﴾**[(١)].

(٢) اليهود تزعم أن موسى عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزائنهم من أهل مصر على سبيل الفدية، ثم قال لهم: يقول لكم اهربوا بها ففعلوا، وقالوا: هي أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامة، إنما أجرتهم على فرعون الذي استخدمهم. وفي التوراة: «فلا تَزْن لأجل أن يباركك الرب إلٰهك». وفيها «لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه» فتأولوا إخاء اليهود خاصة دون سائر بني آدم، وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك فقال: **﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾**[(٢)] ومن أقوالهم: «احفظ سَبيك، واصنع ما شئت».

* * *

وبأنهم لم يَخرجُوا مِن أرْضِهِمْ ... فكأنهم حسِبُوا الخُرُوجَ دُخُولا

وحَدِيثُهُمْ في الأنبياء فلا تَسَلْ ... عنه وخَلِّ غِطاءَهُ مَسْدُولا

لَمْ يَنتَهُوا عَنْ قَذْفِ دَاوُدَ ولا ... لوطٍ فكيفَ بِقَذْفِهِمْ رُوبِيلا

وَعَزَوْا إلى يَعْقُوبَ مِنْ أوْلادِهِ ... ذِكْراً مِنَ الفِعْلِ القَبيحِ مَهولا

وإلى المَسيحِ وأُمِّهِ وكَفى بها ... صِدِّيقَةً حَمَلَتْ بهِ وبَتولا

ولِمَنْ تَعَلَّقَ بالصَّليبِ بزَعْمِهِم ... لَعْنًا يَعُودُ عليهِمُ مكفولا

* * *

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٧٥.

[قال الناظم]:

(١) وفيها أن بني إسرائيل يمكثون في الأرض المقدسة إلى الانقراض، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه.

(٢) ترجموا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التنويه به، وذلك مما يدل على كذبهم، فإن الله تعالى حيٌّ كريم، عصم أنبياءه، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على ممر الأزمان، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.

(٣) ومما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة «ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب» تمهيداً لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به، وكذلك النصارى نسبوا إلى كتاب عاموص النبي: إذا سمر في ثلاثة أعواد، سر في الأرض. فقال صهيون عبد لبدران الناموسي، ونصب عليها علم الخلائق، حينئذ يتلف بني إسرائيل بالخزي والجوع. وكلام النصارى في ذلك ضد كلام اليهود، وكلاهما باطل في حديث الصلب الذي ضلوا فيه بالشبه.

* * *

وَجَنَوا عَلَى هارونَ بالعِجْلِ الذي ... نَسَبُوا لَهُ تَصْوِيرَهُ تَضْلِيلا

وَبأنَّ موسى صَوَّرَ الصُّوَرَ التي ... ما حَلَّ منها نَهْيُهُ مَعْقولا

ورَضُوا لَهُ غَضَبَ الإلٰهِ فلا عَدا ... غَضَبُ الإلٰهِ عَدُوَّهُ الضِّلِّيلا

وبأنَّ سِحْراً ما استطاعَ لآيَةٍ ... منه وَلا استطاعتْ لَهُ تَبْطِيلا

وبأنَّ ما أبْدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ ... أبْدَوْا إليه مِثْلَها تَخْييلا

إلاَّ البَعُوضَ ولا يَزالُ مُعانِداً ... لإلٰهِهِ بِبَعُوضَةٍ مَخْذُولا

* * *

[قال الناظم]:

(١) وفي التوراة: أن هارون صاغ لهم العجل الذي عبدوه، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى، ففعلوا واتخذوا له عيداً، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتسابقون، فانظر هذا القول الذي لا يجوز نسبته إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه. ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم في ذلك، قال: ما عندهم خلاف في أن ذلك في

التوراة منصوص، وإنما الحليّ الذي أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق عليه السلام عمل في طالع الثور وعليه صورة الثور، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل. فانظر هذه الأقاويل، ما أضل قائلها!

(٢) وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ، أجنحتها مبسوطة، ووجه كل منهما إلى الآخر، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمّى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى، ومن بينهما أنه أيضاً عمل صورة حية من نحاس.

(٣) معناه أن اللعنة والغضب في التوراة على من صوّر الصور، وقد نسبوا إلى موسى عملها. وفي التوراة أن الله غضب على موسى وهارون، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ثم تكرر ذلك في السفر الخامس، فقال موسى: وغضب الله علي أنا، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم.

وفيها أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى وأنهم ما قدروا أن يبطلوا شيئاً من آياته ولا أبطل شيئاً من سحرهم الذي جاءوا به، والله تعالى وتقدس قال: ﴿ما جئتم به السحرُ، إن الله سيبطلهُ﴾[1].

* * *

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشاً	خَتَمَتْ وَصِيَّتُهُ لَهُنَّ فُصُولا
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِيمِ اللهِ لَمْ	يَكُ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنْقُولا
وَأَظُنُّهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعُجِّلَتْ	لَهُمُ العُقُوبَةُ بِالخَنَا تَعْجِيلا
وَشَكَتْ رِجَالُهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا	وَنِسَاؤُهُمْ غَيْرَ البُعُولِ بُعُولا

* * *

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها، فقال عند آخرها: وإن كفرتَ وحدتَ عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية، يبتليك الله بدواهي مصر، ويضرب الجرب من جسدك الذي يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذي لا دواء له، وتتزوج زوجاً ويضاجعها غيرك. ولا خلاف أن بني إسرائيل

---

(١) سورة يونس آية ٨١.

عبدوا الآلهة، فإما أن يكون هذا القول باطلاً، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن، فإن الجرب والحكاك الذي لا دواء له وهو القطم، لأنه عين في مصدر الذيل من الجسد، وليس البواسير التي يولونها لأن البواسير مرض كالبَرَص والجُذَامِ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجعها غيره، فإن المقصود بذلك المعيرة في الموضعين، ولا معيرة في برص.

وتعالى الله عما يقولون، وتنزه في التوراة التي جعلها هدى ونوراً للإنسان كليم الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش.

* * *

لُعِنَ الذينَ رأوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ ... وَالمؤمِنِينَ بِهِ أضَلَّ سَبِيلا
أبْنَاءُ حَيَّاتٍ ألَمْ تَرَأنهمْ ... يَجِدُونَ دِرْيَاقَ السُّمُومِ قَتُولا
مُذْ فَارَقُوا العِجْلَ الذي فُتِنُوا بِهِ ... ودُوا اتِّخَاذَ الأنبياءِ عُجُولا
فإذَا أتَى بَشَرٌ إليهمْ كَذَّبُوا ... بِهَوَى النُّفُوسِ وقُتِّلُوا تَقْتِيلا
أخْلَوْا كِتَابَ اللهِ مِنْ أحكامِهِ ... عَدْوًا وكَانَ العَامِرَ المَأْهُولا
جعلوا الحَرَامَ بِهِ حَلالاً وَالهُدَى ... غَيًّا ومَوصُولَ التُّقَى مَفْصُولا
وَدَعَاهُمُ مَا ضَيَّعُوا مِنْ فَضْلِهِ ... أنْ يَمْلَئُوهُ مِنَ الكَلامِ فُضُولا
كَتَمُوا العِبَادَةَ والمعَادَ ومَارَعَوْا ... لِلْحَقِّ تَعْجِيلاً وَلا تَأجِيلا

* * *

[قال الناظم]:

اعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضُلاّل النصارى واليهود، بعد الحذف والاستدراك، والتحريف والتبديل، فالله تعالى يقول: ﴿يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتابِ ويعفو عن كثير﴾. وكفى بذلك. واليهود مقرّون أن سبعين كاهناً منهم اتفقوا على أن بدّلوا من التوراة ثلاثة عشرة حرفاً اعترفت اليهود بثلاثة حروف، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية. ومما يدل أيضاً على ذلك ما أذكره، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود، وذلك أن التوراة بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا، فيجزون كما زعموا على

الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول المكث في الأرض المقدسة، ويجزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم، والشقاء والتعب والقروح والحميات والجرب والبرقان وريح السموم؛ وتكون السماء عليهم مثل النحاس، والأرض مثل الحديد، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ويسفي عليهم التراب من السماء ويكونون يلتمسون الشيء نصف النهار كما يلتمسه الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر، ويهربون ويسبون، وتصيبهم عين سوء في ركبهم وفي سوقهم، ولا يكونون لهم شفاء. وليس في كتابهم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة صلاة معلومة، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو، كل هذا نص فيما يزعمون أنها التوراة، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل: أطلب إليك يا رب أن ترسل في هذه الرسالة غيري، فاشتد غضب الله تعالى على موسى عليه السلام وقال لله تعالى: ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فامحني من سفرك الذي كتبت: أي امحني من النبوة، وفيها أن بني إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب الآباء إلى ثلاثة خلوف، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذي بصيرة أن ذلك القول لا يأتي عن الله تعالى مثله وفي التوراة أن الله تعالى قال لموسى: «أنا هو الذي أدخل يدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج» وإذا أخرجها مبروصة فأي آية منها، إذ بياض البرص، موجود في الناس، والله أخبرنا في محكم كتابه العزيز أنه قال: ﴿وأدخل يدَكَ في جَيبِك تخرجْ بيضاءَ من غيرِ سوءٍ﴾[1].

وفي التوراة عن اللوحين، أنهما منقوشان بأصبغ، والله تعالى يقول: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكلّ شيء﴾[2] وفي التوراة أن إسحاق هو الذبيح، وإنما الذبيح إسماعيل، ودليل ذلك أن النحر والذبح بمنى موطن إسماعيل، فإن قرون الكبش كانت معلقة في الكعبة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فحرقت، وفي التوراة أن الحية أغوت حواء في أكل الشجرة، فقال لها الله تعالى: سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها، وترصدين أنت أبداً عقبها وترصد أبداً رأسك لتقطعه، إلى خبر كثير هو مثل خرافة. والله تعالى يقول:

(1) سورة النمل آية ١٢.

(2) سورة الاعراف آية ١٤٥.

﴿فوسوس لهما الشيطانُ ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما﴾[1]، وفي التوراة أيضاً عن نوح عليه السلام أنه رقد وأولاده أمامه فانكشفت عورته، فضحك ابنه حام من ذلك، فجاء ابنه سام وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه يمشي إلى وراء، حتى غطاها واستيقظ نوح عليه السلام ودعا على حام: سيسود لونك ويكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان. وفي التوراة أن سليمان بن داود عليه السلام ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام، ما يمنع من تسطيره والنطق به الحياء من الله سبحانه وتعالى، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

* * *

عَجَباً لَهُمْ والسَّبْتُ بَيْعٌ عِنْدَهُمْ ... لَمْ يَلْقَ منه المُشْتَرُون مَقِيلا[2]
هَلاَّ عَصَوْا في السَّبْتِ يُوشَعَ إذْ غَدا ... يَدْعُو جُنُوداً لِلْوَغَى وخُيُولا
أوْ خَالَفُوا هارُونَ في ذَبْحٍ وَفي ... عَجْنٍ لهُ لَمْ يُبْدِ عنهُ نُكُولا[3]
أوْ ألْحَقُوا بِهِمَا المَسِيحَ وَسَوَّغُوا التَّـ ... ـحريمَ في الحَالَيْنِ والتَّحْلِيلا
أوْ أثْبَتُوا النَّسْخَ الذي في كُتْبِهِمْ ... قدْ نُصَّ عَنْ شَعْيا وعَنْ يُوئيلا
أوَلَمْ يَرَوْا حُكْمَ العَتِيقَةِ نَاسِخاً ... أحكامَ كُتْبِ المُرْسَلِينَ الأُولى

[قال الناظم]:

وفي التوراة تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض، وفيه من التغليظ والتشديد ما لا يخفى. واليهود تقول: إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى ديناً يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة، وأمرهم بتضعيف المحاربة يوم السبت، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد المحاربة، فقال في نص التوراة: ويحيطون بالمدينة للقتال، ويتسوّرون عليها مرة واحدة ويصنعون ذلك في الستة أيام، ويحمل سبعة أيام أبواق، والشمع بين يدي الصندوق، وفي اليوم

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠.

(٢) مَقيل: من إقالة البيع أي فسخه.

(٣) النُّكول: الجبن.

السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق. وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيال سميد يعجن بالزيت، فاعجب لهذا التناقض: كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت، وأي نبيّ جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع، وقد أطاعوا شعيا وهارون فيما نهوا، وحللوا ما حرمت التوراة مع منعهم النسخ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت، وكفروا به، لأنهم أنكروا ما في الكتابين ولا وافقوا ما فيهما وكل من الثلاثة نبي.

***

أَفَيَأْنَفُ الكُفَّارُ أَنْ يَسْتَدْرِكُوا ... قَوْلاً عَلَى خَيْرِ الوَرَى مَنْحُولا[1]

لا دَرَّ دَرُّهُمُ فَإِنَّ كَلامَهُم ... يَذَرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمُعِي مَبْلُولا

فَكَأَنَّنِي أَلْقَيْتُ مُقْلَةَ فَاقِدٍ ... ثَكْلَى وَمُوجَعَةٍ تُصِيبُ عَوِيلا

ظَنُّوا بِرَبِّهِمُ الظُّنُونَ وَرُسْلِهِ ... وَرَمَوْا إِنَاثاً بِالأَذَى وَفُحُولا

إِنْ يَبْخَسُوهُ بِكَيْلِ زُورٍ حَقَّهُ ... فَلأُوسِعَنَّهُمُ الجَزَاءَ مَكِيلا

وَمِنَ الغَبِينَةِ أَنْ يُجَازَى إِفْكُهُم ... صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الكَلامِ شُكُولا[2]

***

[قال الناظم]:

وفي التوراة: أن ملك الله قال لهاجر: إني أكثر ولدك، ولا يحصى عددهم لكثرتهم، وقال لها: إنك حامل، وستلدين غلاماً، وتدعين اسمه إسماعيل، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك ويكون هو وحش الناس، يده على كل يد، ويد كل به، ويحلى على سهمي وإخوته كلهم. وفي نسخة هذا الكلام: ويكون عظيماً في الأمم، وفي نسخة: وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، فهذه بشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم إخوته، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع، ولا كانت يده على أيدهم، ولا يده على كل يد، ولا يد كل به، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفيين مطرودين، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق

---

(١) خير الورى: خير البشر والخلق، أي النبي محمد صلى الله عليه وسلم. منحول: منسوب، ونحَلَه القول: نسبه إليه.

(٢) الإفك: الكذب.

شيئاً، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده، ولم تزل الفترة والملك في ولد إسحاق، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له، وعلت يده وأيدي بني إسماعيل على كل يد، وصارت يد كل بهم، فكأن ذكر إسماعيل مقصود به ولده.

* * *

لَوْ يَصْدُقُونَ لَمَا أَتَتْ رُسُلٌ لَهُمْ ... أَتَرَى الطَّبِيبَ غَدَا يَزُورُ عَلِيلا

إنْ أَنْكَرُوا فَضْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا ... أَرْخَوْا عَلَى ضَوْءِ النَّهارِ سُدُولا

اللهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... وَكِتَابَهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلا

طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الهِدَايَةِ لِلْوَرَى ... وَأَبَى لَهَا وَصْفُ الكَمَالِ أُفُولا

والحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَتِهِ التِي ... جَمَعَتْ فُرُوعاً لِلْوَرَى وَأُصُولا

لا تَذْكُروا الكُتُبَ السَّوالِفَ عِنْدَهُ ... طَلَعَ النَّهارُ فأَطْفِئُوا القِنْدِيلا

دَرَسَتْ مَعالِمُها ألا فاسْتَخْبِرُوا ... مِنْها رُسُوماً قَدْ عَفَتْ وطُلُولا

تُخْبِرْكُمُ التَّوْراةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ ... قِدْماً بِأَحْمَدَ أَمْ بِإِسْماعِيلا

ودَعَتْهُ وَحْشَ النَّاسِ كُلٌّ نَدِيَّةٍ ... وَعَلَى الجَمِيعِ لَهُ الأَيادِي الطُّولَى

تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطالَما ... صَدَقَ الحَبِيبُ هَوَى المُحِبِّ نُحولا

مَنْ مِثْلُ مُوسَى قَدْ أُقِيمَ لأَهْلِهِ ... مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِواهُ رَسُولا

أوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بَنُو العِيصِ الذي ... نُقِلَتْ بَكارَتُهُ لإِسْرائِيلا

تاللهِ ما كانَ المُرادُ بِهِ فَتَى ... مُوسَى ولا عِيسَى وَلا شَمْوِيلا

إذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ ... مِنْهُمْ ولَوْ كانَ النَّبِيُّ مَثِيلا

طُوبَى لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ ... ولِسامِعٍ مِنْ فَضْلِهِ ما قِيلا

وَجِبالُ فارانَ الرَّواسِي إِنَّها ... نالَتْ عَلَى الدُّنْيا بِهِ التَّفْضِيلا(١)

* * *

[قال الناظم]:

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب، والمقصود به ولد يعقوب، فمن ذلك قوله في السفر الخامس: «يا إسرائيل، لأن تخشى الله ربَّك، وتسلك في سبيله،

---

(١) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي اسم لجبال مكة.

ونعمل له» فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم، وذلك قوله في السفر الخامس: فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسي الله الذي خلقه، وأسخط السيد الذي خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين، وذلك قوله لقوم موسى: «اسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل يحسن إليك ربك ويكرم وينعم» وفي التوراة يقول لإبراهيم: وفي إسماعيل «قد سمعتك وباركته وكرمته جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأعطيه شعباً جليلاً، وفي نسخة أخرى «وإسماعيل قد سمعت دعاءك فيه، وباركت عليه، وعظمته جداً جداً» وفي نسخة «طيبًا طيبًا» وقل حمداً حمداً، وسيلد اثني عشر عظيما، وأجعله لأمة عظيمة» فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة، لكن الأمة العظيمة لولده محمد ﷺ.

وفي التوراة: «فدعا مَلَكُ الله هاجرَ وقال لها: مالكِ يا هاجر! لا تخشي فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام وشدي يديك به، فإنني جاعلة لأمة عظيمة» وفي التوراة: «هذه بركة موسى التي بارك بني إسرائيل قبل وفاته قال: جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه» وفي نسخة: «تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران» فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد ﷺ. فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بمناجاته، وساعير جبل الشام، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة، وهي البلدة التي ولد فيها، وفاران مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب وفيها أقبل السيد من سيناء، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين، ومعه كتاب باري وهو جيم الأجناس و[illegible]ع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله. وفي السفر الخامس من التوراة، قال الله لموسى بن عمران: إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي عليّ فيه، فمن عصاه انتقمت منه. وفي نسخة: والله ربك يقيم نبيًا من إخوتك فاسمع له كالذي سألت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت، فقال الله لي: نعم قالوا، وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كلَّ شيء أمرته، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه. فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله في آخر التوراة: لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى. وفي نسخة: لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى. وفي نسخة أخرى: مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً. وانظر إلى من هم إخوة إسرائيل، فلا محالة أنهم العرب والروم. فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا

يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب فهو محمد ﷺ. وقد قال الله سبحانه وتعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب، إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته. فكنى عن بني إسماعيل بإخوة إسماعيل، كما كنى عن العرب بإخوة بني إسرائيل في قوله: سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك، ولم يكن يوشع كفؤا لموسى، بل كان خادماً له في حياته، مؤكدا لدعوته بعد وفاته، ولكن كفؤ موسى محمد ﷺ فإنه مماثل في نصب الدعوة، والتحدي بالمعجزات، وشرع الأحكام، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة. وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد ﷺ: معناه أوحي إليه من غير ألواح ولا صحف، لأنه أمي لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيمينه.

***

واستَخبِرُوا الإنجيلَ عنه وحاذِرُوا ... مِنْ لَفْظِهِ التَّحريفَ والتَّبدِيلا

***

[قال الناظم]:

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل، وفساد عقائد النصارى، أن الحواريين لما توفوا، وتفرق شمل النصارى، واختلفت أقوالهم، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة، وقيل مئتين وثلاثاً وثلاثين سنة، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلكهم، ويؤلف متفرقهم. فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، ويؤيد بجيشهم في نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم خبراً عن رجل كان منهم، همّ أن ينسخ حكمة التوراة، ويتفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو في نفر ممن تبعه، وظفروا بواحد منهم، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه، إلا أن فقدهم إياه من حينئذ، فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى، وقد اختلفت دعاتها بعد المسيح بأربعين سنة، فاستخرج قسطنطين ما تبقى رسم الشريعة بأيديهم، وجمع عليه وزراءه، فأثبت ما شاء وما رآه، موافقاً لاختياره، كالقول بالصلوبية، ليتبعه قومه بطلب دم، والقول بترك الختان، لأنه شأن قومه، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر، فجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم

أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه، فيقول له بهذا الرسم تغلب، وتعرض عليه هيئة صليب، فأعظم ذلك العامة، وانفعلت لما سمعت منه. ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان كانت فيها روح كهانة، وكانت ذات جأش وقوة، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى، وقوي تصديق العامة لذلك، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلا، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئاً من أمره، وخرج بهم إلى عدوه، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم، ولجوا عليه فيه، فقال: إنه قد أوحي في نومي أنه كأنّ الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض، وصلبته اليهود، فهالهم ذلك كثيراً مع ما حصل عندهم من تصديقه، وعظم عليهم الخطب فيه، وانقادوا إلى قسطنطين انقيادًا حسناً، وصح له منهم ما أراد، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولي الشرائع، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية، لم يكن وجوده في العالم، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن يبذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود، نصلبته، وأن يضع الأحبار ذلك مسطوراً عند اليهود. ففعلت وألفت من أخباره شيئاً، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل، فبقيت النصارى على ذلك الإحداث في شريعتهم، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والصبيان، ومن لا يوثق به بدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح، فقالوا بالحلول. واختلفوا في تلك العقائد، وسوغوها بألفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك. وفي الإنجيل من تناقض الأقوال ما يدل على التبديل كثيراً؛ فمن ذلك قول المسيح: «أناالباب، فمن دخل عليّ يسلم ويجد فرجًا أبداً، فمن عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصاً وسراقاً، فقال آمين آمين، أقول لكم أني أنا باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً وسراقاً، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ويقتل، وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا أجرا»، وفي الإنجيل منه: «إني كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب» وكيف تكون شهادته حقاً وباطلاً، ومقبولة وغير مقبولة، وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب إلى الله تعالى. وفي الإنجيل أنه «حين استشعر بوقوف اليهود عليه بقلبكم، قال قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبتا؟ فسلمني من هذا الوقت» وأنه

حين رفع في الخشبة صاح صياحاً عظيماً «إلهي إلهي: لماذا تركتني؟» وفي موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك: «من أحب أن يقفو أثري فليذهب، فحرض على إتلاف النفوس، فكيف يجزع مما حرض عليه؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت، فلم يستجب له.

وفي الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف بن يعقوب بن أليعازر بن اليود بن أخيم، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً. ثم في إنجيل لوقا الحواري أنه ابن يوسف بن هالي بن لاوي بن ملحان بن ينابن بن حنان، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أباً، فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله؟ وفيه أنه كان يوماً نهاهم عن التجارة في بيت المقدس، وأن اليهود قالت له يومئذ: أي علامة تظهر لنا؟ قال: تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالت اليهود بيت بني في خمس وأربعين سنة، تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟ وفي موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم، وحمل إلى بلاد عامل قيصر، واسترعيت عليه البنية أن شاهدي زور جاءا وقالا: هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت في ثلاثة أيام، أجز لي كيف استخرتم أن تسموهما شاهدي زور، وقد شهد نص كتابكم أنه قال ذلك! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عنى عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه.

ومما هو نص في كتابكم، وأي تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود، من أن البيت المعني فيه بيت المقدس، إنما أراد جسمه، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام. ومن عجيب الأشياء انكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له، وذلك حين قال لهم عيسى: اهدموا هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا: بيت بني في خمس وأربعين سنة تبنيه في ثلاثة أيام! فقلتم في معنى ذلك إنها التربة التي صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض، وإن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم، وأكدتم التصديق بهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبي جاد، على خمسة وأربعين من العدد، وأعجب الأشياء من هذا، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين المسيح هذا المجلس. وفيه أن يحيى قال: «فيه أنه يكثر ولا ينقص» وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها. وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه: «اذهبا إلى الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتماه فتجدان فلواً مربوطاً لم يركبه أحد، فحلاه

وأقبلا به إليَّ» وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة، وكفى بذلك شكاً. وفيه للوقا بخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ، وقالوا هلا تصدقت به، وفيه لمتى: أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف! وفيه أن أم ابني سيدة جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها، فقال: ما تريدين؟ فقالت: أريد أن تجلس ولدي: أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكك، فقال: تجهلين السؤال، أيصبران على الكأس التي أشربها، فقالا: نصبر، فقال: سيشربان بكأسي، وليس إلى تجليسكما عن يميني وعن شمالي إلا بمن وهب ذلك إلي، فها هو ذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء. ومن تناقض إنجيلكم أنه قال: لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض. لم آت بصلاحكم لكن لألقي المحاربة بينكم، إنما قدمت لأفرق بين المرء وأبيه والبنت وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته. وفيه عنه أنه قال: لم آت لأنقضَ شريعةَ مَن قبلي إنما جئت لأتمم. ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله: أما علمتم أنه قيل للقدماء لا تقتلوا، ومن قتل استوجب القتل، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم. أما علمتم ما قد قيل للقدماء: من فارق امرأته فليكتب لها كتاباً بطلاق، وأنا أقول لكم من فارق امرأته منكم فقد جعل لها سبيلا إلى الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق، وقوله: أما بلغكم أنه قد قيل للقدماء: العين بالعين، والسن بالسن، وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحداً بسيئة؟ ولكن من لَطَم خدك الأيمن فانصب له الأيسر، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداءك، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها، ومن سأل شيئاً فأعطه، ومن استسلفك شيئاً فأَسلفه. وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره: طوبى لك يا شمعون بن الحمامة وأنا أقول لك إنك الحجر، وعلى هذا أبتني بيعتي، وكلما أحللته على الأرض يكون محلولا من السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء. ثم فيه بعد أحرف يسيرة: يقول له بعينه: اذهب عني يا شيطان، ولا تعارض فإنك جاهل، فكيف شيطان يطيعه صاحب السماء؟ وفيه أيضاً أنه لم تلد النساء مثل يحيى، هذا في إنجيل متى. ثم في إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره، فسألوه: أهو المسيح؟ قال: لا، فقالوا: أنت نبي؟ قال: لا، قالوا: أخبرنا من أنت؟ قال: صوت كلام مناد في المغار، إلى كلام كثير ينفي عن نفسه كونه نبياً، ولا يجوز لنبي أن

ينكر نبوته في هذا الكلام. وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لا يصلح أن يحل شراك نعله، وسماه خروف الله، وأنتم تقولون هو الله، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذي بأيديكم أنه لا نبي بعده. وفيه أيضاً من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء في قوله لليهود: وسابعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون في حماتكم وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى، وفي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء، منهم ياربنا وشمعون ولوقيوس ومانالي، وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس، وتكلم أحدهم وكان يسمى أنحيانوس، وقال إنه يكون في البلاد فجاجة وقحط شديد، وفيها أن جرجيس الذي كان من بعده وبعث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين، وكان أنذر لبعض الحواريين وأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح، وأنتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم، ولم يكن من الذكر في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به.

* * *

إنْ يَدْعُهُ الإنجيلُ فارِقْليطَهُ ... فلقد دَعاهُ قبلَ ذلكَ إيلا[1]

ودَعاهُ روحَ الحقِّ لِلْوَحْيِ الذي ... يُتْلَى عليهِ بُكْرَةً وأصيلا

وأراهُ لا يأتيكُمُ إلاَّ إذا ... أُرْفِعْتُ عنكمْ لِلإلهِ مَقُولا

إنْ أنْطَلِقْ عنكمْ يَكُنْ خيراً لكمْ ... لِيَجيئَكُمْ مَنْ تَرْتَضُوهُ بَديلا

يأتي على اسمِ اللهِ منهُ مُبارَكٌ ... ما كانَ مَوْعِدُ بَعْثِهِ مَمْطُولا

يَتْلُو كتابَ البَيِّناتِ كِتابُهُ ... ويَرُدُّ أمثالي بهِ التأويلا

ويُفَنِّدُ العُلَماءَ تَوْبيخاً لَهُمْ ... وكَفاهُمُ بِخَطيئةٍ تَخْجيلا[2]

ويُزيحُ مُلْكَ اللهِ منكمْ عَنْوَةً ... لِيُبيحَهُ أهلَ التُّقَى ويُنيلا

وكما شَهِدْتُ لهُ سَيَشْهَدُ لي إذا ... صارَ العليمُ بما أتَيْتُ جَهُولا

يُبْدي الحوادِثَ والغُيوبَ حَديثُهُ ... ويَسُوسُكُمْ بالحقِّ جِيلاً جِيلا

هُوَ صَخْرَةٌ ما زُوحِمَتْ صَدَمَتْ فلا ... تَبْغُوا لها إلاَّ النُّجومَ وُعُولا

والآخِرونَ الأوَّلونَ فَقَوْمُهُ ... أخَذُوا على العَمَلِ القَليلِ جَزيلا

والمُنْحَمِنّا لا تَشُكُّوا إنْ أتَى ... لَكُمُ فليسَ مَجيئُهُ مَجْهُولا

وَهُوَ المُوَكَّلُ آخِراً بالكَرْمِ لا ... يَخْتارُ مالِكُهُ عليهِ وكيلا

* * *

(١) إيل: اسم الله تعالى.

(٢) يفند: يكذب.

[قال الناظم]:

فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وبشارة المسيح عليه السلام قوله: «اللهم ابعث الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر» وفيه عن يوحنا: «الفارقليط[1] لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه مما يسمع يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب.

إلى أن قال عنه: وسيعظمني. وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادى في وصفه بكلام بين وقال: هو سيشهد لي كما شهدت له «وأنا أجيئكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل» وفيه عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين: «من أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب» ثم قال: «فلو قد جاء المنحمنا، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب روح القدس، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قولي لكم كيلا تشكوا إذا جاء المنحمنا» بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية الفارقليط، وهو بالعربية محمد ﷺ. وفيه أنه قال: لليهود، وأنا أقول لكم: لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك، يأتي على اسم الله» وفيه: «إنما النبوة والكتاب إلى يحيى، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة» فهذا بشارة بمحمد ﷺ «في الأرض الذي قهر الأجناس، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاماً من الله. وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض، من دم هابيل الصالح، إلى دم يحيى بن زكريا الذي قتلوه عند المذبح آمين آمين» أقول: «إنه سيأتي جميع ما وصف على هذه الأمة بؤساً، ثم تقتل الأنبياء، ورحم من بعث إليك. قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريجها تحت جناحيها» وفيه عن متى: «أنه لما حبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح، وقال لهم قولوا له أنت الآتي أم نتوقع غيرك فأجابهم المسيح، وقال: الحق اليقين أقول لكم إنه لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا. وإن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي، حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شئتم فافعلوا، فإن إيليا المزمع أن يأتي. فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع» فهذه بشارة بمحمد ﷺ. فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبي، فهذا من أعظم الجهل والكذب على الله تبارك وتعالى، لأن الناس تقدم إرساله

---

(1) الفارقليط: كلمة يونانية معناها محمد.

إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا مزمع أن يأتي قائل هو
الله تعالى، فمجيء الله تعالى هو مجيء رسوله بكتابه وأمره، كما قال في التوراة «جاء
الله من طور سيناء» وفيه «أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله، ويعطى الأمة المطيعة
العاملة» ثم ضرب مثلاً بصخرة «من سقط على هذه الصخرة سينكر، ومن سقطت عليه
يتهشم» يريد بذلك محمداً ﷺ من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه. وفيه أنه ضرب مثلاً
للدنيا كمثل رجل غرس كرماً وسيخ حوله، وجعل فيه معصرة، وشيد فيه قصراً، ووكل
به أعواناً، وتغرب عنه فلما دنا أوان انقطافه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم.
وضرب المسيح مثلا للأنبياء، ثم لنفسه في كلام كثير، ثم محمد ﷺ وجعل الموكل
آخر بالكرم، وأفصح عن أمة محمد ﷺ وشرف وكرم.

* * *

وَهُوَ الذي مِنْ بَعْدِ يَحيى جاءَهم ... إذْ كانَ يَحيى لِلْمَسِيحِ رَسِيلا (١)
وَسَلُوا الزَّبُورَ فإنَّ فيهِ الآنَ مِنْ ... فَصْلِ الخِطابِ أوامِراً وفُصولا
فَهُوَ الذي نَعَتَ الزَّبورُ مُقَلَّداً ... ذا شَفْرَتَيْنِ مِنَ السُّيُوفِ صَقِيلا (٢)
قُرِنَتْ بِهَيْبَتِهِ شَرِيعَةُ دِينِهِ ... فَأراكَ أخْذَ الكافِرينَ وَبِيلا (٣)
فاضَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ رَحْمَةُ رَبِّهِ ... فاسْتَشْفِ مِنْ تِلْكَ الشِّفاهِ عَلِيلا
وَلِغالِبٍ مِنْ حَمْدِهِ وَبَهائِهِ ... مَلأَ الأعادِي ذِلَّةً وخُمولا
فِي أُمَّةٍ خُصَّتْ بِكُلِّ كَرامَةٍ ... وَتَفَيَّأَتْ ظِلَّ الصَّلاحِ ظَلِيلا
وَعَلَى مَضاجِعِهِمْ وكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... كُلٌّ يُسِرُّ وَيُعْلِنُ التَّهْلِيلا (٤)
رُهْبانُ لَيْلٍ أُسْدُ حَرْبٍ لَمْ تَلِجْ ... إلاّ القَنا يَوْمَ الكَرِيهَةِ غِيلا (٥)
كَمْ غادَرُوا المَلِكَ الجَلِيلَ مُقَيَّداً ... والقَرْمَ مِنْ أشْرافِهِمْ مَغْلُولا (٦)
فاللهُ مُنْتَقِمٌ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ ... يَبْغِي عَلَى الحَقِّ المُبِينِ عُدُولا
أعَجِبْتَ مِنْ مَلِكٍ رَأَيْتَ مُقَيَّداً ... وَشَرِيفِ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مَغْلُولا

---

(١) الرسيل: يعني الرسول.
(٢) السيف الصقيل، أي: المصقول.
(٣) وَبيل: شديد.
(٤) ثنية: العَقبة، أو طريقها.
(٥) الغيل: الأجمة.
(٦) القَرم: السيد.

خَضَعَتْ مُلوكُ الأرضِ طائِعَةً لَهُ وغَدا بهِ قُرْبانُهُمْ مَقْبُولا
ما زالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُؤازِراً وأُولِي الصَّلاحِ ولِلْعُفاةِ بَذُولا[1]
لَمْ يَدْعُهُ ذُو فاقَةٍ وضَرُورَةٍ إلا أوْنالَ بِجُودِهِ المَأْمُولا
ذاكَ الذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُو فاقَةٍ إلا وكانَ لهُ الزَّمانُ مُنِيلا
تَبْقَى الصَّلاةُ عليهِ دائِمَةً فَخُذْ وَصْفَ النبيِّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولا

***

[قال الناظم]:

ومن بشارة الزبور به ﷺ: «سبحوا الله تسبيحا جديداً، سبحوا الذي هيكله الصالحون، وليفرح إسرائيل بخالقه، صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم التي لا تعبده، ويوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال» وفيه: تقلد أيها الجبار بالسيف، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة، والأمم تجري تحتك.

وفيه: ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، وتحز له أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحق أعداؤه بالركب، وتأتيه ملوك بالقرابين وتسجد له، وتدين له الأمم بالطا والانقياد، لأنه يخلص الناس من أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى ذهباً من بلاد شتى، ويصلى عليه في كل وقت، ويدوم أمره إلى آخر الدهر». وفي الزبور: «أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود» والإكليل ضُرب مثلاً للرياسة، والمحمود اسم محمد. وفي الزبور: «يقول الله تعالى لداود عليه السلام سيولد لك ولد أدعى له أباً، ويدعى لي ابناً، فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة؛ كيما يعلم الناس أنه بشر». فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك، وخاف أن يدعى ولده إلٰها: «اللهم ابعث جاعل السنة، ليعلم الناس أنه بشر، وكذلك قال المسيح في الإنجيل»: «اللهم ابعث الفارقليط، ليعلم أن ابن الإنسان بشر».

***

(1) العُفاة: جمع العافي: طالب الرزق.

وَكِتابُ شَعْيا مُخْبِرٌ عَن رَبِّهِ — فاسْمَعْهُ يفرحْ قلبُكَ المَتْبُولا[1]
عَبْدِي الذي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ — وَحْيي عليه مُنَزَّلٌ تنزيلا
لَمْ أُعْطِ ما أعطَيْتُهُ أحداً مِنَ — الفَضْلِ العظيمِ وحَسْبُهُ تخويلا
يَأتي فَيُظْهِرُ في الوَرَى عَدْلِي وَلَمْ — يَكُ بالهَوَى في حُكْمِهِ لِيَميلا[2]
إنْ غَضَّ مِن بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فما — غَضُّ التُّقَى والفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلا[3]
فَتَحَ العُيُونَ العُورَ لكنَّ العِدا — عَنْ فضلِهِ صَرَفُوا العُيُونَ الحُولا
أحْيا القلوبَ الغُلْفَ، أسْمَعَ كُلَّ ذِي — صَمَمٍ وَكَمْ داءٍ أزالَ دَخِيلا
يُوصِي إلى الأُمَمِ الوصايا مِثْلَمَا — يُوصِي الأَبُ البَرُّ الرَّحِيمُ سَلِيلا
لا تُضْحِكُ الدُّنيا لَهُ سِناً وَمَا — لَمْ يُؤْتَ منها عَدَّهُ تَنْوِيلا[4]
مَنْ غَيْرُ أحمدَ جاءَ يَحْمَدُ رَبَّهُ — حَمْداً جَدِيداً بالمَزِيدِ كَفِيلا
وَكِتابُهُ ما لَيْسَ يُطْفَأُ نُورُهُ — والحَقُّ مُنْقَادٌ إليه ذَلُولا[5]
خَصَمَ العِبادَ بِحُجَّةِ الله التي — أمْسَى بها عُذْرُ الوَرَى مَتْبُولا[6]
فَرِحَتْ بِهِ البَرِّيَّةُ القُصْوَى وَمَنْ — فيها وفاضَلَتِ الوُعورُ سُهولا
فَزَهَتْ وَنَالَتْ حُسْنَ لُبْنانَ الذي — لَوْلا كَرامَةُ أحمدٍ ما نِيلا
مُلِئَتْ مَساكِنُ آلِ قَيْدارٍ بِهِ — عِزّاً وطابَتْ مَنْزِلاً وَنَزِيلا

* * *

[قال الناظم]:

ذكر ما ورد في كتاب شَعْيا عليه السلام من البشارة بمحمد ﷺ قوله: «عبدي الذي سرت به نفسي، أنزل [illegible] حيي فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم الوصايا. لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العُيون العُور، والآذان الصُّم، ويحيي القلوبَ الغلف، وأعطيه ما لم أعط أحداً، يحمد الله حمداً جديداً، ويأتي من أقصى الأرض، يفرح البرية، وسكانُها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لا

(١) القلب المتبول: السقيم.
(٢) الورى: الخَلْق.
(٣) كليل: ضعيف.
(٤) تنويل: عطاء.
(٥) ذلول: مُنقاد.
(٦) متبول: سقيم.

بضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نورُ الله الذي لا يطفأ، أثرُ سلطانه على كتفيه»، هذه ترجمة السريانيين، وترجمة اليونانيين: على كتفه علامة النبوة، وقوله يسفح هو محمد ﷺ بلسان السرياني، والسفح عندهم: الحمد.

* * *

جَعَلُوا الكَرَامَةَ لِلإلٰهِ فَأكْرِمُوا ... فَاللهُ يَجْزِي بِالجَمِيلِ جَمِيلا

وَلِبَيْتِهِ الحَرَمِ الحرامِ طَرِيقُهُ ... يَتْلُو رَعِيلَ المخلِصِينَ رَعِيلا[1]

لا تَخْطُرُ الأَرْجَاسُ فِيهِ وَلا يُرَى ... لخُطَاهُمُ فِي أَرْضِهِ تَثْقِيلا

كَتِفَاهُ بينهما علامةُ مُلْكِهِ ... للهِ مُلْكٌ لا يَزَالُ أثِيلا[2]

مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الإلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ ... منه بِحُسْنِ عِنايةٍ مَشْمُولا

هُوَ راكِبُ الجَمَلِ الذي سَقَطَتْ بِهِ ... أصْنَامُ بابِلَ قَدْ أَتَاكَ دَلِيلا

* * *

[قال الناظم]:

ومن كتاب شَعْيا عليه السلام: «أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال» ثم قال: لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالاً هو صاحب النبوة، تقرأون على كثرة ذنوبكم وعظم فجوركم» ومن كتاب شَعْيا: «قيل لي قم فانظر ما ترى فأخبر به، فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها» ومن كتاب شَعْيا: «لأرفعن علماً بجميع أهل الأرض يظفرهم في أقاصي البلاد، فإذا هم سراع يأتون» يريد به النبي صلى الله عليه وسلم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وحجهم البيت الحرام من أقاصي الأرض.

ومن كتاب شَعْيا عليه السلام يصف أمة النبي ﷺ: «يدوسون الأمم كدياسِ البيادر بفدان، ليهزموا بين سيوف مسلولة، وقِسي موتورة من شِدّة الملحمة» إشارة لانهزام العرب ببدر، ثم آمنوا بالنبي ﷺ فداسوا به الأمم كدِياس البيادر.

* * *

---

(١) الرعيل: القطعة من الخيل قدر العشرين. ويريد هنا الجماعة.

(٢) الأثيل: العظيم.

وَالغَرْسُ في البَدْوِ المُشارِ لِفَضلِهِ | إنْ كُنتَ تجهلُهُ فَسَلْ حِزقِيلا
غُرِسَتْ بأرضِ البَدْوِ منه دَوْحَةٌ | لَمْ تَخْشَ مِنْ عَطَشِ الفَلاةِ ذُبُولا
فَأَتَتْكَ فاضِلَةَ الغُصُونِ وأَخْرَجَتْ | ناراً لِمَا غَرَسَ اليَهُودُ أكُولا
ذَهَبَتْ بِكَرْمَةِ قَوْمِ سَوْءٍ ذُلِّلَتْ | بِيَدِ الغُرورِ قُطُوفُها تَذْلِيلا
وَسَلُوا الملائِكَةَ التي قد أيَّدَتْ | قَيْدارَ تُبْدِي العِلَّةَ المَعْلُولا

* * *

[قال الناظم]:

(١) بشارة حِزقيل النبي عليه السلام بمحمد ﷺ: فمن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود وكفرانهم النعمة، فشبههم بالكرمة، ثم قال: إني بلوت تلك الكرمة: إن قلعت بالسخطة، ورمى بها على الأرض، فحرقت السماء، فعند ذلك غرس غرسته في البدو، أو في الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار، فأكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها قضيب.

ومن كلام حِزقيل إخباراً عن الله تعالى: «إني مؤيد قيدار بالملائكة» وقيدار هو ابن إسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

* * *

وسَلَنْ حَبَقُوقَ المُصَرِّحَ باسْمِهِ | وَبِوَصْفِهِ وكَفَى بِهِ مَسْؤولا
إذا أوْصَلَ القَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ | للسَّامِعِينَ فأَحْسَنَ التَّوْصِيلا
والأرضُ مِنْ تَحْمِيدِ أحمدَ أصْبَحَتْ | وبِنُورِهِ عَرْضاً تُضِيءُ وطُولا
رَوِيَتْ سِهَامُ مُحَمَّدٍ بِقِسِيِّهِ | وغَدا بِها مَنْ ناضَلَتْ مَنْضُولا

* * *

[قال الناظم]:

من كتاب حبقوق النبي عليه السلام يبشر برسول الله ﷺ: «جاء الله من تيمان، وظهر قدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بيمينه، وأضاءت الأرض بنوره، وحملت خيله في البحر، وملك رقاب الأمم».
ومن صحف حبقوق: «يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء». ومن كلامه: «إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجمل أو

نال راكب الجمل. تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد. ففرحوا وسيّروا في الأرض إلى مهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة التي أعطاهم الله في الأيام الأخيرة؛ أمة جديدة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض» وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير.

* * *

وَاسْمَعْ بِرُؤْيَا بُخْتَنَصَّرَ وَالْتَمِسْ مِنْ دَانِيَالَ لَهَا إِذَنْ تَأْوِيلَا
وَسَلُوهُ كَمْ تَمْتَدُّ دَعْوَةُ بَاطِلٍ لِتُزِيحَ عِلَّةَ مُبْطِلٍ وَتُزِيلَا

* * *

[قال الناظم]:

كان بختنصر قد رأى رؤيا، فأحضر دانيال النبي عليه السلام وسأله أن يخبره عن منامة رآها وبتأويلها فقال له: رأيت صنماً بارعَ الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك، إذ دقه الله بحجر من السماء، فضرب رأس الصنم، فطحنه، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره، ثم إن الحجر رَبا وعظم، حتى ملأ الأرض كلها، فقال له بختنصر: صدقت، فأخبرني بتأويلها، فقال له دانيال: أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره؛ فالرأس من ذهب: أنت أيها الملك[والفضة: ابنك من بعدك، والنحاس: الروم، والحديد: الفرس، والفخار: أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام، والحجر: هو دين نبي وملك أبدي يكون في آخر الزمان، يغلب الأمم كلها، ثم يعظم، حتى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر].

وفي صحف دانيال عليه السلام، وقد بعث للكذابين «فقال: لا نتم دعوتهم، ولا يتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل، ولا يقوم كاذب، ليسرع كاذب، دعوة الرب ثلاثون سنة». وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

وَازِمِ العِدَابِبَشَائِرٍ عَنْ أَرْمِيَا إِذْ كَفَّ نُبْلُ كِنَايَةٍ مَتْبُولا[1]
إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وَعَصَمْتُهُ وَجَعَلْتُ لِلأَجْنَاسِ مِنْهُ رَسُولا
وَجَعَلْتُ تَقْدِيسِي قُبَيْلَ وُجُودِهِ وَغَدَا أَعَلَّيَّ كَبْغَيْهِ مَفْعُولا
وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدْ رَوَاهُ مُطَوَّلاً شَغْيَا فَخُذْهُ وَجَانِبِ التَّطْوِيلا
إِذْ رَاحَ بِالقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّراً بِالنَّسْلِ مِنْهَا عَاقِراً مَعْضُولا
وَتَشَرَّفَتْ بِاسْمٍ جَدِيدٍ فَادْعُهَا حَرَمَ الإِلٰهِ بَلَغْتَ مِنْهُ السُّولا[2]
فَتَنَبَّهَتْ بَعْدَ الخُمُولِ وَكُلِّلَتْ أَبْوَابُهَا وَسُقُوفُهَا تَكْلِيلا

* * *

[قال الناظم]:

من كتاب أرميا قوله: «قبل أن أخلقك فقد عصمتك، من قبل أن أصورك في البطن قدمتك وجعلتك نبياً للأجناس» هذه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يبعث للأجناس غيره.

وفي الإنجيل من كلام المسيح: «لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل» وقال للحواريين: «لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل».

* * *

وَنَأَتْ عَنِ الظُّلْمِ الَّذِي لا يَبْتَغِي لِخِضَابِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نُصُولا[3]
حَرَمٌ عَلَى حَمْلِ السِّلاحِ مُحَرَّمٌ فَكَأَنَّمَا يَسْقِي السُّيُوفَ فُلُولا[4]
وَتَخَالُ مِنْ تَحْرِيمِ حُرْمَتِهِ العِدَا عُزْلاً وَإِنْ لَبِسُوا السِّلاحَ وَمِيلا[5]
لَمْ يَتَّخِذْ بَيْتٌ سِوَاهُ قِبْلَةً فَازْدَدْ بِذَاكَ لِمَا أَقُولُ قَبُولا
وَبَنُو نَبَايُتَ لَمْ تَزَلْ خُدَّامُهَا لا تَبْتَغِي عَنْهَا لَهُمْ تَحْوِيلا
جُمِعَتْ لَهُ أَغْنَامُ قَيْدَارَ الَّتِي قَدْ كَانَ مِنْهَا ذَبْحُ إِسْمَاعِيلا

---

(١) متبول: سقيم.
(٢) السول: السؤل.
(٣) النصول: الخروج.
(٤) فلول السيف: انثلامه.
(٥) الميل: جمع الأميَل: الذي لا سلاح له، والجبان.

فَنَمَتْ وأُمِّنَ خَوْفُها وعَدُوُّها قد باتَ منها خائفاً مَهزُولا

* * *

[قال الناظم]:

ومن كتاب شَعْيا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله: «فقد أقسمت نفسي كقسمي أيام نوح: لأغرقن الأرض بالطوفان. كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك، وأن الجبال تزول، والقلاع تنحط، ورحمتي عليك لا تزول، يا مسكينة يا مضطهدة، مبانيك بالحجارة، وتربتك بالجوهر، وملكك باللؤلؤ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك، وتبعدين عن الظلم فلا تخافين. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك. وكل لسان يقوم معك بالخصومة. ويسميك الله اسما جديداً. فقولي واشرفي، فإنه قد دنا نورك، ووقار الله عليك. انظري بعينك فإنهم مجتمعون حولك، يأتون بنيك وبناتك عدواً، فحينئذ تشرقين وتزهرين، ويخاف عدوك، ويشبع قلبك. وكل غنم قيدار تجتمع إليك. وسادات نبايت يخدمونك، وتفتح أبوابك دائماً بالليل والنهار، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب». فهذا خطاب لمكة، وقيدار بن إسماعيل، والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، إشارة إلى أمن الحرم. وقوله غنم قيدار تصريح بالهَدي المجلوب إليها في الحج والعمرة. وسادات نبايت يخدمونك: يعني سَدَنة الكعبة، وهم من ولد نبايت بن قيدار بن إسماعيل، واتخاذها قبلة: غاية التصريح.

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «أيها العاقر قومي فأضيئي، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجيء الشعوب والملوك، ضوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلى الجميع يتحزبون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب، والكومان يحملونه بتسبيح الرب، وجميع غنم قيدار تجتمع إليك. هذا قول الرب القوي».

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «أيها العاقر افرحي واجهري وانطقي بالتسبيح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذي زرع، ولم يخرج منها نبي قبل ذلك غير إسماعيل، ولم يكبر ولد بها.

* * *

وَكَلامُ شَمْعُونَ النبيِّ تَخالُه ... لِكَلامِ موسى قد أتى تَذْيِيلا

وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ على عِلاتِها ... نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْلِيلا

لَمْ يَجْهلوهُ غيرَ أنَّ سُيوفَهُ ... أبْقَتْ حُقُوداً عِنْدَهُمْ وذُحُولا[1]

فاسْمَعْ كلامَهُمُ ولا تَجْعَلْ عَلَى ... ما حَرَّفُوا مِن كُتْبِهِمْ تَعْوِيلا

لولا اسْتِحالَتُهُمْ لَمَا أَلْفَيْتَنِي ... لَكَ بالدَّليلِ عَلَى الغَرِيمِ مُحِيلا

أَوَقَدْ جَهِلْتَ مِنَ الحَديثِ رِوايَةً ... أَمْ قَدْ نَسِيتَ مِنَ الكِتابِ نُزُولا

فاتْرُكْ جِدالَ أخي الضَّلالِ ولا تَكُنْ ... بِمِراءِ مَنْ لا يَهْتَدِي مَشْغُولا

مالي أُجادِلُ فيهِ كلَّ أخي عَمَىً ... كَيْما أُقِيمَ عَلَى النَّهارِ دَلِيلا

واصْرِفْ إلى مَدْحِ النبيِّ مُحَمَّدٍ ... قَوْلاً غَداً عَنْ غَيْرِهِ مَعْدُولا

فإذا حَصَلْتَ عَلَى الهُدَى بِكِتابِهِ ... لا تَبْغِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ تَحْصِيلا

ذِكْرٌ بِهِ تَرْقَى إلى رُتَبِ العُلا ... فَتَخالُ حامِلَ آيِهِ مَحْمُولا

يَذَرُ المُعارِضَ ذا الفَصاحَةِ أَلْكَناً ... في قَوْلِهِ وأخا الحِجا مَخْبُولا[2]

لا تَنْصِبَنَّ لَهُ حِبالَ مُعانِدٍ ... فَتُرَى بِكَفَّةِ آفَةٍ مَحْبُولا[3]

إنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مُعْجِزاتِ مُحَمَّدٍ ... يَوْماً فَكُنْ عَمَّا جَهِلْتَ سَئُولا

***

[قال الناظم]:

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «بحقٍّ أقول لكم، لأعطين البادية كرامةَ لبنان وَبيت المقدس، وتشقها مياه وقصور وإيوان في الأرض الفلاة. وأجعل هناك طريقاً حراماً لا يمر به أنجاس الأمم، ويكون هناك طريق المخلف».

ومن صحف شعيا عليه السلام: «ليفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البوادي والفلوات، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل حسنِ الدساكر والرياض».

ومن كلام شمعون: «جاء الله بالبيان من جبال فاران، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته» يعني حكى موسى في قوله جبال فاران.

***

(١) الذُّحول: جمع الذَّحل: العداوة والحقد.

(٢) الألكَن: الذي لا يقيم العربية. الحِجا: العقل.

(٣) محبول: مربوط بالحبل.

شَهِدَتْ لهُ الرُسْلُ الكِرامُ وَأشفَقُوا ... مِنْ فاضِلٍ يَسْتَشْهِدُ المَفْضُولا
قارَنْتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ بِنُورِهِ ... فرَأَيتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ ضَئيلا
وَنَسَبْتُ فضلَ العالَمِينَ لفضلِهِ ... فَنَسَبْتُ منهُ إلى الكَثيرِ قليلا
وَأراني الزَّمَنِ الجَوادَ بِجودِهِ ... لَمَّا وَزَنْتُ بهِ الزَّمانَ بَخِيلا
مازالَ يَرْقَى في مَواهِبِ رَبِّهِ ... وَينالُ فضلاً مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلا
حتَّى انْثَنَى أَغْنَى الوَرَى وأَعَزُّهمْ ... يَنْقادُ مُحْتاجاً إليهِ ذَليلا
بَثَّ الفضائِلَ في الوجودِ فَمَنْ يُرِدْ ... فضلاً يَزِدْهُ بِفضلِهِ تفصيلا
فالشمسُ لا تُغْني الكَواكِبُ جُمْلَةً ... في الفَضْلِ مَغْناها وَلا تفضيلا
سَلْ عَالَمَ المَلكُوتِ عنهُ فَخيرُ مَا ... سأَلَ الخَبِيرُ عَنِ الجَليلِ جَليلا
فَمِنِ المُخَبِّرُ عَنْ عُلاً مِنْ دونِها ... ثَنَتِ البُراقَ وأَخَّرَتْ جِبْرِيلا
فَلوِ اسْتَمدَّ العالَمونَ عُلومَه ... مَدَّتْهُمُ القَطَراتُ منهُ سُيُولا
فَتَلَقَّ ما تَسْتَطِيعُ مِنْ أنوارِهِ ... إنْ كانَ رَأيُكَ في الفَلاحِ أصِيلا
فَلرُبَّما أَلْقَى عليكَ كِتابُهُ ... قَوْلاً مِنَ السِّرِّ المَصُونِ ثَقِيلا
ذاكَ الَّذِي رفَعَ الهُدَى بيمينِهِ ... عَلَماً وَجَرَّدَ صارِماً مَصْقُولا[1]
أوَما تَرَى الدِّينَ الحَنِيفَ بِسَيْفِهِ ... جَعَلَ الطُّهورَ لهُ دَماً مَطْلولا[2]
وَالشِّرْكُ رِجْسٌ في الأنامِ وَخَيْرُ ما ... أَلفَيْتَهُ بِدَمِ العِدا مَغْسولا
داعٍ بِأَمْرِ اللهِ أَسمَعَ صَوْتُه الثَّـ ... قَلَينِ حتى ظَنَّ إسْرافِيلا[3]
لَمْ يَدْعُهُمْ إلاَّ لِمَا يُحْيِيهُمُ ... أبداً كَما يَدْعُو الطَّبيبُ عَليلا
تَحْدُو عَزائِمُهُ العِبادَ كأَنَّما ... تَخِذَتْ عزائِمُهُ الفَضاءَ سَبِيلا
يُهْدِي إلى دارِ السَّلامِ مَنِ اتَّقى ... وغَدا بِنُورِ كِتابِهِ مَكْحُولا
وَيَظَلُّ يُهْدِي لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ ... مِمَّنْ عَصَى بَعْدَ القَتيلِ قَتيلا
حتى يقولَ الناسُ أتعَبَ مالِكاً ... بِحُسامِهِ وأراحَ عِزْرِيلا[4]
فاسْمَعْ شَمائِلَهُ التي ذِكْرِي لها ... قدْ كادَ تَحْسِبُهُ العُقُولُ شَمُولا[5]
مَنْ خُلْقُهُ القرآنُ جَلَّ ثَناؤُهُ ... عَنْ أنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَمْلولا

---

(١) الصارم: السيف. المصقول: الصقيل. الطُّهور: الطُّهر.
(٢) مطلول: مهدَر.
(٣) الثَّقلان: الإنس والجن. إسرافيل: اسم مَلَك من الملائكة.
(٤) مالك وعزرائيل: ملكان من الملائكة.
(٥) الشمائل: الخصال المحمودة. الشَّمول: الخمرة.

وإذا أتتْ آياتُهُ بمديحِهِ ... رتَّلتُ منها ذِكرَهُ ترتيلا

إنّ امرأً متبتِّلاً بثنائِهِ ... مُتبتِّلٌ لإلهِهِ تبتيلا[1]

إني لأوردُ ذِكرَهُ لِتعطُّشي ... فأخالُ أني قد وردتُ النِّيلا

والنِّيلُ يُذكِرُني كريمَ بنانِهِ ... فأُطيلُ مِن شوقي لهُ التقبيلا[2]

مَن لي بأني مِن بنانِ محمّدٍ ... باللّثمِ نِلتُ المنهلَ المغسولا

مِن راحةٍ هيَ في السّماحةِ كوثرٌ ... لكنّ واردَها يزيدُ غليلا[3]

سارتْ بطاعتِها السّحابُ كأنما ... أمرتْ بما تختارُ ميكائيلا[4]

أنّى دعا وأشارَ مُبتهِلاً بها ... لِمياهِ مُزنٍ ما يزالُ هطولا

وأظنُّهُ لو لم يُرِدْ إقلاعَهُ ... لأتى بسيلٍ ما يُصيبُ مَسيلا

وكمِ اشتكتْ بلدٌ أذاهُ فألبستْ ... بدعائِهِ مِن صحوةٍ إكليلا

يا رحمةً للعالمينَ، ألمْ يكنْ ... طِفلاً لِضُرِّ العالمينَ مُزيلا

إذ قامَ عمُّكَ في الورى مُستسقياً ... كادتْ تجرُّ على البطاحِ ذُيولا

ورفعتَ عامَ الفيلِ عنهم فتنةً ... ألفيتَ فيها التابعينَ الفيلا

بسحائبِ الطّيرِ الأبابيلِ التي ... جادتْهُمُ مطرَ الرّدى سجّيلا[5]

ففدَوكَ مولوداً وقيتَ نفوسَهُمْ ... شيباً وشُبّاناً معاً وكهولا

حتى إذا ما قُمتَ فيهمْ مُنذِراً ... أبدَوْا إليكَ عداوةً وذُحولا[6]

فلقيتَهم فرداً بعزمٍ ما انثنى ... يوماً وحُسنِ تصبُّرٍ ما عِيلا[7]

ووكلتَ أمرَكَ للإلهِ ويا لهُ ... ثقةً بنصرِ مَنِ اتخذتَ وكيلا

وأطلتَ في مرضاةِ ربِّكَ سخطَهُمْ ... فجرعتَ منهمْ علقماً مغسولاً

وطفقتَ يلقاكَ الصّديقُ مُعاديا ... والسِّلمُ حرباً والنّصيرُ خذولا

ودعوتَهُمْ بالبيّناتِ مِنَ الهُدى ... وهززتَ فيهمْ صارماً مسلولا

---

(١) متبتّل: منقطع عن الدنيا إلى الله تعالى.

(٢) البنان: الأصابع أو أطرافها.

(٣) كوثر: كثير جداً. الغليل: العطش.

(٤) ميكائيل: مَلك موكل بالأرزاق.

(٥) الردى: الموت. سجّيل: حجارة كالمَدَر. أو السجيل كما في الآية. بمعنى السِّجل فيكون معنى قوله ﴿مِن سِجّيل﴾: مما كتب لهم أنهم يعذبون بها.

(٦) الذُحول: العداوة.

(٧) عِيل الصبر: نفد.

وأقَمْتَ ذاكَ العَضْبَ فيهِمْ قاضِياً ... ونَصَبْتَ تلكَ البيِّناتِ عُدولا(1)
فَطَفِقْتَ لا تَنْفَكُّ تَتْلو آيَةً ... فيهِمْ وتَحْسِمُ بالحُسامِ تَليلا(2)
حتّى قَضى بالنّصْرِ دينُكَ دينَهُ ... وغَدا لِدينِ الكافِرينَ مُزيلا
وعَنَتْ لِسَطْوَتِكَ المُلوكُ وَلَمْ تَزَلْ ... بَرًّا رَحيماً بالضَّعيفِ وَصُولا
لَمْ تَخْشَ إلاّ اللهَ في أمْرٍ وَلَمْ ... تَمْلِكْ طِباعَكَ عادَةٌ فَتَحُولا
اللهُ أعْطى المصطفى خُلُقاً عَلى ... حُبِّ الإلهِ وَخَوْفِهِ مَجْبولا
عَمَرَ البَرِيَّةَ عَدْلُهُ فَصَديقُهُ ... وعَدُوُّهُ لا يُظْلَمونَ فَتيلا(3)
وإذا أرادَ اللهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ ... خَرَجَ الهَوى مِنْ قَلْبِهِ مَعْزُولا
عُرِضَتْ عليهِ جِبالُ مكَّةَ عَسْجَداً ... فَأبى لِفاقَتِهِ وكانَ مُعيلا(4)
رَكِبَ الحِمارَ تَواضُعاً مِنْ بَعْدِما ... رَكِبَ البُراقَ السّابِقَ الهُذْلولا(5)
أمْعَنْتُ في أنّي أُطيلُ مَديحَهُ ... مَنْ عَدَّ مَوْجَ البَحْرِ عَدَّ طَويلا
إنّي تَرَكْتُ مِنَ الكَلامِ نُخالَهُ ... وأخَذْتُ منهُ لُبابَهُ المَنْخُولا
ماذا عَلى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدائحٍ ... فيهِ بِحَبْلِ مَوَدَّةٍ مَوْصولا
قَيَّدْتُهُ بالنَّظْمِ إلاّ أنَّهُ ... سَبَقَ الجِيادَ إلى المَدى مَشْكُولا(6)
وأضاءَتِ الأيّامُ مِنْ أنْوارِهِ ... واسْتَصْحَبَتْ غُرَراً بها وحُجُولا(7)
إنّي امْرُؤٌ قَلْبي يُحِبُّ مُحَمَّداً ... ويَلومُ فيهِ لائِماً وعَذُولا
أأُحِبُّهُ وأمَلُّ مِنْ ذِكْري لَهُ ... ليسَ المُحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلُولا
يا لَيْتَني مِنْ مَعْشَرٍ شَهِدوا الوَغى ... مَعَهُ زَماناً والكِفاحَ طَويلا
فَأقُومَ عَنْهُ بِمِقْوَلٍ وبِصارِمٍ ... أبَداً قَؤُولاً في رِضاهُ فَعُولا(8)
طَوْراً بِقافِيَةٍ يُريكَ ثَباتُها ... كَفَّ الرَّدى عَنْ عِرْضِهِ مَشْلولا
وبِضَرْبَةٍ يَدَعُ المُدَجَّجَ وِتْرُها ... شَفْعاً كَما شاءَ الرَّدى مَجْدُولا(9)

---

(١) السيف العَضْب: السيف القاطع.
(٢) التليل: المتلول أي الذي ألقي على عُنقه وخَدِّه.
(٣) الفتيل: حبل دقيق من ليف، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ، والشيء القليل وهذا ما أراده.
(٤) العَسجد: الذهب.
(٥) الهذول: الطويل الصلب.
(٦) مشكول أي: مُقيد.
(٧) غُرر: جمع غُرّة: بياض في الجبهة. حُجول: من جمع حجِل: وهو البياض.
(٨) الصارم: السيف القاطع. مقول: يعني قول الشعر.
(٩) مدجج: حامل السلاح. مجدول: مصروع.

وبِطَعْنَةٍ جَلَتِ السِّنانَ فمثَّلَتْ ... عَيناً لِعَيْنَيكَ في الكَمِيِّ كَحِيلا(1)

في مَوْقِفٍ غَشِيَ اللِّحاظَ فلا يَرى ... لَحْظٌ بِهِ إلا القَناةَ مِيلا

فَرَشَفْتُ ثَغْرَ المَوْتِ فيه أَشْنَبا ... وَلَثَمْتُ خَدَّ المَشْرَفِيِّ أَسِيلا(2)

والخَيْلُ تَسْبَحُ في الدِّماءِ وتَتَّقِي ... أَيْدِي الكُماةِ مِنَ النَّجِيعِ وُحُولا(3)

فاطْرَبْ إذا غَنَّى الحَدِيدُ فخَيْرُ ما ... سَمِعَ المَشُوقُ إلى النِّزالِ صَلِيلا(4)

تاللهِ يُثْنَى القَلْبُ عنه ما ثَنَى ... خَوْفُ المَنِيَّةِ عامِراً أو سَلُولا

أيَضِنُّ عنه بمالِهِ وبِنَفْسِهِ ... صَبٌّ يَرَى لَهُما الفَواتَ حُصُولا

فَلأَقْطَعَنَّ حِبالَ تَسْوِيفي التي ... مَنَعَتْ سِوايَ إلى حِماهُ وُصُولا

وَلأَمْنَعَنَّ العَيْنَ فيهِ مَنامَها ... ولأَجْعَلَنَّ لها السُّهادَ خَلِيلا(5)

وَلأَرْمِيَنَّ لَهُ الفِجاجَ بِضُمَّرٍ ... كالنَّبْلِ سَبْقاً والقِسِيِّ نُحُولا(6)

مِنْ كُلِّ دامِيَةِ الأَباطِلِ زِدْتُها ... عَنَقاً إذا كَلَّفْتُها التَّمْهِيلا(7)

سارَتْ تَقِيسُ ذِراعُها سَقْفَ الفَلا ... فكأنَّما قاسَتْ بِمِيلٍ مِيلا

حتى تُرِيكَ الحزْفَ مِنْ صَلْدِ الصَّفا ... أَخْفافُها بِدِمائِها مَشْكُولا(8)

وَكأنَّما ضَرَبَتْ بِصَخْرٍ مِثْلَهُ ... مِنْ مِيسمٍ فتكافَئا تَقْتِيلا

قَطَعَتْ حِبالَ البُعْدِ لَمَّا أَعْمَلَتْ ... شَوْقاً لِطَيْبَةَ ساعِداً مَفْتُولا

حتى أضُمَّ بِطَيْبَةَ الشَّمْلَ الذي ... أنْضَى إليها العِرْمِسَ الشِّمْلِيلا(9)

وَأُرِيحَ مِنْ تَعَبِ الخَطايا ذِمَّةً ... ثَقُلَتْ عليها للذُّنُوبِ حُمُولا

وَيُسَرُّ بالغُفْرانِ قَلْبٌ لَمْ يَزَلْ ... حِيناً بِطُولِ إساءَتي مَشْكُولا

وأعُودَ بالفَضْلِ العَظِيمِ مُنَوَّلاً ... وَكَفَى بِفَضْلٍ منه لي تَنْوِيلا

وإذا تَعَسَّرَتِ الأُمُورُ فإنَّني ... راجٍ لها بِمُحَمَّدٍ تَسْهِيلا

---

(١) الكمي: المدجج بالسلاح.

(٢) المشرفي: يريد السيف المشرفي. أسيل: أملس مستوٍ.

(٣) النجيع: الدم.

(٤) الصليل: صوت السيوف.

(٥) السُّهاد: الأرَق.

(٦) الفِجاج: جمع الفج: الشق.

(٧) أياطل: جمع أيطل: خاصرة.

(٨) الصفا: الصخر. الصلد: الصلب.

(٩) طيبة: اسم للمدينة المنورة. العِرمس: الناقة الصلبة. الشمليلا: السريعة.

يارَبِّ هَبْ لنا النبيَّ وَهَبْ لنا ... ما سَوَّلَتْهُ نفوسُنا تَسْويلا[1]
واسْتُرْ علينا ما علِمْتَ فلَمْ يُطِقْ ... منّا امرُؤٌ لِخَطِيئةٍ تَخْجِيلا
وَاعطِفْ عَلَى الخَلْقِ الضَّعيفِ إذا رأى ... هَوْلَ المَعادِ فأظْهَرَ التَّهْويلا
يَوْمَ تَضِلُّ به العُقُولُ فَتَشْخَصُ الـ ... أبْصارُ خوفاً عنده وَذُهولا
ويُسِرُّ فيه المُجرِمُونَ نَدامَةً ... حيناً وحيناً يُظْهِرُونَ عَوِيلا
ويَظَلُّ مُرْتادُ الخَلاصِ مُقَلِّباً ... في الشَّافِعِينَ لِحاظَهُ وَمُجِيلا
لِتنالَ مِنْ ظَمَإِ القِيامَةِ نفسُهُ ... رِيّاً ومِنْ حَرِّ السَّعِيرِ مَقِيلا
وَاجْعَلْ لنا اللَّهُمَّ جاهَ مُحَمَّدٍ ... فَرَطاً تُبَلِّغُنا بِهِ المَأْمولا
واصْرِفْ بِهِ عنّا عذابَ جَهَنَّمَ ... كَرَماً وكُفَّ ضِرامَها المَشْغُولا
واجعلْ صلاتَكَ دائماً مُنْهَلَّةً ... لَمْ تُلْفِ دونَ ضَرِيحِهِ تَهْلِيلا[2]
ما هَزَّتِ القُضْبَ النَّسِيمُ وَرَجَّعَتْ ... وَرْقاءُ في فَنَنِ الأراكِ هَدِيلا[3]

وقال رضي الله عنه، وتسمى «ذخر المعاد، في وزن بانت سعاد»[4]: [البسيط]

إلى متى أنتَ باللَّذاتِ مَشْغولُ ... وأنتَ عن كلِّ ما قَدَّمْتَ مَسْؤولُ
في كُلِّ يَوْمٍ تُرَجِّي أن تَتُوبَ غداً ... وَعَقْدُ عَزْمِكَ بالتَّسْوِيفِ مَحْلولُ
أما يَرَى لَكَ فيما سَرَّ مِنْ عَمَلٍ ... يَوماً نَشاطٌ وعَمَّا ساءَ تَكْسِيلُ
فَجَرِّدِ العَزْمَ إنَّ الموتَ صارِمُهُ ... مُجَرَّدٌ بِيَدِ الآمالِ مَسْلولُ
واقطعْ حبالَ الأمانيِّ التي اتَّصَلَتْ ... فإنما حَبْلُها بالزُّورِ مَوْصولُ
أنفقْتَ عُمْرَكَ في مالٍ تُحَصِّلُهُ ... ومَا عَلَى غيرِ إثْمٍ منكَ تحصيلُ
وَرُحْتَ تَعْمُرُ داراً لا بقاءَ لها ... وأنتَ عنها وإنْ عُمِّرْتَ مَنْقُولُ
جاءَ النَّذِيرُ فَشَمِّرْ لِلْمَسِيرِ بلا ... مَهْلٍ فليسَ مع الإنذارِ تَمْهِيلُ

(١) سوّلت: زينت.
(٢) منهلّة: منصبة. الضريح: القبر.
(٣) رجّعت: صوّتت ورددت. الورقاء: ضرب من الحمام. الأراك: شجر تتخذ منه المساويك. الفَنَن: الغصن. الهديل: صوت الحمام.
(٤) «بانت سعاد»، لكعب بن زهير بن أبي سُلمى المتوفى سنة ٢٦هـ، وكان قد أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم، في المدينة المنورة.

وصُنْ مَشِيبَكَ عن فِعْلٍ تُشانُ به ... فكُلُّ ذي صَبْوَةٍ بالشَّيْبِ مَعْذُول
لا تُنْكِرَنْهُ وفي الفَوْدَيْنِ قد طَلَعَتْ ... منهُ الثُّرَيّا وفوقَ الرَّأْسِ إكليل
فإنَّ أرواحَنا مِثْلَ النُّجُومِ لها ... مِنَ المَنِيَّةِ تَسْيِيرٌ وَتَرْحِيلُ
وإنَّ طالِعَها مِنّا وغارِبَها ... جِيلٌ يَمُرُّ وَيأتي بَعْدَهُ جِيلُ
حتى إذا بَعَثَ اللهُ العِبادَ إلى ... يَوْمٍ بِهِ الحكمُ بينَ الخلْقِ مَفْصُولُ
تَبَيَّنَ الرِّبْحُ والخُسْرانُ في أُمَمٍ ... تَخالَفَتْ بيننا منها الأقاويلُ
فأخْسَرُ الناسِ مَنْ كانتْ عَقِيدَتُهُ ... في طَيِّها النُّشورِ الخَلْقِ تَعْطِيلُ
وأُمَّةٌ تَعْبُدُ الأوثانَ قد نُصِبَتْ ... لها التَّصاويرُ يَوْماً والتَّماثِيل
وأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعِجْلِ عابِدَةً ... فنالَها مِنْ عذابِ اللهِ تَعْجِيل[1]
وأُمَّةٌ زَعَمَتْ أنَّ المَسِيحَ لها ... رَبٌّ غدا وَهُوَ مَصْلوبٌ ومَقْتُولُ[2]
فَثَلَّثَتْ واحِداً أفْرَدَا أنْ وَحَّدُهُ ... وَلِلْبَصائِرِ كالأبصارِ تَخْيِيلُ
تبارَكَ اللهُ عَمّا قالَ جاحِدُه ... وجاحِدُ الحَقِّ عِنْدَ النَّصِّ مَخْذُول
والفَوْزُ في أُمَّةٍ ضَوْءُ الوُضوءِ لها ... قد زانَها غُرَرٌ منه وَتَحْجِيلُ[3]
تَظَلُّ تَتْلو كِتابَ اللهِ ليسَ بِهِ ... كَسائِرِ الكُتْبِ تَحْرِيفٌ وتَبْدِيلُ
فالكُتْبُ والرُّسْلُ من عند الإلهِ أتت ... ومنهمُ فاضِلٌ حَقّاً ومفضولُ
والمصطفى خيرُ خَلْقِ الله كلِّهِمِ ... لَهُ عَلَى الرُّسْلِ تَرْجِيحٌ وتَفْضِيلُ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ الله التي ظَهَرَتْ ... بِسُنَّةٍ مالها في الخَلْقِ تَحْوِيلُ
نَجْلُ الأكارِمِ والقَوْمِ الذين لهم ... عَلَى جَمِيعِ الأنامِ الطَّوْلُ والطُّولُ[4]
مَنْ كَمَّلَ اللهُ معناهُ وصورتَهُ ... فلَمْ يَفُتْهُ عَلَى الحالَيْنِ تَكْمِيلُ
وخَصَّهُ بِوَقارٍ قَرَّ منه لَهُ ... في أنْفُسِ الخَلْقِ تَعْظِيمٌ وتَبْجِيلُ
بادِي السكينةِ في سُخْطِهِ وَرِضاً ... فلَمْ يَزَلْ وَهُوَ مَرْهُوبٌ ومَأْمُولُ
يُقابِلُ البِشْرَ منه بالنَّدَى خُلُقٌ ... زاكٍ عَلَى العَدْلِ والإحسانِ مَجْبول
مِنْ آدَمٍ ولِحِينِ الوَضْعِ جَوْهَرُهُ الـ ... مَكْنُونُ في أنْفُسِ الأصدافِ مَحْمُولُ
فَلِلنُّبُوَّةِ إتْمامٌ ومُبْتَدَأٌ ... بهِ وَلِلْفَخْرِ تَعْجِيلٌ وَتأْجِيلُ

---

(١) يعني اليهود
(٢) يعني النصارى.
(٣) غُرر: جمع غُرّة: بياض في الجبهة. التحجيل: بياض في قوائم الفرس كلها.
(٤) الطَّوْل: الغِنى والسعة.

أَتَتْ إلى الناسِ مِنْ آياتِهِ جُمَلٌ ... أَعْيَتْ عَلَى الناسِ مِنْهُنَّ التَّفاصِيلُ
أَنْبَا سَطِيحٌ وشِقٌّ وَابْنُ ذِي يَزَنٍ ... عنه وقُسٌّ وَأحبارٌ مَقاوِيلُ (١)
وعنه أَنْبَأَ موسى وَالمسيحُ وقد ... أَضْغَتْ حوارِيُّهُ الغُرُّ البَهالِيلُ (٢)
بأنه خاتَمُ الرُّسْلِ المُبَاحُ لَهُ ... مِنَ الغنائِمِ تقسيمٌ وتَنْفِيلُ (٣)
وليسَ أَعْدَلَ منه الشاهِدُونَ لَهُ ... وَلا بِأَعْلَمَ منه إنْ هُمُ سِيلُوا
وَإنْ سَأَلْتَهُمْ عنه فلا حَرَجٌ ... إنَّ المَحَكَّ عَنِ الدِّينارِ مَسْؤُولُ
كم آيةٍ ظَهَرَتْ في حينِ مَوْلِدِهِ ... بهِ البشائرُ منها والتَّهاويلُ
عُلومُ غَيْبٍ فلا الأرصادُ حاكِمَةٌ ... وَلا التقاويمُ فيها وَالتَّحاويلُ (٤)
إذِ الهَواتِفُ والأنوارُ شاهِدُها ... لَدَى المَسامِعِ وَالأبصارِ مَقْبُولُ
ونارُ فارِسَ أَضْحَتْ وَهْيَ خامِدَةٌ ... وَنَهْرُهُمْ جامِدٌ والصَّرْحُ مَثْلُولُ (٥)
ومُذْ هَدانا إلى الإسلامِ مَبْعَثُهُ ... دَهَى الشياطِينَ والأَصْنامَ تَجْدِيلُ (٦)
وَانْظُرْ سماءً غَدَتْ مَمْلُوءَةً حَرَساً ... كَأَنها البَيْتُ لَمَّا جاءَهُ الفيلُ
فَرُدَّتِ الجِنُّ عَنْ سَمْعِ ملائكةٍ ... إذْ رَدَّتِ البَشَرَ الطَّيْرُ الأبابِيلُ (٧)
كلٌّ غدا وله مِنْ جِنْسِهِ رَصَدٌ ... لِلجِنِّ شُهْبٌ ولِلإنسانِ سِجِّيلُ (٨)
لَوْلا نبيُّ الهُدَى ما كانَ في فَلَكٍ ... على الشياطينِ لِلأَمْلاكِ تَوْكِيلُ
لَمَّا تَوَلَّتْ تَوَلَّى كلُّ مُسْتَرِقٍ ... عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ منها وهُوَ مَعْزُولُ
إنْ رُمْتَ أكْبَرَ آياتٍ وأكْمَلَها ... كفاكَ مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ تَنْزِيلُ
وانظُرْ فليس كَمِثْلِ اللهِ مِنْ أحَدٍ ... وَلا كَقَوْلٍ أتى مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ
لو يُسْتَطاعُ لَهُ مِثْلٌ لَجِيءَ بِهِ ... والمُسْتَطاعُ مِنَ الأعمالِ مَفْعُولُ
لله كَمْ أَفْحَمَتْ أفهامَنا حِكَمٌ ... منه وكَمْ أَعْجَزَ الأَلْبابَ تَأْوِيلُ
يَهْدِي إلى كُلِّ رُشْدٍ حينَ يَبْعَثُهُ ... إلى المسامِعِ تَرْتِيبٌ وَتَرْتِيلُ

---

(١) شِق وسطيح كاهنان من كُهان الجاهلية. وسيف بن ذي يزن ملك من ملوك اليمن. وقُس بن ساعدة الإيادي خطيب حكيم من خطباء العرب في الجاهلية. أحبار: جمع حَبر: عالم حاذق.
(٢) الحواري: الناصر. الغُرّ من القوم: الشريف. البهاليل: جمع البهلول: السيد.
(٣) التنفيل: الإعطاء من الغنائم.
(٤) التقاويم والتماويل: من اصطلاحات المنجمين.
(٥) مثلول: مهدّم.
(٦) التجديل: الالقاء على الأرض. جدّله: صرعه.
(٧) أبابيل: فِرَق، جمع لا واحد له.
(٨) سِّجيل: حجارة كالمدر.

تزداد منه على تزداده مقة ... وكل قول على التزداد مملول (١)

وربما مجه قلب به ريب ... كما يمج دواء الداء معلول (٢)

ما بعد آياته حق لمتبع ... والحق ما بعده إلا الأباطيل

وما محمد إلا رحمة بعثت ... للعالمين وفضل الله مبذول

هو الشفيع إذا كان المعاد غداً ... واشتد للحشر تخويف وتهويل

فما على غيره للناس معتمد ... ولا على غيره للناس تعويل

إن امرأ أشملته من شفاعته ... عناية لامرؤ بالفوز مشمول

نال المقام الذي ما ناله أحد ... وطال ما ميز المقدار تنويل

وأدرك السؤل لما قام مجتهداً ... وما بكل اجتهاد يدرك السول

لو أن كل علا بالسعي مكتسب ... ما جاز حين نزول الوحي تزميل (٣)

أعلى المراتب عند الله رتبته ... فاعلم فما موضع المخبوب مجهول

من قاب قوسين أو أدنى له نزل ... وحق منه له مثوى وتخليل

سرع إلى المسجد الأقصى وعاد به ... ليلا براق يباري البرق هذلول (٤)

يا حبذا حال قرب لا أكيفه ... وحبذا حال وصل عنه مغفول

وكم مواهب لم تدر العباد بها ... أتت إليه وستر الليل مسدول (٥)

هذا هو الفضل لا الدنيا وما رجحت ... به الموازين منها والمكاييل

وكم أتت عن رسول الله بينة ... في فضلها وافق المنقول معقول

نور فليس له ظل يرى وله ... من الغمامة أنى سار تظليل

ولا يرى في الثرى أثر لأخمصه ... إذا مشى وله في الصخر توحيل (٦)

دنا إليه حنين الجذع من شغف ... إذ ناله منه بعد القرب تزييل (٧)

---

(١) المِقة: المحبة.

(٢) مجّه من فيه: قذفه ورمى به. المعلول: أي المريض.

(٣) التزميل: الإخفاء واللف الثوب.

(٤) الهُذلول: السريع الخفيف.

(٥) المسدول: المُرخى.

(٦) الثرى: التراب الندي. الأخمص: باطن القدم.

(٧) الشَّغَف: الحب. تزييل: مفارقة، والجِذع هو ما كان يقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتخذ المنبر في المسجد، فلما اتخذه، حنّ الجذع إليه ولم يهدأ حتى التمسه وتعهده النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من معجزاته.

فليت من وجهه حظي مقابلة ... وليت حظي من كفيه تقبيل
بيض ميامين يستسقى الغمام بها ... للشمس منها وللأنواء تخجيل (١)
ما إن يزال بها في كل نازلة ... للقل كثر وللتصعيب تسهيل
فاعجب لأفعالها إن كنت مدركها ... واطرب إذا ذكرت تلك الأفاعيل
كم عاود البرء من إعلاله جسدا ... بلمسه واستبان العقل مخبول
ورد ألفين في ري وفي شبع ... إذ ضاق باثنين مشروب ومأكول
ورد ماء ونورا بعد ما ذهبا ... ريق له بكلا العينين متفول
ومنبع الماء عذبا من أصابعه ... وذاك صنع به فينا جرى النيل
وكم دعا ومحيا الأرض مكتئب ... ثم انثنى وله بشر وتهليل
فأصبح المحل فيها لا محل له ... وغال ذكر الغلا من خصبها غول (٢)
فبالظراب ضروب للغمام كما ... عن البناء عزاليها معازيل (٣)
وآض من روضها جيد الوجود به ... من لؤلؤ النور ترصيع وتكليل (٤)
وعسكر لجب قد لج في طلب ... لغزوه غره بأس وترعيل (٥)
دعا نزال فولى والبوار به ... من الصبا والحصى والرعب منزول
واغيرتا حين أضحى الغار وهو به ... كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصـ ... ـديق ليثان قد آواهما غيل (٦)
وجلل الغار نسج العنكبوت على ... وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها ... وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصر هما ... كأن أبصارهم من زيغها حول (٧)
إن يقطع الله عنه أمة سفهت ... نفوسها فلها بالكفر تغليل (٨)

---

(١) ميامين: جمع ميمون يعني: مبارك.

(٢) غال: هلك ومصدره غُوْل.

(٣) الظراب: جمع ظرب: الرابية. العَزالي: جمع العَزْلاء: مصب الماء من الراوية.

(٤) آضَ: رجع. الجيد: العُنق. النَوْر: الزهر الأبيض.

(٥) لجَّ: تمادى. الترعيل: من الرعيل: القطعة من الخيل.

(٦) ليثان: الواحد ليث: أسد. الغِيْل: الأجمة.

(٧) زاغ البصر: كَلَّ.

(٨) السَفَه: خِفَّة الحِلم، أو الجهل.

فإنما الرسلُ والأملاكُ شافعُها ... لوصلةٍ منه تسآلٌ وتطفيلُ[1]

ما عذرُ منْ منَعَ التصديقَ منطقَهُ ... وقد نبا منه محسوسٌ ومعقولُ

والذئبُ والعيرُ والمولودُ صدَّقَهُ ... والظبْيُ أفصحَ نطقاً وهو محبولُ[2]

والبدرُ بادرَ منشقاً بدعوتِهِ ... لهُ كما شُقَّ قلبٌ وهو متبولُ[3]

والنخلُ أثمرَ في عامٍ وسرَّبهِ ... سلمانُ إذْ بسقتْ منهُ العثاكيلُ[4]

إنْ أنكرتْهُ النصارى واليهودُ على ... ما بيَّنتْ منه توراةٌ وإنجيلُ

فقد تكرّرَ منهم في جحودهِمُ ... للكفرِ كفرٌ وللتجهيلِ تجهيلُ

قلْ للنصارى الأُلى ساءتْ مقالتُهُمْ ... فما لها غيرَ محضِ الجهلِ تعليلُ

منَ اليهودِ استفدتُمْ ذا الجحودَ كما ... منَ الغرابِ استفادَ الدفنَ قابيلُ[5]

فإنَّ عندكُمُ توراتُهُمْ صدقتْ ... ولمْ تُصدِّقْ لكمْ منهمْ أناجيلُ

ظلمتُمُونا فأضحوا ظالمينَ لكمْ ... وذاكَ مثلُ قصاصٍ فيهِ تعديلُ

منكُمْ لنا ولكم منْ بعضِكمْ شغُلٌ ... والناسُ بالناسِ في الدُّنيا مشاغيلُ

لقدْ علمتُمْ ولكنْ صدَّكُمْ حسَدٌ ... أنَّا بما جاءنا قومٌ مقابيلُ

أما عرفتُمْ نبيَّ اللهِ معرفةَ الـ ... أبناءِ لكنكم قومٌ مناكيلُ[6]

هذا الذي كنتمْ تستفتحونَ بهِ ... لولا اهتدى منكمُ للرشدِ ضلّيلُ[7]

فلا ترجُوا جزيلَ الأجرِ منْ عملِ ... إنَّ الرجاءَ منَ الكفَّارِ مخذولُ

تؤذُونَ بزقٍّ منْ جهـ ـ ـاليتكُمْ ... بهِ انتفاخٌ وجسمٌ فيهِ ترهيلُ[8]

موتوا بغيظٍ كما قدماتَ قبلَكُمُ ... قابيلُ إذْ قرَّبَ القربانَ هابيلُ[9]

---

(١) التطفيل: أن يُصاب بالتراب، والتطفل: الإتيان إلى الولائم دون دعوة. ويريد أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لذوي الشفاعة في الآخرة.

(٢) العير: الحمار. المحبول: الذي وقع في الحبالة أي الشرك.

(٣) متبول: سقيم.

(٤) بسقت النخل: ارتفعت. عثاكيل: جمع عثكول: العذق الذي يحمل البلح.

(٥) قابيل، من ولد آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه، ولم يعرف ماذا يفعل بجثته حتى أتاه الغراب وحفر ليدفن رفيقه فتعلم منه.

(٦) مناكيل: من النكال، يريد أنهم جبناء. نَكَل: نكص وجبن.

(٧) الاستفتاح: الاستنصار. الضلّيل: الضال.

(٨) الزّق: الوعاء. الترهيل: الانتفاخ.

(٩) قابيل وهابيل: ابنا آدم عليه السلام.

يا خيرَ مَنْ رُوِيَتْ لِلناسِ مَكْرُمَةٌ ... عنهُ وفَصْلُ تَحْريمٍ وتَحْليلُ
كَمْ قد أتَتْ عنكَ أخبارٌ مُخَبِّرَةٌ ... في حُسْنِها أشبهَ التَّفريعَ تأصيلُ
تَسْري إلى النَّفسِ منها كلما وَرَدَتْ ... أنفاسُ وَرْدٍ سَرَتْ والوِرْدُ مَطْلولُ
مِنْ كلِّ لَفْظٍ بَليغٍ راقَ جَوْهَرُهُ ... كأنَّهُ السَّيفُ ماضٍ وهو مَصْقولُ
لَمْ تُبْقِ ذِكْراً لِذي نُطْقٍ فَصاحَتُهُ ... وهلْ تُضيءُ مَعَ الشَّمسِ القناديلُ؟
جاهَدْتَ في اللهِ أبطالَ الضَّلالِ إلى ... أنْ ظَلَّ لِلشِّركِ بالتَّوحيدِ تَبْطيلُ
شَكا حُسامُكَ ما تَشكو جُموعُهُمُ ... ففيهِ منها وفيها منهُ تَفْليلُ (1)
للهِ يَومُ حُنَيْنٍ حينَ كانَ بهِ ... كساعةِ البَعْثِ تَهْويلٌ وتَطْويلُ
ويَومَ أقبلَتِ الأحزابُ وانهزَمَتْ ... وكَمْ خبا لَهَبٌ بالشِّركِ مَشْغولُ
جاءوا بأسلحةٍ لَمْ تَحْمِ حامِلَها ... إنَّ الكُماةَ إذا لَمْ يُنْصَروا مِيلُ (2)
مِنْ بعدِ ما زُلزِلَتْ بالشِّركِ أبنِيَةٌ ... وانبَتَّ حَبْلٌ بأيدي الرَّيْبِ مَفْتولُ
وظَنَّ كلُّ امرئٍ في قلبِهِ مَرَضٌ ... بأنَّ مَوْعِدَهُ بالنَّصْرِ مَمْطولُ
فأنزَلَ اللهُ أملاكاً مُسَوَّمَةً ... لَبوسُها مِنْ سَكيناتٍ سَرابيلُ (3)
شاكي السِّلاحِ فما تَشكو الكَلالَ ومِنْ ... صُنْعِ الإلهِ لها نَسْجٌ وتأثيلُ (4)
مِنْ كلِّ مَوْضونَةٍ حَصْداءَ سابِغَةٍ ... تَرُدُّ حَدَّ المَنايا وهو مَفْلولُ (5)
وكُلِّ أبْتَرَ لِلحَقِّ المُبينِ بهِ ... ولِلضَّلالَةِ تَغْليلٌ وتَغْييلُ
لَمْ تُبْقِ لِلشِّركِ مِنْ قَلْبٍ ولا سَبَبٍ ... إلا غَدا وهو مَتْبولٌ ومَبْتولُ (6)
ويَومَ بَدْرٍ إذِ الإسلامُ قد طَلَعَتْ ... بهِ بُدورُ الهُدا بالنَّصْرِ تَكْميلُ
سِيئَتْ بما سَرَّنا الكُفّارُ منهُ وقَدْ ... أفنى سَراتَهُمُ أَسْرٌ وتَقْتيلُ
كأنَّما هو عُرْسٌ فيهِ قد جُلِيَتْ ... عَلَى الظُّبا والقَنا رُوسٌ مَقاصِيلُ (7)
والخَيْلُ تَرْقُصُ زَهْواً بالكُماةِ وما ... غيرَ السُّيوفِ بأيديهِمْ مَناديلُ (8)

---

(١) حسام مفلّل: سيف مثلّم.
(٢) مِيل: جمع أَمْيَل: مائل لا يثبت على الخيل.
(٣) مسوَّمة: مُعلمة. السرابيل: جمع السِّربال: الدرع.
(٤) الكلال: الضعف والعجز: التأثيل: التأصيل.
(٥) الموضونة: الدرع المنسوجة. دِرع حَصْداء: ضيقة الحَلَق، مُحكمة وسابغة: دِرع متصلة بالبيضة. مفلول: مثلّم.
(٦) المتبول: السقيم، الهالك. مبتول: مقطوع.
(٧) الظُّبا: جمع الظُّبة: حد السيف.
(٨) الكُماة: جمع الكَمِي: المدجج بالسلاح.

ولا مُهورَ سِوَى الأرْواحِ تَقبلُها الْبِيـ ... ضُ البَهاتِيرُ والسُّمْرُ الْعطابِيلُ (1)
فلَوْ تَرَى كلَّ عُضوٍ مِنْ كُماتِهِمُ ... مُفَصَّلاً وهوَ مَكفُوفٌ ومَشلولُ (2)
كَأَحْرُفٍ أشْكَلَتْ خَطّاً فأكْثَرُها ... بالطَّعْنِ والضَّرْبِ مَنقُوطٌ ومَشكولُ
وكلُّ بَيْتٍ حَكى بَيْتَ العَرُوضِ لهُ ... بالبِيضِ والسُّمْرِ تَقْطِيعٌ وتَفْصِيلُ
وداخَلَتْ بالرَّدَى أجْزاءَهُمْ عِلَلٌ ... غَدا المُرَفَّلُ منها وهوَ مَجزُولُ (3)
وكلُّ ذِي تِرَةٍ تَغْلِي مَراجِلُهُ ... غَدا يُقادُ ذَليلاً وهوَ مَغلولُ (4)
وَكلُّ جُرْحٍ بِجِسْمٍ يَسْتَهِلُّ دَماً ... كأنَّهُ مَبْسِمٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ (5)
وعاطِلٌ مِنْ سِلاحٍ قدْ غدَا ولهُ ... أساوِرٌ مِنْ حَديدٍ أوْ خَلاخِيلُ (6)
والأرضُ مِنْ جُثَثِ القَتْلَى مُجَلَّلَةٌ ... والتُّرْبُ مِنْ أدْمُعِ الأحياءِ مَبْلولُ
غَصَّتْ قلوبٌ كما غَصَّ القَلِيبُ بهم ... لِلأَسَى فيهِمُ والنارِ تأكِيلُ (7)
فأصْبَحَ البِئْرُ إذْ أهلُ البَوارِ بهِ ... مِثْلَ الوَطيسِ بهِ جُزْرٌ رَعابِيلُ (8)
وأصبَحتْ أيِّماتٍ مُحْصَناتُهُمُ ... وأُمَّهاتُهُمُ وهْيَ المثاكِيلُ (9)
لا تُمْسِكُ الدَّمْعَ مِنْ حُزنٍ عُيونُهُمُ ... إلاّ كما يُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ
وصارَ فَقْرُهُمُ لِلمسلمينَ غِنَى ... وفي المَصائبِ تَفْوِيتٌ وتَحْصِيلُ
ورَدَّ أوْجُهَهُمْ سُوداً وأعْيُنَهُمْ ... بِيضاً مِنَ اللهِ تَنكيدٌ وتَنْكِيلُ
سالتْ وساءتْ عُيونٌ منهمُ مَثَلاً ... كأنَّما كلُّها بالشَّوْكِ مَسْمُولُ (10)
أبْغِضْ بِها مُقَلاً قدْ أشْبَهَتْ لَبَناً ... طَفا الذُّبابُ عليهِ وهوَ مَمْقُولُ (11)

---

(١) البهاتير: جمع البُهْتَرة: القصيرة. عطابيل: جمع عُطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطو
العُنُق. وأراد تورية.

(٢) مشلول اليد: لا حركة فيها، يابس اليد. مكفوف: ممنوع.

(٣) الترفيل، في البحر الكامل: أن يُزاد سبب على متفاعلن فيعيد متفاعلاتن. المجزول: هوما سـ
رابعة في متفاعلن وسكن ثانيه في زمان الكامل. ويريد، أنهم ذلّوا وصغروا بعد عظمة وقوة.

(٤) التِرَة: الثأر. مغلول: مقيد بالأغلال.

(٥) الراح: الخمرة.

(٦) أساور: جمع سوار: خلاخيل: خَلخَال: حلي كالإسوارة توضع في الساق.

(٧) القَليب: البئر.

(٨) البَوار: الهلاك. الوطيس: التنور. الرَّعابيل: جمع الرُعبولة: الخرقة المتمزقة.

(٩) الأيِّم: مَن لا زوج لها. مَثاكِيل: جمع ثكلى: الأم التي فقدت ولداً أو حبيباً.

(١٠) عين مسمولة: مفقوءة.

(١١) ممقول: مغموس.

وَيَوْمَ عَمَّ قلوبَ المُسْلِمينَ أسى ... بِفَقْدِ عَمِّكَ والمَفْقُودُ مَجْذُولُ[1]
ونالَ إِحْدَى الثَّنايا الكَسْرُ في أُحُدٍ ... وجاءَ يَجْبُرُ منها الكَسْرَ جِبْرِيلُ
وفي مَواطِنَ شَتَّى كَمْ أتاكَ بها ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولُ
وَمَلَكَتْ يَدَاكَ اليُمْنَى مَلائِكَةٌ ... غُرٌّ كِرامٌ وَأَبْطالٌ بَهالِيلُ[2]
يُسارِعُونَ إذا نادَيْتَهُمْ لِوَغًى ... إنَّ الكِرامَ إذا نُودُوا هَذالِيلُ[3]
مِنْ كُلِّ نِضْوٍ نُحُولٍ ما يَزالُ بِهِ ... إلى المَكارِمِ جِدٌّ وَهْوَ مَهْزولُ[4]
بَنانُهُ بِدَمِ الأبطالِ مُخْتَضِبٌ ... وطَرْفُهُ بِسَنا الإيمانِ مَكْحُولُ[5]
آلَ النبيِّ بِمَنْ أوْ ما أُشَبِّهُكُمْ ... لَقَدْ تَعَذَّرَ تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلُ
وَهَلْ سَبِيلٌ إلى مَدْحٍ يكونُ بِهِ ... لأهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ تَأْهِيلُ
يا قَوْمُ بايَعْتُكُمْ أنْ لا شَبِيهَ لَكُمْ ... مِنَ الوَرَى فاسْتَقِيلوا البَيْعَ أوْ قِيلُوا[6]
جاءَتْ عَلَى تِلْوِ آياتِ النبيِّ لَهُمْ ... دَلائِلٌ هِيَ لِلتَّاريخِ تَذْيِيلُ
مَعاشِرٌ ما رَضُوا إنِّي لَمُبْتَهِجٌ ... بِهِمْ وما سَخِطُوا إنِّي لَمَثْكُولُ[7]
وإنَّ مَنْ باعَ في الدُّنيا مَحَبَّتَهُمْ ... بِبُغْضِهِ اللهِ في الأخرى لَمَرْذُولُ
وَحَسْبُ مَنْ نَكَلَتْ عنهمْ خواطِرُهُ ... إنْ ماتَ أوْ عاشَ تَنْكِيلٌ وَتَثْكِيلُ[8]
إنَّ المَوَدَّةَ في قُرْبَى النبيِّ غِنًى ... لا يَسْتَمِيلُ فُؤادي عنهُ تَمْوِيلُ
وكَمْ لأصْحابِهِ الغُرِّ الكِرامِ يَدٌ ... عِنْدَ الإلهِ لها في الفضلِ تَخْوِيلُ[9]
قَوْمٌ لَهُمْ في الوغَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمُ ... حُسْنُ ابْتِلاءٍ وفي الطّاعاتِ تَبْتِيلُ
كَأَنَّهُمْ في مَحارِيبِ مَلائِكَةٌ ... وفي حُروبِ أعادِيهِمْ رَآبِيلُ[10]
حَكَى الغَباءَةَ قَلْبي حينَ كانَ بها ... لِلآلِ تَغْطِيَةٌ والصَّحْبِ تَخْلِيلُ[11]

---

(١) مجذول: مسرور.
(٢) الغُرّ البهاليل: يعني الأشراف السادة.
(٣) هذاليل: جمع هذلول: مسرع.
(٤) النّضو: المهزول.
(٥) البنان: الأصابع أو أطرافها. السّنا: الضوء.
(٦) بايعتكم: عاهدتكم يقيل البيع: يفسخه.
(٧) مثكول من الثكل: فقدان ولد أو حبيب.
(٨) التنكيل: أن تصنع به ما يحذّر غيره.
(٩) التخويل: التمليك.
(١٠) محاريب: جمع محراب: صدر الغرفة. الرآبيل: جمع الرئبال: الأسد.
(١١) الآل: الشخص. التخليل: الدخول في الخلل. تخللهم: دخل بينهم.

وَلِي فُؤَادٌ وَنُطْقٌ بِالوِدادِ لَهُمْ ... وبِالمَدائِحِ مَشْغُوفٌ ومَشْغُولُ
فإنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خَتْلاً لِبَعْضِهِمْ ... إنِّي إذنْ بِغُرورِ النفْسِ مَخْتُولُ(١)
أَئِمَّةُ الدِّينِ كلٌّ في مُحاوَلَةٍ ... إلى صوابِ اجتهادٍ منه مَوْكُولُ
لِيَقْضِيَ اللهُ أمراً كانَ قَدَّرَهُ ... وكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ مفعُولُ
حَسْبِي إذا مامَنَحْتُ المُصْطَفَى مَدحِي ... في الحَشْرِ تَزْكِيَةٌ مِنهُ وتعديلُ
مَدْحٌ بِهِ ثَقُلَتْ ميزانُ قائِلِهِ ... وخَفَّ عنهُ مِنَ الأَوْزارِ تثقيلُ
وكيفَ تَأبَى جَنَى أوْصافِهِ هِمَمٌ ... يَرُوقُها مِنْ قُطُوفِ العِزِّ تَذْليلُ
وَلَيْسَ يُدْرِكُ أَدْنَى وَصْفِهِ بَشَرٌ ... أَيَقْطَعُ الأرضَ ساعٍ وَهْوَ مَكْبولُ(٢)
كُلُّ الفَصاحَةِ عِيٌّ في مَناقِبِهِ ... إذا تَفَكَّرْتَ والتَّكْثِيرُ تَقْلِيلُ
لو أَجْمَعَ الخَلْقُ أنْ يُحْصُوا مَحاسِنَهُ ... أَعْيَتْهُمُ جُمْلَةٌ منها وتَفْصِيلُ
عُذْراً إليكَ رسولَ اللهِ مِنْ كَلِمي ... إنَّ الكَرِيمَ لَدَيْهِ العُذْرُ مَقْبُولُ
إنْ لَمْ يكنْ مَنْطِقِي في طِيبِهِ عَسَلاً ... فإنَّهُ بِمَدِيحِي فيكَ مَغْسُولُ
ها حُلَّةٌ بِخِلالٍ منكَ قَدْ رُقِمَتْ ... ما في مَحاسِنِها لِلْعَيْبِ تَخْلِيلُ
جاءَتْ بِحُبِّي وَتَصْدِيقِي إليكَ وما ... حُبِّي مَشُوبٌ ولا التَّصْدِيقُ مَدْخُولُ(٣)
أَلْبَسْتُها منكَ حُسْناً فازْدَهَتْ شَرَفاً ... بِها الخَواطِرُ مِنّا والمَناوِيلُ(٤)
لَمْ أَنْتَحِلْها ولَمْ أَغْصِبْ مَعانِيَها ... وَغيرُ مَدْحِكَ مَغْصوبٌ ومَنْحُولُ(٥)
ومَا على قَوْلِ كَعْبٍ أنْ تُوازِنَهُ ... فَرُبَّما وازَنَ الدُّرَّ المَثاقِيلُ(٦)
وَهَلْ تُعادِلُهُ حُسْناً وَمَنْطِقُها ... عَنْ مَنْطِقِ العَرَبِ العَرْباءِ مَعْدُولُ
وَحَيْثُ كُنَّا معاً نَرْمِي إلى غَرَضٍ ... فَحَبَّذا ناضِلٌ منا ومَنْضُولُ
إنْ أَقْفُ آثارَهُ إنِّي الغَداةَ بِهِ ... على طَرِيقِ نَجاحٍ منكَ مَدْلُولُ
لَمَّا غَفَرْتَ لَهُ ذَنْباً وَصُنْتَ دَماً ... لولا ذِمامُكَ أَضْحَى وَهْوَ مَطْلُولُ(٧)
رَجَوْتُ غُفْرانَ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلَفِي ... لَهُ مِنَ النَّفْسِ إملاءٌ وَتَسْوِيلُ(٨)

---

(١) مختول: مخدوع.
(٢) مكبول: مقيّد.
(٣) مدخول: أي: دخله عيب.
(٤) المناويل: جمع منوال، يقال: هم على مِنوال واحد، إذا استوت أخلاقهم.
(٥) انتحله: دعاه لنفسه وهو لغيره.
(٦) مثاقيل: جمع مِثقال الشيء: ميزانه من مثله.
(٧) الذِّمام: العهد.
(٨) التسويل: التزيين.

وليس غيرك لي مولى أؤمله ... بعد الإله وحسبي منك تأميل
ولي فؤاد محب ليس يقنعه ... غير اللقاء ولا يشفيه تعليل
يميل بي لك شوقاً أو يخيل لي ... كأنما بيننا من شقة ميل
يهم بالسعي والأقدار تمسكه ... وكيف يعدو جواد وهو مشكول
متى تجوب رسول الله نحوك بي ... تلك الجبال نجيبات مراسيل (١)
فأنثني ويدي بالفوز ظافرة ... وثوب ذنبي من الآثام مغسول
في معشر أخلصوا الله دينهم ... وفوضوا إن هم نالوا وإن نيلوا
شعث لهم من ثرى البيت الذي شرفت ... به النبيون تطييب وتكحيل
محلقي أرؤس زيدت وجوههم ... حسناً به فكأن الحلق ترجيل (٢)
قد رحب البيت شوقاً والمقام بهم ... والحجر والحجر الملثوم والميل (٣)
نذرت إن جمعت شملي ببابك أو ... شفت فؤادي به قوداء شمليل (٤)
أبل من طيبة بالدمع طيب ثرى ... لغلتي وغليلي منه تبليل (٥)
دامت عليك صلاة الله يكفلها ... من المهيمن إبلاغ وتوصيل
ما لاح ضوء صباح فاشترّ به ... من الكواكب قنديل فقنديل

وقال: (٦) [الطويل]

الحسود

تجنب أحاديث الحسود فواجب ... تجنبه فيما يقول ويفعل
وكل حسود ما عد[...]ه ملامة ... وكل لئيم ما عليه معوّل
متى قال عني السوء عندك إنه ... كذاك يقول السوء عنك وينقل

---

(١) الناقة النجيبة: الكريمة. مراسيل: أي النوق السهلة القياد.
(٢) الترجيل: تسريح الشعر.
(٣) الحَجَر الملثوم: الحجر الأسود.
(٤) القوداء: يعني الناقة الطويلة. الشمليل: السريعة.
(٥) طَيبة: اسم للمدينة المنورة. الغُلّة: العطش.
(٦) نسب البوصيري: ١٨٧.

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم: [البسيط]

مَدْحُ النَّبيِّ أمانُ الخائفِ الوجِلِ ... فلمدحهُ مُرتَجِلاً أوْ غيرَ مُرتَجِلِ
ولا تُشَبِّبْ بأوْطانٍ ولا دِمَنٍ ... ولا تُعَرِّجْ عَلى رَبْعٍ ولا طَلَلِ[1]
وصِفْ جمالَ حبيبِ اللهِ منفرداً ... بوصفهِ خيرُ الوصفِ والغزلِ
رَيْحانتاهُ على زَهْرِ الرُّبا زَهَتا ... فمالِقَلْبي وذِكْرِ البانِ والأثلِ[2]
رَيْحانتاهُ مِنَ الزَّهْراءِ فاطمةٍ ... خَيْرِ النِّساءِ وَمِنْ صِنْوِ الإمامِ علي[3]
إذا امْتَدَحْتُ نَسيباً مِنْ سُلالَتِهِ ... فَهْوَ النَّسيبُ لِمَدْحي سَيِّدَ الرُّسُلِ
مُحَمَّدٌ أفْضَلُ الرُّسْلِ الَّذي شَهِدَتْ ... بِفَضْلِهِ أنبياءُ الأعْصُرِ الأُوَلِ
لَمْ يَعْدُهُ الحُسْنُ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... وَلَمْ يَزَلْ حُبُّهُ شُغْلاً لِكُلِّ خَلي
وَقِفْ عَلى سُنَنِ المَرْضِيِّ مِنْ سَنَنٍ ... فإنَّ فيها شِفاءَ الخَبْلِ والخَبَلِ[4]
ونَزِّهِ الفِكْرَ في رَوْضاتِ فِكْرَتِها ... واجْنِ البَلاغَةَ مِنْ أغْصانِها الذُّلُلِ

وقال رضي الله تعالى عنه [من الكامل]

حُكمُ الهوى

اليَوْمَ قَدْ حَكَمَ الهَوى بالمَعْدَلَهْ ... وأراحَ قَلْبيَ مِنْ مُكابَدَةِ الوَلَهْ[5]
وتَبَدَّلَتْ مِنِّي الصَّبابَةُ سَلْوَةً ... صِينَتْ بها عَبَراتِيَ المُتَبَذِّلَهْ
مالي وَلِلْعُشّاقِ أتْبَعُ مِنْهُمُ ... أمَماً تَضِلُّ عَنِ الرَّشادِ مُضَلَّلَهْ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَشْكو جِنايَةَ نَفْسِهِ ... ويَرُومُ مِنْ أحْبابِهِ ما لَيْسَ لَهْ
إنّي امْرُؤٌ أعْطى السُّلُوَّ قِيادَهُ ... وَأراحَ مِنْ تَعَبِ المَلامَةِ عُذَّلَهْ
ودَعا جَميلُ ابنِ الزُّبَيْرِ مَديحَهُ ... فأطاعَهُ وعَصى الهَوى وتَغَزُّلَهْ[6]
مَوْلىً عَرَفْتُ بِجاهِهِ وبِمالِهِ ... عِزَّ الغِنى وجَهِلْتُ ذُلَّ المَسْأَلَهْ

---

(١) دِمن: جمع دِمنة: آثار الدار والناس، وما سوَّدوا. الرَّبْع: الدار بعينها حيث كانت. الطَّلَل الشاخص من آثار الدار.
(٢) الرُّبا: جمع الربوة: التلة. البان والأثل: ضربان من الشجر.
(٣) الصنو: الأخ، والابن، والعم.
(٤) الخبْل والخَبَل: فساد الأعضاء والجنون.
(٥) الوله: الشوق.
(٦) الجميل: الصنيع الحَسَن. ابن الزبير: هو الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، وكان تولى الوزارة أيام الظاهر بيبرس من سنة ٦٥٦هـ. ٦٥٩ حيث عُزل، كان جواداً، أديباً شاعراً مات سنة ٦٦٨هـ.

وأتمّ حظّي بعد نقصانٍ فكم ... مِن عائدٍ لي من نداه ومن صِلَة

وَجَبَتْ عليَّ له حقوقٌ لم أقم ... منها بماضيةٍ ولا مُستقبَلَه

لا أستطيعُ جحودَها، وشهودُها ... عندي بما أولتْ يداه مُعدَّلَة

ما طالَ صمتُ مدائحي عن مجدِهِ ... إلا لأنَّ صِلاتِه مُسترسِلَة

فمتى هممتُ بشكرِ سالفِ نعمةٍ ... ألفيتُ سالفتي بأخرى مُثقَلَة

مَن مِثلُ زينِ الدينِ يعقوبَ الذي ... أضحتْ بورتبِ الفخارِ مؤثَّلَة[1]

عمَّ الخلائقَ جودُه فكأنما ... يدُهُ بأرزاقِ الورى مُتكفِّلَة

حَكَمَتْ أناملُها له بالرفعِ مِن ... أفعالِهِ الحُسنى بخمسةِ أمثِلَة

وأحلَّهُ الشرفَ الرفيعَ ذكاؤُهُ ... فرأيتُ منه عطارداً في السُّنبُلَة[2]

سَلْ عنه واسألْ عن أبيهِ وجدِّهِ ... تَسمعْ أحاديثَ الكرامِ مُسلسَلَة

إنْ صالَ كانَ الليثُ منه شعرةً ... أو جادَ كانَ البحرُ منه أنمُلَة[3]

كم أظهرتْ أقلامُه مِن مُعجِزٍ ... لِلطِّرسِ لمّا أن رأتْهُ مُرسَلَة

مَلأتْ بإملاءِ الخواطرِ كُتْبَهُ ... حِكَماً على وفقِ الصوابِ مُنزَّلَة

وبدتْ فواصِلُه خِلالَ سطورِها ... تُهدي لِقارئها العقودَ مُفصَّلَة

ما صانَها نقصُ الكمالِ ولم تفُتْ ... في الحُسنِ بسملةُ الكتابِ الحمدَلَة

قد أغنتِ الفقراءَ وافتقرتْ لهم ... هِمَمُ الملوكِ فما تزالُ مُؤمَّلَة

مِن معشرٍ شرعوا المكارمَ والعُلى ... وتبوَّءوا مِن كلِّ مجدٍ أوَّلَه

آلُ الزُّبيرِ المُرتجى إسعادُهم ... في كلِّ نائبةٍ تنوبُ ومُعضِلَة

المُكثِرونَ طعامَهم وطِعانَهم ... يومَ النِّزالِ وفي السنينَ المُمحِلَة

قومٌ لِكُلِّهِمُ على كلِّ الورى ... أبداً يدٌ مرهوبةٌ ومُنوِّلَة[4]

إن يُسألوا كرماً وعِلماً أعجزوا ... بِبديعِ أجوبةٍ لتلكَ الأسئِلَة

أنفوا ذنوباً أو ذكلُّ مُقبِّلٍ ... لو أنها حسناتُه المُتقبَّلَة

لولا مناقبُكم لكانت هذه الدُّنـ ... يا مِنَ الذِّكرِ الجميلِ مُعطَّلَة

---

(1) المؤثّل: المؤصّل.

(2) عُطارد: من الكواكب.

(3) الليث: الأسد. الأنملة: الإصبع أو طرفها.

(4) الورى: الخَلق.

وله . رحمه الله . فيما كتب به لجناب السابقيّ: [الخفيف]

العدل

إنَّ خُلْقَ الشُّهُودِ وَالعُمَّالِ ... مِثْلُ خُلْقِ العُشَّاقِ والعُذَّالِ(١)
كُلُّ عَذْلٍ مُضَايِقٍ في وُصُولٍ ... كَعَذُولٍ مُضَايِقٍ في وِصالِ
لَسْتُ أدْرِي معنَى التَّباغُضِ ما بَيْـ ... ـنَ الفَرِيقَيْنِ غيرَ حُبِّ المالِ
فإذا زالتِ المطامِعُ منهمْ ... أذَّنَ الخُلْفُ بينهمْ بالزوالِ
سالمتني المُستَخْدَمُونَ وكانُوا ... قد أعَدُّوا سلاحَهُمْ لِقِتالِي
وَرَثَى بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَقَدْ بَا ... نَ لَكَ الآنَ شِدَّةُ الأهْوالِ
ورأى ابنُ الأشَلِّ قد كانَ يبقى ... كاتِباً مِثْلَ جَدِّهِ بالشِّمالِ
فالتَجالُلُ لِلعَفافِ مَنْ كانَ يَوْماً ... لا لَهُ يَخْطُرُ العَفافُ ببالِ
وَلَهُمْ أعْيُنٌ تَغُضُّ عَنِ العَيْـ ... ـنِ وَأيْدٍ تُمَدُّ عِنْدَ الغِلالِ
يا أبي حَزْمُكَ الذي طَرَّقَ الأنْـ ... ـذالَ منهمْ طَرائِقَ الأبْدالِ
لا تُوطِّنْ قلوبَهُمْ بِهِجاءٍ ... إنها من سُطاكَ في بَلْبالِ(٢)
ما استَوَى السَّيْفُ وَاللِّسانُ مَضاءً ... أتُساوَى حَقِيقَةٌ بِمُحالِ
إنَّ قَوْلِي هَزْلاً وَفِعْلَكَ جِدّاً ... مِثْلُ نَبْلِ الحَصَى ورَشْقِ النِّبالِ
وَلِلَهْفي وَلِغْتُ بالضَّرْبِ في الرَّمْـ ... ـلِ لأحظَى بأسْعَدِ الأشكالِ
فَحَمِدْتُ الطَّرِيقَ إذا أشْهَدَتْ لي ... حينَ عايَنْتُها بِحُسْنِ مآلِ(٣)
وَغَدا الاجتماعُ لِي عَنْـ ... ـكَ بُلُوغَ الرَّجاءِ وَالآمالِ
أثْبَتَ العِزُّ منكَ في بَيْتِ نَفْسِي ... وَالغِنَى مِنْ يَدَيْكَ في بيتِ مالِي
وإذا كنتَ نُصْرَةً لِيَ فِيما ... أرْتَجيهِ فَذاكَ عَيْنُ سُؤالِي

وقال يهجو النصارى واليهود، لعنهما الله: [الكامل]

النصارى واليهود

إنَّ النَّصارَى واليَهودَ مَعاشِرٌ ... جُبِلوا على التَّحْرِيفِ والتبْدِيلِ
لَوْ أنَّ فِيهِمْ عُورٌ عَنْ باطِلٍ ... أبْقَوْا على التَّوْراةِ وَالإنجيلِ

(١) العُذَّال: جمع العاذل: اللائم.
(٢) البَلْبَال: الوسواس وشدة الهم.
(٣) المآل: مصدر آل أي: رجع.

وقال لما استعار منه جمال الدين حمارته وأبى أن يعيدها إليه، بحكم أنه كان له عند صاحب الحمارة مبلغ من الدراهم: [المنسرح]

أنت لي كافل

يا أيُّها السَّيِّدُ الذي شَهِدَتْ … ألفاظُهُ لي بأنَّهُ فاضِلْ

حاشاكَ مِنْ أنْ أجوعَ في بَلَدٍ … وأنتَ بالرِّزْقِ فيهِ لي كافِلْ

ألَمْ تَكُنْ قدْ أخَذْتَ عارِيَةً … مِنْ شَرْطِها أنْ تُرَدَّ في العاجِلْ

وكانَ عَزْمي عِنْدَ الوُصولِ بِكُمْ … أجْمَلَ مِنْ أنْ أُساقَ لِلْحاصِلْ

ما كانَ مِثْلي يُعيرُهُ أحَدٌ … قَطُّ ولكِنْ سَيِّدي جاهِلْ

لو جَرَّسوهُ عليَّ مِنْ سَفَهٍ … لَقُلْتُ غَيْظاً عليهِ يَسْتاهِلْ (١)

طالَ بي شَوْقٌ إلى وَطَني … والشَّوْقُ داءٌ لا ذُقْتَهُ قاتِلْ

وبُغْيَتي أنْ أكونَ سائِبَةً … مِنْ بَلَدي في جَوانِبِ السَّاحِلْ (٢)

لا تَطْمَعوا أنْ أكونَ عِنْدَكُمُ … فذاكَ ما لا يَرومُهُ العاقِلْ

وبَعْدَ هذا فما يَحِلُّ لكُمْ … مِلْكي فإنّي مِنْ سَيِّدي حامِلْ

قافية الميم

وقال يمدح النبي، صلى الله عليه وسلم؛ وهي من أشهر شعره. وهذه القصيدة تعرف بالبُرْدة أو بالبُرْأة. وقد وفد بها على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، وهو مريض، فعوفي من وقته وساعته: [البسيط]

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَمِ … مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أمْ هَبَّتِ الريحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ … وأوْمَضَ البَرْقُ في الظَلْماءِ مِنْ إضَمِ (٣)

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا … وما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ (٤)

أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ … ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ (٥)

---

(١) السَّفَه: الجهل.

(٢) السائبة: المهملة، والعبد يُعتَق على أن لا ولاء له.

(٣) إضَم: الوادي الذي فيه المدينة النبوية.

(٤) هَمَتِ العين: صَبّت دمعها.

(٥) المُنسجم: السائل من الدمع. اضطرم القلب: اشتعل حباً.

لولا الهوى لم تُرِقْ دمعاً على طَلَلٍ ... ولا أرِقتَ لِذِكر البانِ والعَلَمِ (١)
فكيف تُنكِرُ حُبّاً بعد ما شهِدَتْ ... به عليك عدولُ الدمعِ والسَّقَمِ
وأثبتَ الوجدُ خطَّيْ عَبْرَةٍ وضنى ... مثلَ البهارِ على خدَّيك والعَنَمِ (٢)
نعم سرى طيفُ مَن أهوى فأرّقني ... والحبُّ يعترضُ اللذاتِ بالألمِ
يا لائمي في الهوى العُذْرِيِّ معذرةً ... مني إليك ولو أنصفتَ لم تَلُمِ
عَدَتْك حالِيَ لا سرِّي بمستَتِرٍ ... عن الوشاةِ ولا دائي بمنحسِمِ (٣)
محَّضتني النصحَ لكن لستُ أسمعُهُ ... إنّ المحبَّ عن العُذّالِ في صَمَمِ
إني اتهمتُ نصيحَ الشيبِ في عذلٍ ... والشيبُ أبعدُ في نُصحٍ عن التُّهَمِ
فإنّ أمّارتي بالسوءِ ما اتعظت ... من جهلِها بنذيرِ الشيبِ والهَرَمِ (٤)
ولا أعدّت من الفعلِ الجميلِ قِرى ... ضيفٍ ألمَّ برأسي غيرَ محتشِمِ
لو كنتُ أعلمُ أني ما أوقِّرُهُ ... كتمتُ سِرّاً بدا لي منه بالكَتَمِ (٥)
من لي بردِّ جماحٍ من غوايتها ... كما يُرَدُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ
فلا تَرُمْ بالمعاصي كسرَ شهوتِها ... إنّ الطعامَ يقوّي شهوةَ النَّهِمِ (٦)
والنفسُ كالطفلِ إن تُهمِلْهُ شبَّ على ... حُبِّ الرضاعِ وإن تفطِمْهُ ينفطِمِ
فاصرِفْ هواها وحاذِرْ أن تُوَلِّيَهُ ... إنّ الهوى ما تولّى يُصْمِ أو يَصِمِ (٧)
وراعِها وهي في الأعمالِ سائمةٌ ... وإن هي استحلتِ المرعى فلا تُسِمِ (٨)
كم حسّنت لذةً للمرءِ قاتلةً ... من حيثُ لم يدرِ أنّ السمَّ في الدَّسَمِ
واخشَ الدسائسَ من جوعٍ ومن شِبَعٍ ... فرُبَّ مخمصةٍ شرٌّ من التُّخَمِ (٩)
واستفرغِ الدمعَ من عينٍ قد امتلأت ... من المحارمِ والزمْ حِميةَ الندمِ (١٠)

---

(١) الطَّلَل: الشاخص من آثار الدار. البان: ضرب من الشجرة.
(٢) البَهار: نبت طيب الريح. العَنَم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء.
(٣) عَدَتْك: تجاوزتك.
(٤) الأمّارة بالسوء، أي النفس.
(٥) الكتم: نبت يُخلط بالحنّاء ويخضب به الشعر، فيبقى لونه.
(٦) لا تَرُم: لا تطلب.
(٧) يَصِم: يعيب. يُصِم: يرمي فيقتل.
(٨) السائمة: الإبل الراعية.
(٩) المخمصة: المجاعة. التُّخَم: جمع التُّخَمَة: الداء يصيبك من الطعام لا يُستمرأ.
(١٠) الحِمية عن الشيء: الامتناع عنه.

وخالِفِ النَّفسَ والشَّيطانَ واعصِهِما   وإنْ هُما مَحَضاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ
ولا تُطِعْ منهما خَصماً ولا حَكَماً   فأنتَ تعرِفُ كيدَ الخَصمِ والحَكَمِ
أستغفِرُ اللهَ مِن قَولٍ بلا عَمَلٍ   لقدْ نَسَبْتُ بهِ نَسلاً لِذي عُقُمِ
أمَرْتُكَ الخيرَ لكنْ ما ائتَمَرتُ بهِ   وما اسْتَقَمْتُ فما قَولي لَكَ اسْتَقِمِ
ولا تَزَوَّدتُ قبلَ المَوتِ نافِلَةً   ولَمْ أُصَلِّ سِوى فَرضٍ ولَمْ أصُمِ
ظَلَمتُ سُنَّةَ مَن أحيا الظَّلامَ إلى   أنِ اشتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِن وَرَمِ
وشَدَّ مِن سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوى   تحتَ الحِجارَةِ كَشحاً مُترَفَ الأدَمِ [1]
وراوَدَتهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ   عَن نَفسِهِ فأراها أيَّما شَمَمِ [2]
وأكَّدَتْ زُهدَهُ فيها ضَرورَتُهُ   إنَّ الضَّرورَةَ لا تَعدو على العِصَمِ [3]
وكيفَ تَدعو إلى الدُّنيا ضَرورَةُ مَن   لولاهُ لَم تَخرُجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونَينِ والثَّقَلَيْـ   ـنِ والفَريقَينِ مِن عُرْبٍ ومِن عَجَمِ [4]
نَبِيُّنا الآمِرُ النّاهي فلا أحَدٌ   أبَرَّ في قَولِ «لا» مِنهُ ولا «نَعَمِ»
هُوَ الحَبيبُ الذي تُرجى شَفاعَتُهُ   لِكُلِّ هَولٍ مِنَ الأهوالِ مُقتَحَمِ
دَعا إلى اللهِ فالمُستَمسِكونَ بهِ   مُستَمسِكونَ بِحَبلٍ غيرِ مُنفَصِمِ
فاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ   ولَم يُدانوهُ في عِلمٍ ولا كَرَمِ
وكُلُّهُم مِن رَسولِ اللهِ مُلتَمِسٌ   غَرفاً مِنَ البَحرِ أو رَشفاً مِنَ الدِّيَمِ [5]
وواقِفونَ لَدَيهِ عِندَ حَدِّهِمِ   مِن نُقطَةِ العِلمِ أو مِن شَكلَةِ الحِكَمِ
فهُوَ الذي تَمَّ مَعناهُ وصورَتُهُ   ثُمَّ اصطَفاهُ حَبيباً بارِئُ النَّسَمِ [6]
مُنَزَّهٌ عَن شَريكٍ في مَحاسِنِهِ   فجَوهَرُ الحُسنِ فيهِ غيرُ مُنقَسِمِ
دَعْ ما ادَّعَتهُ النَّصارى في نَبِيِّهِمِ   واحكُمْ بِما شِئتَ مَدحاً فيهِ واحتَكِمِ
وانسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئتَ مِن شَرَفٍ   وانسُبْ إلى قَدرِهِ ما شِئتَ مِن عِظَمِ
فإنَّ فَضلَ رَسولِ اللهِ لَيسَ لَهُ   حَدٌّ فيُعرِبَ عنهُ ناطِقٌ بِفَمِ

---

(١) السغب: الجوع. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخَلْف. الأدم: باطن الجلد الذي يلي اللحم.
(٢) الشمم: الارتفاع.
(٣) العصم: جمع العِصمة: المنع.
(٤) الثقلان: الإنس والجن.
(٥) الرشف: المص. الدِّيم: جمع الدِّيمة: المطر يدوم في سكون بلا رعد أو برق.
(٦) النسم: جمع النَّسمة: الإنسان.

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً ... أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ (١)

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ ... حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ (٢)

أَعْيَا الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ (٣)

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ (٤)

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ (٥)

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ (٦)

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ... طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ (٧)

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ (٨)

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ ... عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ (٩)

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي (١٠)

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْناً وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

---

(١) الرِّمَم: جمع الرِّمَّة: العظام البالية.

(٢) لم نهِم: لم نضل.

(٣) أعيا الوَرى: أتعب الخَلق. المنفحم: الساكت عجزاً في المناظرة.

(٤) تكلُّ: تتعب.

(٥) مبلغ العلم: يعني غاية العلم.

(٦) مُتسم: موصوف.

(٧) مُنتشق: الذي يتنشق. مُلتثم: من اللثم: التقبيل.

(٨) إشارة إلى تصدع إيوان كسرى وقت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٩) السَّدَم: الحزن.

(١٠) ساوة: مدينة في بلاد فارس. ويشير إلى بحيرتها التي غاضت.

والجنُّ تهتفُ والأنوارُ ساطعةٌ والحقُّ يظهرُ من معنًى ومن كَلِمِ

عَمُوا وصَمُّوا فإعلانُ البشائرِ لم تُسمعْ وبارقةُ الإنذارِ لم تُشَمِ (١)

مِن بعدِ ما أخبرَ الأقوامَ كاهنُهمْ بأنَّ دينَهمُ المعوجَّ لم يقمِ

وبعدَ ما عاينوا في الأفقِ من شُهُبٍ منقضَّةٍ وفقَ ما في الأرضِ من صَنَمِ

حتى غدا عن طريقِ الوحي مُنهزمٌ من الشياطينِ يقفو إثرَ مُنهزمِ (٢)

كأنهمْ هرباً أبطالُ أبرهةٍ أو عسكرٌ بالحصى من راحتيهِ رُمِي (٣)

نبذاً بهِ بعدَ تسبيحٍ ببطنهما نبذَ المسبِّحِ من أحشاءِ مُلتقمِ

جاءتْ لدعوتهِ الأشجارُ ساجدةً تمشي إليهِ على ساقٍ بلا قدمِ

كأنما سطرتْ سطراً لما كتبتْ فروعُها من بديعِ الخطِّ في اللَّقَمِ

مثلَ الغمامةِ أنَّى سارَ سائرةً تقيهِ حرَّ وطيسٍ للهجيرِ حَمِي (٤)

أقسمتُ بالقمرِ المنشقِّ إنَّ لهُ من قلبهِ نسبةً مبرورةَ القسمِ

وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كرمٍ وكلُّ طرفٍ من الكفارِ عنهُ عَمِي

فالصدقُ في الغارِ والصديقُ لم يرما وهمْ يقولونَ ما بالغارِ من أرِمِ (٥)

ظنُّوا الحمامَ وظنُّوا العنكبوتَ على خيرِ البريةِ لم تنسجْ ولم تَحُمِ

وِقايةُ اللهِ أغنتْ عن مضاعفةٍ من الدروعِ وعن عالٍ من الأُطُمِ (٦)

ما سامني الدهرُ ضيماً واستجرتُ بهِ إلا ونلتُ جواراً منهُ لم يُضَمِ (٧)

ولا التمستُ غنى الدارينِ من يدهِ إلا استلمتُ الندى من خيرِ مُستلمِ

لا تُنكرِ الوحيَ من رؤياهُ إنَّ لهُ قلباً إذا نامتِ العينانِ لم ينمِ

وذاكَ حينَ بلوغٍ من نبوتهِ فليسَ يُنكرُ فيهِ حالُ مُحتلمِ

تباركَ اللهُ ما وحيٌ بمكتسبٍ ولا نبيٌّ على غيبٍ بمتَّهمِ

كمْ أبرأتْ وصِباً باللمسِ راحتهُ وأطلقتْ أرِباً من رِبقةِ اللَّممِ (٨)

---

(١) لم تُشَم: لم تُنظر.

(٢) يقفو: يمشي على الأثر.

(٣) أبرهة: هو أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة ليهدمها في السنة التي وُلد فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) الوطيس: التنّور.

(٥) أرِم: علم وأثر، وأحد.

(٦) الأطم: الحصون.

(٧) الضيم: الظُّلم والانتقاص.

(٨) الوصِب: المريض. الأرِب: العاقل. اللمم: الجنون، وصغار الذنوب. الرِّبقة: العروة.

وأحييته السنة الشهباء دعوته ... حتى حكت غرة في الأعصر الدهم[1]
بعارض جاد أو خلت البطاح بها ... سيب من اليم أو سيل من العرم[2]
دعني ووصفي آيات له ظهرت ... ظهور نار القرى ليلاً على علم
فالدر يزداد حسناً وهو منتظم ... وليس ينقص قدراً غير منتظم
فما تطاول آمال المديح إلى ... ما فيه من كرم الأخلاق والشيم
آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ... عن المعاد وعن عاد وعن إرم[3]
دامت لدينا ففاقت كل معجزة ... من النبيين إذ جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبه ... لذي شقاق وما تبغين من حكم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب ... أعدى الأعادي إليها ملقي السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم
لها معان كموج البحر في مدد ... وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الإكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
إن تتلها خيفة من حر نار لظى ... أطفأت نار لظى من وردها الشبم
كأنها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جاءوه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة ... فالقسط من غيرها في الناس لم يقم[4]
لا تعجبن لحسود راح ينكرها ... تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم
يا خير من يمم العافون ساحته ... سعياً وفوق متون الأينق الرسم[5]
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلاً إلى حرم ... كما سرى البدر في داج من الظلم

---

(١) السنة الشهباء: لا خُضرة فيها، ولا مطر. غُرّة: بيضاء. الدُّهمة: السواد.

(٢) العارض: السحاب المعترض في الأفق. البطاح: جمع البطحاء: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. السَّيْب: العطاء. اليم: البحر. العَرِم: الوادي.

(٣) إرَم وعاد: من العرب البائدة، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ألم ترَ كيفَ فعلَ ربُّك بعاد إرمَ ذات العماد﴾ سورة الفجر آية ٧.

(٤) القِسط: العدل.

(٥) العافون: جمع العافي: طالب الرزق. الأينُق: النوق. الرُّسُم: أي التي ترسم الأرض فتترك أثراً.

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً — مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ [1]

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِياءِ بِها — وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ — في مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صاحِبَ العَلَمِ [2]

حَتَّى إِذا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ — مِنَ الدُّنُوِّ وَلا مَرْقَى لِمُسْتَنِمِ [3]

خَفَضْتَ كُلَّ مَقامٍ بِالإِضافَةِ إِذْ — نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ — عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ

فَحُزْتَ كُلَّ فَخارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ — وَجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

وَجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ — وَعَزَّ إِدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الإِسْلامِ إِنَّ لَنا — مِنَ العِنايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

لَمَّا دَعا اللهُ داعِينا لِطاعَتِهِ — بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

راعَتْ قُلُوبَ العِدا أَنْباءُ بِعْثَتِهِ — كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

ما زالَ يَلْقاهُمْ في كُلِّ مُعْتَرَكٍ — حَتَّى حَكَوْا بِالقَنا لَحْماً عَلَى وَضَمِ [4]

وَدُّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ — أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ وَالرَّخَمِ [5]

تَمْضِي اللَّيالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَها — ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

كَأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ — بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدا قَرِمِ [6]

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ — يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطالِ مُلْتَطِمِ [7]

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ — يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ [8]

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ — مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ — وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ [9]

---

(١) لم تُرَم: لم تُطلب.

(٢) السبع الطباق: السماوات السبع.

(٣) الشأو: السَّبق.

(٤) الوَضَم: ما وَقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير. وقولهم: تركهم لحماً على وضم يعني: أوقعهم فذللهم وأوجعهم.

(٥) العُقبان: جمع العُقاب: طائر جارح. والرَّخم: طائر.

(٦) القَرْم: السيد. القَرِم: الذي يشتهي اللحم.

(٧) الخميس: الجيش. السابحة: الخيل.

(٨) الاصطلام: الاستئصال.

(٩) البَعل: الزوج. لم تئم أي لم تصر إيِّما والأيِّم: التي لا زوج لها.

هُمُ الجِبالُ فَسَلْ عنهمْ مُصادِمَهُمْ … ماذا رأى مِنهُمُ في كلِّ مُصطَدَمِ

وسَلْ حُنَيناً وسَلْ بَدْراً وسَلْ أُحُداً … فُصُولَ حَتْفٍ لهُمْ أدهى مِنَ الوَخَمِ (1)

المُصْدِرِي البيضِ حُمْراً بعدَما وَرَدَتْ … مِنَ العِدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ (2)

والكاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ … أقلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

شاكِي السِّلاحِ لهمْ سِيمَى تُمَيِّزُهُمْ … والوَرْدُ يَمْتازُ بالسِّيمَى عَنِ السَّلَمِ (3)

تُهْدِي إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ … فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكمامِ كُلَّ كَمِي (4)

كأنَّهُمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً … مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ (5)

طارَتْ قلوبُ العِدا مِنْ بأسِهِمْ فَرَقاً … فما تُفَرِّقُ بينَ البَهْمِ والبُهَمِ (6)

ومَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ … إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ (7)

ولَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ … بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

أحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ … كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشْبالِ في أجَمِ

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ … فيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرْهانُ مِنْ خَصِمِ

كفاكَ بالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً … في الجاهِلِيَّةِ والتَّأدِيبِ في اليُتُمِ

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أسْتَقِيلُ بِهِ … ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ

إذْ قَلَّدانِيَ ما تُخْشَى عَواقِبُهُ … كأنَّنِي بِهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ (8)

أطَعْتُ غَيَّ الصِّبا في الحالَتَيْنِ وما … حَصَلْتُ إلاَّ علَى الآثامِ والنَّدَمِ

فيا خَسارَةَ نَفْسٍ في تِجارَتِها … لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ (9)

ومَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعاجِلِهِ … يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي سَلَمِ (10)

إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ … مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

---

(١) الوَخَم: يعني الداء، ويقال: أرض وخيمة: لا ينجع كلأُها.
(٢) اللمم: جمع اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٣) السِّيمى: العلامة.
(٤) الكمي: المدجَّج بالسلاح.
(٥) الحَزم: الثبات، والحُزُم: جمع الحِزام.
(٦) البَهم: جمع البَهمة: أولاد الضأن والمعز: والبُهم: جمع البُهمة: الشجاع.
(٧) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثيف الملتف.
(٨) الهدي: ما يُهدى إلى الحرم ليذبح.
(٩) يُقال سُمت بالسِّلعة وساومت بها في البيع.
(١٠) السَّلَم: السَّلَف.

فإنّ لي ذِمّةً منهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحمداً وهوَ أوفى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْلاً وإلا فَقُلْ يا زَلّةَ القَدَمِ

حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرّاجِي مَكارِمَهُ ... أوْ يَرْجِعَ الجارُ منهُ غيرَ مُحتَرَمِ

وَمُنذُ ألزَمتُ أفكاري مَدائحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخلاصِي خيرَ مُلتَزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنى مِنهُ يداً تَرِبَتْ ... إنّ الحَيا يُنبِتُ الأزهارَ في الأكَمِ (١)

وَلَمْ أُرِدْ زَهرةَ الدُّنيا التي اقتطَفَتْ ... يَدا زُهَيرٍ بما أثْنَى عَلَى هَرِمِ

يا أكرَمَ الرُّسْلِ ما لِي مَنْ ألُوذُ بهِ ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ (٢)

وَلَنْ يَضِيقَ رَسولَ الله جاهُكَ بي ... إذا الكريمُ تَحَلّى باسْمِ مُنْتَقِمِ

فإنّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرّتَها ... وَمِنْ عُلومِكَ عِلمَ اللّوحِ والقَلَمِ (٣)

يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلّةٍ عَظُمَتْ ... إنّ الكَبائرَ في الغُفرانِ كاللّمَمِ (٤)

لعلّ رَحْمَةَ رَبّي حينَ يَقسِمُها ... تأتي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ

يارَبِّ واجْعَلْ رَجائي غيرَ مُنعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجعلْ حِسابِي غيرَ مُنخَرِمِ

والطُفْ بِعَبْدِكَ في الدّارَينِ إنّ لهُ ... صَبْراً مَتى تَدْعُهُ الأهوالُ يَنهَزِمِ

وائذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ مِنكَ دائمةٍ ... عَلَى النّبيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ (٥)

ما رَنّحتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَباً ... وأطربَ العِيسَ حادي العيسِ بالنَّغَمِ (٦)

القصيدة المحمدية للإمام البوصيري(٧): [البسيط]

مُحَمّدٌ أشرَفُ الأعْرابِ والعَجَمِ ... مُحَمّدٌ خَيرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

محمدٌ باسطُ المَعْرُوفِ جامعةً ... محمدٌ صاحِبُ الإحسانِ والكَرَمِ

محمدٌ تاجُ رُسْلِ الله قاطِبَةً ... محمّدٌ صادِقُ الأقوالِ والكَلِمِ

---

(١) تربت: افتقرت. الأكم: جمع الأكمة: الربوة.

(٢) ألوذ: أحتمي. الحادث العمم: يعني يوم القيامة.

(٣) ضرّة الدنيا يعني الآخرة.

(٤) اللمم: صغار الذنوب: م

(٥) مُنهل: مُنصَبٌّ. مُنسجم: سائل برفق.

(٦) البان: شجر لحب ثمره دهن طيب. العذبات: الأغصان. العِيس: الإبل البيض، الواحدة: عيساء.

(٧) المجمعة الكبرى ٧٠.

مُحمدٌ ثابِتُ المِيثاقِ حافِظُهُ ... مُحمدٌ طيِّبُ الأخلاقِ والشِّيَمِ
مُحمدٌ خُبِيَتْ بالنُّورِ طِينَتُهُ ... مُحمدٌ لَمْ يَزَلْ نُوراً مِنَ القِدَمِ
مُحمدٌ حاكِمٌ بالعَدْلِ ذُو شَرَفٍ ... مُحمدٌ مَعْدِنُ الإنْعامِ والحِكَمِ
مُحمدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ مُضَرٍ ... مُحمدٌ خَيْرُ رُسْلِ اللهِ كُلِّهِمِ
مُحمدٌ دِينُهُ حَقٌّ النَّذِيرُ بِهِ ... مُحمدٌ مُجْمَلٌ حَقّاً عَلَى عَلَمِ
مُحمدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لأَنْفُسِنا ... مُحمدٌ شُكْرُهُ فَرْضٌ عَلَى الأُمَمِ[1]
مُحمدٌ زِينَةُ الدُّنْيا وَبَهْجَتُها ... مُحمدٌ كاشِفُ الغُمّاتِ وَالظُّلَمِ[2]
مُحمدٌ سَيِّدٌ طابَتْ مَناقِبُهُ ... مُحمدٌ صاغَهُ الرَّحْمٰنُ بِالنِّعَمِ
مُحمدٌ صَفْوَةُ البارِي وخِيرَتُهُ ... مُحمدٌ طاهِرٌ ساتِرُ التُّهَمِ
مُحمدٌ ضاحِكٌ لِلضَّيْفِ مُكْرِمُهُ ... مُحمدٌ جارُهُ واللهِ لَمْ يُضَمِ
مُحمدٌ طابَتِ الدُّنْيا بِبَعْثَتِهِ ... مُحمدٌ جاءَ بالآياتِ والحِكَمِ
مُحمدٌ يَوْمَ بَعْثِ النّاسِ شافِعُنا ... مُحمدٌ نُورُهُ الهادِي مِنَ الظُّلَمِ
مُحمدٌ قائِمٌ للهِ ذُو هِمَمٍ ... مُحمدٌ خاتِمٌ لِلرُّسْلِ كُلِّهِمِ

وبات مَرّة بالقرافة في رُفقة فيهم رجل اسمه مسافر، فدب ليلاً على صبي، اسمه النجم. فقال البوصيريُّ:[3] [السريع]

مُسافِرٌ سارَتْ أحادِيثُهُ ... ما بَيْنَ كُلِّ العُرْبِ والعَجَمِ
سَرَى عَلَى النَّجْمِ ولا غَرْوَ في ... مُسافِرٍ يَسْرِي عَلَى النَّجْمِ

وقال عفا الله عنه: [من الكامل]

دُر المدائح

عَرِّجْ بِرامَةَ إنَّها المَرامِي ... وبِحَيرةٍ فيها عَلَيَّ كِرامِ[4]

---

(١) الرُّوح: ما به حياة الأنفس. والرَّوْح: الراحة.
(٢) الغمّات: جمع الغُمّة: الكرب، والأمر المبهَم.
(٣) المقفى للمقريزي: ٢٣٢.
(٤) رامة: موضع.

نَزَلوا العَقِيقَ فأدْمُعِي شَوْقاً إلى   تِلْكَ الرُّبَا مِثْلُ العَقِيقِ دوام(1)
مالِلدِّيارِ وَلِلْمُحِبِّ كأنَّما   مُزِجَتْ حمائِمُها لهُ بِحِمامِ(2)
عَهْدِي بِها وكأنَّ مُتْهَلَّ الحَيَا   دَمْعِي وَمُصْفَرَّ البَهارِ سَقامِي(3)
وشَدَا الحَمامُ عَلَى الثُّمامِ ومَا المِنْ   مَرَّ الصَّبا وحَكَتْهُ عُودُ ثُمامِ(4)
وذُهِلْتُ لا أدري بِمَا أنا مائلٌ   بِشَذا نَسِيمٍ أوْ بِشَدْوِ حَمامِ
نَمَّ الوُشاةُ بِنا الأنَّ الهَوَى   لَمْ يَخْلُ مِنْ وَاشٍ ولا نَمَّامِ
وتَحَدَّثوا أنِّي سَلَوْتُ هَواكُمُ   كيفَ السُّلُوُّ مِنَ الزُّلالِ الطَّامِي
وَضَرَبْتُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمالِكُمْ   حُجُباً مِنَ الإجْلالِ والإعْظامِ
وَقَضَتْ مَهابَتُكُمْ بِتَرْكِ زِيارَتِي   مَنْ ذا يَزُورُ الأُسْدَ في الآجامِ
وَلَوْ أنَّنِي حاوَلْتُ نَقْضَ عُهودِكُمْ   لأبَى جَمالُكُمْ وَحِفْظُ ذِمامِي
ماضَرَّكُمْ جَبْرَ الكَسِيرِ وَحَسْبُهُ   ما يَلْتَقِي في الجَبْرِ مِنْ آلامِ
وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ وَلِعَبْرَتِي   بِتَسَهُّدٍ في الجَفْنِ أيُّ زِحامِ
وَقَرَتْ سُلُوانَ السَّلامِ فَلَيْسَ مِنْ   رَوْمٍ لهُ مِنِّي وَلا إشْمامِ(5)
قَسَماً بِحُسْنِكُمُ المَصُونِ وإنَّهُ   عِنْدَ المُحِبِّ لأكْبَرُ الأقْسامِ
لأعْفُرَنَّ بأرْضِكُمْ خَدِّيَ مِنْ   مَمْشَى المَها ومَرْتَعِ الآرامِ(6)
وَلأبْكِيَنَّ عَلَى زَمانٍ فاتَنِي   مِنْكُمْ بِعَيْنَيْ عُزْوَةَ بنِ حِزامِ(7)
وَلأهْدِيَنَّ إلى الوَزِيرِ وآلِهِ   دُرَّ المَدائِحِ في أجَلِّ نِظامِ
هُدِيَ الأنامُ بِهِمْ إلى طُرُقِ العُلا   لَمَّا غَدَوْا في الفَضْلِ كالأعْلامِ
صانَ النَّدَى أعْراضَهُمْ وزَهَتْ بِهِمْ   فكأنَّما الأزْهارُ في الأكْمامِ

---

(1) العقيق: موضع بظاهر المدينة.. العقيق الثانية: خرز أحمر.
(2) الحِمام: الموت.
(3) منهل: منصب. الحيا: المطر..
البَهار: نبت طيب الريح.
(4) الثُّمام: ضرب من الشجر.
(5) الرُّوم: الطلب، وفي اصطلاح القراء الرَّوم حركة مختلَسة مختفاة، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع. والإشمام في الحروف: أن تذيقها الضمة أو الكسرة بحيث لا تُسمع ولا يُعتد بها، ولا تكسر وزناً.
(6) أعفر: أمرغ. المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية. الآرام. جمع رِئم: ظبي خالص البياض.
(7) عروة: هو عُروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة، شاعر متيم غزل أحب ابنة عمه عفراء، مات سنة ٣٠هـ.

وَتَأَثَّلَتْ لِلدِّينِ وَالدُّنيا بِهِمْ ... عَلْيَاءُ تَخْلُقُ جِدَّةُ الأَيَّامِ (١)
وَحَمَى الوَزِيرُ الصَّاحِبُ بنُ مُحَمَّدٍ ... جَنَبَاتِهَا مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامِ (٢)
لَمَّا أَصَابَ بِهَا مَقَاتِلَ لِلْعِدا ... عَلِمُوا بِأَنَّ القَوْسَ فِي يَدِ رَامِ
اللهُ وَفَّقَهُ فَوَفَّقَ كُلَّ مَا ... يَنْوِيهِ مِنْ نَقْضٍ وَمِنْ إِبْرَامِ (٣)
فَكَأَنَّمَا الأَقْدَارُ فِي تَصْرِيفِهَا ... مُنْقَادَةٌ لِمُرَادِهِ بِزِمَامِ
وَصَلَ النَّهَارَ بِلَيْلِهِ فِي طَاعَةٍ ... وَصَلاتُهُ مَوْصُولَةٌ بِصِيَامِ
كُحِلَتْ بِتَقْوَى اللهِ مُقْلَتُهُ الَّتِي ... لَمْ تَكْتَحِلْ أَجْفَانُهَا بِمَنَامِ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِياً أَحْشَاءَهُ ... كَرَماً عَلَى سَغَبٍ وَحَرِّ أُوَامِ (٤)
عَجَباً لَهُ يَطْوِي حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى ... وَتَحُضُّهُ التَّقْوَى عَلَى الإِطْعَامِ
نَزَعَتْ وَمَا هَمَّتْ بِهِ النَّفْسُ الَّتِي ... نَزَعَتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ نَزْعَ هُمَامِ
فَتَنَعُّمُ الأَرْوَاحِ لَيْسَ بِمُدْرَكٍ ... إِلَّا بِتَرْكِ تَنَعُّمِ الأَجْسَامِ
قَرَنَ الوزارة بِالوِلَايَةِ فَهْوَ فِي ... حِلٍّ مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ إِحْرَامِ
فَاقَتْ مَنَاقِبُهُ العُقُولَ فَوَصْفُهُ ... مَا لَيْسَ يُدْرَكُ فِي قُوَى الأَفْهَامِ
فَقَرَائِحِي فِيمَا أَتَتْ مِنْ مَدْحِهِ ... كَالنَّحْلِ يَأْتِي الزَّهْرَ بِالإِلْهَامِ
أَوَ مَا تَرَاهَا رِيقُهَا يُحْلِي الجَنَى ... وَبِنَاؤُهَا فِي غَايَةِ الإِحْكَامِ
وَإِذَا رَعَتْ كَرَمَ المَكَارِمِ أَخْرَجَتْ ... شَهْدَ المَدَائِحِ فِيهِ سُكْرُ مُدَامِ
تَكْسُو مَحَاسِنُهُ المَدِيحَ جَلَالَةً ... فَيَجِلُّ فِيهَا قَدْرُ كُلِّ كَلَامِ
يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ اهْتِزَازَ مُثَقَّفٍ ... كَرَماً وَيُنْتَدَبُ انْتِدَابَ حُسَامِ (٥)
كَلِفٌ بِإِسْدَاءِ الصَّنَائِعِ مُغْرَمٌ ... لَا زَالَ ذَا كَلَفٍ بِهَا وَغَرَامِ (٦)
يَرْتَاحُ إِنْ سُئِلَ النَّوَالَ كَأَنَّمَا ... وَرَدَتْ عَلَيْهِ بِشَارَةٌ بِغُلَامِ
تَفْدِيهِ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... عِنْدَ السُّؤَالِ صَحَائِفُ الآثَامِ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بنِ مُحَمَّدٍ ... فِينَا وَذِكْرِ أُولَئِكَ الأَقْوَامِ
شَوْقاً لِمَا مَسَّتْ أَنَامِلُهُ فَيَا ... هَوْنَ النُّضَارِ وَعِزَّةَ الأَقْلَامِ (٧)

---

(١) تأثّل: تأصّل: تخلّق: تبلى.
(٢) الحسام: السيف.
(٣) الإبرام: الإحكام. والنّقض في البناء والعهد: ضد الإبرام.
(٤) طاوي: جائع. السّغب: الجوع. الأوام: شدة العطش.
(٥) المثقف: الرمح المستوي. يُنتدَب: يُدعى.
(٦) الصنائع: جمع الصنيعة: المعروف.
(٧) النُّضار: الذهب.

أكْرِمْ بأقلامٍ غَدا قَسَمِي بها مِنْ كلِّ خيرٍ أوْفَرَ الأقسامِ
فكَمِ ارتزقتُ بغيرِها لِضرورةٍ فكأنما استقسمتُ بالأزلامِ[1]
وكَفَفْتُ آمالي عليها جاهِلاً فكأنما عَكَفتْ على الأصنامِ
وَرَجَعتُ عنها آيِساً فكأنما رَجَعَ الرَّضيعُ مُرَوَّعاً بِفطامِ[2]
زانَ الوجودَ بخمسةٍ سَمَّاهُمُ مِنْ أحمدٍ ومُحمَّدٍ بأسامِي
فتشابَهتْ أسماؤُهُمْ وصِفاتُهُمْ وغَنُوا عَنِ التَّعريفِ بالأعلامِ
فَثَناءُ واحِدِهِمْ ثَناءُ جَميعِهِمْ في الفَضْلِ لِلتَّفخيمِ والإدْغامِ
مِثْلُ الثُّرَيَّا وهْيَ عِدَّةُ أنْجُمٍ يَدْعُونَها بالنَّجْمِ للإعْظامِ
أبَنِي عَلِيٍّ كلُّكُمْ حَسَنٌ أتَى في الفَضْلِ مَنْسُوبٌ لِخَيْرِ إمامِ
فُتِحَتْ بهِ سُنَنُ العُلا وفُرُوضُها فكأنَّهُ تكبيرةُ الإحْرامِ
وكأنَّكُمْ في فَضْلِكُمْ رَكَعاتُها مَخْتُومَةٌ بِتَحِيَّةٍ وسَلامِ
إنَّ العُلا لَمْ تَسْتَقِمْ إلاّ بِكُمْ يا خَمْسَةً كَدَعائِمِ الإسْلامِ
أنتمْ أنامِلُها وليسَ لها غِنىً عَنْ خِنْصِرٍ منكُمْ ولا إبْهامِ
أنتمْ قُوَى الإدراكِ مِنْ إحساسِها لَمْ تَفْتَقِرْ مَعَكُمْ إلى استفهامِ
ولكُمْ بأصحابِ العَباءَةِ نِسْبَةٌ تَبَعِيَّةٌ بِتَناسُبِ الإقْدامِ[3]
حامَيْتُمُ عنهمْ وحامَوا عنكُمُ إنَّ الكريمَ عَنِ الكريمِ يُحامِي
فالله حَسْبُكَ يا مُحمَّدُ صاحِباً ومُؤازِراً في رِحْلَةٍ ومُقامِ
يا مَنْ أعارَ البَدْرَ مِنْ أوصافِهِ حُسْنَ المُحَيّا والمَحَلَّ السّامِي
جَعَلَ الإلهُ بِكَ الخميسَ مُبارَكَ الـ حَرَكاتِ في الإنْجادِ والإتْهامِ[4]
مُتَنَقِّلاً مِثْلَ البُدُورِ وسائِراً بِنَداكَ في الآفاقِ سَيْرَ غَمامِ
جادَتْ على سُكّانِ مِصْرَ غُيُومُهُ وَدَهَتْ صَواعِقُهُ فِرَنْجَ الشّامِ
صَدَقَتْ سَواحِلَهُمْ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ وتَعاهَدَتْ منها حِصادَ الهامِ[5]
وعَقَدْتَ رأيَكَ فيهِمُ فَلَقِيتَهُمْ فَرْداً بِجَيْشٍ لا يُطاقُ لُهامِ[6]

---

(١) الأزلام: جمع الزَّلَم: القدح. والسهم من السهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.
(٢) أيس: قنط.
(٣) يريد بأصحاب العباءة: النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام علي، والحسن والحسين وفاطمة.
(٤) الخميس: الجيش. الإنجاد: أن تأتي نجداً. والإتهام: أن تأتي تِهامة.
(٥) الهام: جمع الهامة: القامة، أو الرأس.
(٦) لُهام: عظيم.

أَطْفَأْتَ نِيرانَ الوغى بِدِمائِهِمْ ولَهَا بِقَرْعِ النَّبْعِ أيُّ ضِرَامِ
وَأَذَقْتَ بالرُّمْحِ الصَّمِيمِ كُمَاتَهَا طَعْمَ الرَّدى والصَّارِمِ الصَّمْصامِ[1]
وَلَبِسْتَ فيها سابِغاتِ عَزائِمٍ تُغْنِي الكُماةَ عَنِ ادِّراعِ اللَّامِ[2]
فُتِحَتْ بِهِمَّتِكَ القِلاعُ وحُصِّنَتْ فأبَى تَناوُلَها عَلى المُسْتامِ
للهِ أقلامُ الوزيرِ فإنَّها نَظَمُ العُلا ومَفاتِحُ الإظْلامِ
نَسَجَتْ بُرودَ بَلاغَتَيْهِ وأَبْدَتِ الـ إِبْداعَ في الآسادِ والآجامِ[3]
فالنَّظْمُ مِثْلُ جَواهِرٍ بِقَلائِدٍ والنَّثْرُ مِثْلُ أزاهِرٍ بِكِمامِ
وَإذا نَظَرْتَ إلى مَواقِعِ نَقْشِها في الطِّرْسِ قُلْتَ أخِلَّةُ الرُّمَّامِ[4]
وَرِثَتْ مَكارِمَهُ بَنُوهُ فَحَبَّذا كَرَمُ السَّجايا مِنْ تُراثِ كِرامِ[5]
ما كانَ إلَّا الشَّمْسَ فَضْلاً أعْقَبَتْ مِنْ وارِثِيهِ بِكُلِّ بَدْرِ تَمامِ
أَوَلَيْسَ أحْمَدُ بَعْدَهُ ومُحَمَّدٌ بَلَغا مِنَ العَلْياءِ كُلَّ مَرامِ
فَلْيَهْنِ هذا أنَّ هذا صِنْوُهُ وَكِلاهُما لأبِيهِ حَدُّ حُسامِ[6]
ضاهَتْكُما في المَكْرُماتِ بَنُوهُما والشِّبْلُ فيما قيلَ كالضِّرْغامِ[7]
بأبيهِ كُلٌّ يَقْتَدِي وَبِعَمِّهِ مِنْ أكْرَمِ الآباءِ وَالأعْمامِ
مَوْلايَ زَيْنَ الدِّينِ يا مَنْ جُودُهُ كَنْزُ العُفاةِ ومُهْلِكُ الإعْدامِ[8]
أَمُّا مَقامُكَ في الصَّلاحِ فإنَّهُ فيما عَلِمْناهُ أجَلُّ مَقامِ
بِمَ زادَ عَنْكَ أبو يَزِيدَ وقَدْ غَدَتْ مِصْرٌ مُفَضَّلَةً عَلَى بِسْطامِ[9]
لَمَّا عَمِلْتَ بِما عَلِمْتَ مُراقِباً للهِ في الإقْدامِ والإحْجامِ
طَوَّحْتَ بالدُّنيا وقُلْتَ لها الحَقِي بِمَعاشِرِ الوُزَراءِ وَالحُكَّامِ[10]

---

(١) الصميم: الخالص. الكُماة: جمع الكمي: المدجّج بالسلاح. الصمصام: السيف لا ينثني.
(٢) سابغات: جمع سابغة: زائدة وافية. اذرع: لبس الدرع. اللام: جمع اللامة: الدرع.
(٣) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثيف.
(٤) الطِّرس: الصحيفة. أخِلَّة: جمع خِلال: ما خَلَّه به أي ثقبه ونفَذه. الرَّمّام: من قولك رَمَّ يرُمُّ: أصلح يُصلح.
(٥) السَّجايا: جمع السَّجِيَّة. الطبيعة.
(٦) الصِّنو: الأخ الشقيق، والابنّ، والعم.
(٧) الشِّبل: صغير الأسد. الضرغام: الأسد.
(٨) العُفاة: جمع العافي: طالب الرزق. الإعدام: الحاجة.
(٩) أبو يزيد البسطامي هو طيفور بن عيسى، ولد في بسطام من أعمال خراسان، كان زاهداً متصوفاً مات سنة ٢٦١هـ.
(١٠) طوّحت بالدنيا: قذفت بها.

وَنَسِيتُ مَا لَمْ يُنْسَ مِنْ لَذَّاتِهَا — وَعَدَدْتُهَا مِنْ جُمْلَةِ الآثَامِ
مَوْلايَ عُذْراً في القَرِيضِ فَلَيْسَ لي — في النَّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ إِلْمَامِ
لَوْ لَمْ أَرُضْ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صِبْيَةٍ — حَمِيَتْ عَلَيَّ عَوَارِضُ البِرْسَامِ(١)
مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّماً — فَيَكُونَ فَضْلِي مُكْمِلَ الإِعْلامِ
قَدْ صَارَ كُتَّابِي وَبَيْتِيَ مِنْ بَنِي — غَيْرِي وَأَبْنَائِي كَبُرْجِ حَمَامِ
أعْطِيتُهُم عَقْلِي وَآخُذُ عَقْلَهُمْ — فَأَبِيعُ نُورِي مِنْهُمُ بِظَلامِ
لَوْ أَنَّ لِي عَنْ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُمُ — أَوْ طِفْلَةٍ شَاةً مِنَ الأَنْعَامِ
لَضَرَبْنَ لِلأَمْثَالِ لابْنِ نُفَايَةٍ — مِنْ كَثْرَةِ الأَبْقَارِ وَالأَغْنَامِ
وَبَلِيَّتِي عِرْسٌ بُلِيتُ بِمَقْتِهَا — وَالبَعْلُ مَمْقُوتٌ بِغَيْرِ قِيَامِ(٢)
جَعَلَتْ بِإِفْلاسِي وَشَيْبِيَ حُجَّةً — إِذا صِرْتُ لا خَلْفِي وَلا قُدَّامِي
بَلَغَتْ مِنَ الكِبَرِ العِتِيِّ وَنُكِّسَتْ — فِي الخَلْقِ وَهْيَ صَبِيَّةُ الأَرْحَامِ
إِنْ زُرْتُهَا فِي العَامِ يَوْماً أَنْتَجَتْ — وَأَتَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بِغُلامِ
أَوْ هَذِهِ الأَوْلادُ جَاءَتْ كُلُّهَا — مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالقَوَّامِ
وَأَظُنُّ أَنَّهُمُ لِعُظْمِ بَلِيَّتِي — حَمَلَتْ بِهِمْ لا شَكَّ فِي الأَحْلامِ
أَوْ كُلُّ مَا حَمَلَتْ بِهِ — مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ
يَا لَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيماً آيِساً — أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الخُدَّامِ
أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِي بِهَا — لَوْ كُنْتُ بِعْتُ حَلالَهَا بِحَرَامِ
أَوْ لَيْتَنِي بَعْضُ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ — مِمَّنْ يُحَصِّنُ دِينَهُ بِغُلامِ
كَيْفَ الخَلاصُ مِنَ البَنِينَ وَمِنْهُمُ — قَوْمٌ وَرَايَ وَآخَرُونَ أَمَامِي
لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ المُقِيمُ بِأَهْلِهِ — فَشَكَوْا عَنَا بُعْدِي وَفَقْرَ مُقَامِي
فَارَقْتُهُمْ طَلَباً لِرِزْقِهِمُ فَلا — صَرْفِي يَسُرُّهُمُ وَلا اسْتِخْدَامِي
مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِيَالِ فَإِنَّهُ — بَعْلُ الأَرَامِلِ أَوْ أَبُو الأَيْتَامِ(٣)
أَصْبَحْتُ مِنْ حَمْلِي هُمُومَهُمُ عَلَى — هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الأَهْرَامِ
فَإِنِ اعْتَذَرْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي — مَدْحِي الوَزِيرَ فَحُجَّةُ الأَقْدَامِ
كَالشَّيْبِ يُغْدِقُ بِالهُمُومِ ذُنُوبَهُ — وَالذَّنْبُ فِيهِ لِكَثْرَةِ الأَعْوَامِ

---

(١) البِرسام: عِلّة يُهذى فيها.
(٢) العِرس: امرأة الرجل. المقت: الكُره.
(٣) البَعل: الزّوج، ومالك الشيء.

لا بَلْ رَكِبْتُ لهم جَوادَ خلاعةٍ   ما زالَ يَجْمَحُ بي بغيرِ لِجَام[1]
إني امرؤٌ ما مَدَّ عينَ خلاعتي   طَمَعٌ لِدينارٍ ولا دِرْهَام
وإذا مَدَحتُ الأكرمينَ مَدحتُهُمْ   بجوائِزِ الإعزازِ والإكْرام
فاصْفَحْ بِحِلمِكَ عن قَوافِيَّ التي   حَظِيَتْ لديكَ بأوفَرِ الأقسام
إنْ يَحْيِ جُودُكَ لي أبا دُلَفٍ غدا   حَيّاً لَهُ فَضْلي أبا تَمَّامِ

وقال يهجو جماعة سرقوا حمارته:

مستخدمون وشياطين

أرى المُسْتَخْدَمِينَ مَشوْا جميعاً   عَلى غَيْرِ الصِّراطِ المستقيمِ
مَعَاشِرُ لو وَلُوا جَنَّاتِ عَدْنٍ   لَصَارَتْ منهمُ نارَ الجَحِيمِ
فَمَا مِن بَلْدَةٍ إلاّ ومنهمْ   عليها كُلُّ شَيْطانٍ رَجيمِ
فلو كانَ للنُّجُومُ لها رُجوماً   إنْ خَلَتِ السَّماءُ مِنَ النُّجومِ[2]

وقال أيضاً لما دخل إلى المَحَلَّة وعَزم[3] عليه بنو عَرَّام على دخول الحمام فأدخلوه. فقال: [السريع]

لا تخذلوني

كُونُوا مَعِي عَوناً عَلى الأيَّامِ   لا تَخْذُلُوني يا بَني عَرَّامِ
إنْ كانَ يُرْضِيكُمْ وحاشا فَضْلُكُمْ   ضُرِّي فَحَسْبي زَلْقَةُ الحَمَّامِ[4]

وقال وكتب بها للجناب العالي السابقي، يبسط له في حق القاضي عماد الدين أبي طلحة رحمهم الله أجمعين: [المجتث]

ما في الزمان

ما في الزَّمانِ جَوَادٌ   يُرْجَى لِدَفْعِ العَظائمْ

---

(١) يجمح الفرس: يعتزّ فارسه ويغلبه.
(٢) الرُّجوم: جمع الرَّجْم: اسم ما يرجَم به. والرَّجْم: القذف، والقتل.
(٣) في الأصل: وعزموا.
(٤) الضُّر: الضرر.

وَلا لِنَيْلِ مُرادِ ... وَلا لِبَذْلِ المَكارِمْ
سِواكَ يا خَيْرَ والٍ ... يُدْعَى ويا خَيْرَ حاكِمْ
انظُرْ بِحَقِّكَ حالِي ... فأنتَ بالحالِ عالِمْ
إنَّ العِمادَ أرانا ... بأنَّهُ اليَوْمَ صائِمْ
وَلَيْسَ يَرْجُو ثَواباً ... وَلا يَخافُ مآثِمْ
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيهِ ... أنْ لا صِيامَ لِظالِمْ
وَصَوْمُنا في اتِّباع ... لَهُ صِيامُ البَهائِمْ(1)
فَخُذْ لنا اليَوْمَ مِنْهُ ... غَداءَنا وَهُوَ رَاغِمْ

ومن قوله يمدح الأمير سِنجر الشجاعيّ الذي أشرف على بناء المدرسة المنصورية والمارستان المنصوريّ سنة ٦٨٤هـ(٢): [الكامل]

قافية النون

أنْشَأْتَ مَدْرَسَةً وَمَارَسْتَانَا ... لِتُصَحِّحَ الأَجْسَامَ وَالأَبْدَانَا

وقال: [الرَّمل]

أشرقت الأكوان

سارَتِ العِيسُ يُرَجِّعْنَ الحَنِينا ... وَيُجاذِبْنَ مِنَ الشَّوْقِ البُرِينا(٣)
دامِياتٍ مِنْ حَفَى أخْفافُها ... تَقْطَعُ سَهْلاً وَحُزُوناً(٤)
وَعَلَى طُولِ طَواها حُرِمَتْ ... عُشْبَها المُخْضَرَّ والماءَ المَعِينا(٥)
كُلَّما جَدَّ بها الوَجْدُ إلَى ... غايَةٍ لَمْ تَدْرِها الأظْنُونا
قُلْتُ لِلْحادِي أعِذْ أشْواقَها ... بالسُّرَى إنَّ مِنَ الشَّوْقِ جُنُونا(٦)

---

(١) يريد أنه جوع فقط.
(٢) المقفّى للمقريزي: ٢٥٠. والمارستان والمدرسة بناهما السلطان قلاوون.
(٣) العيس: جمع العيساء: الناقة البيضاء. البُرين: جمع البُرة وهي حلقة توضع في أنف البعير ويشد بها الزمام.
(٤) البِيد: جمع البيداء: الفلاة.
(٥) الماء المَعِين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض.
(٦) السُّرى: السير عامة الليل. الحادي: الذي يسوق الإبل.

آهِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ أَبْكِي دَماً إِنَّ لِلْعِيسِ وَلِي فِيهِ شُؤُونا
أَسَرَتْ أَلْبَابَنَا لَمَّا سَرَتْ تَحْمِلُ الحُسْنَ بُدُوراً وَغُصُونا
كُلُّ سَمْراءَ وَمَا أَنْصَفْتُهَا فَضَحَتْ سُمْرَ القَنَا لَوْناً وَلِينا
أَغْدَتِ القَلْبَ فُتُوراً وَضَنى لَيْتَهَا مِنْ وَسَنٍ تُعْدِي الجُفُونا[1]
ثَغْرُهَا الدُّرِّيُّ مِنْ أَنْفَاسِهِ مِسْكُ دَارِينَ وَخَمْرُ الأَنْدَرِينا[2]
أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي وَالكَرَى يَوْمَ بَيْعِي النَّفْسَ مِنْهَا أَرْبُونا[3]
لا أَقَالَ اللهُ لِي مِنْ حُبِّهَا بَيْعَةً يَوْماً وَلا فَكَّ رُهُونا[4]
صَاحِبِي قِفْ بِي فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ لِي عَلَى الوَجْدِ وَلا الصَّبْرِ مُعِينا
وَسَلِ الرَّبْعَ الَّذِي سُكَّانُهُ رَحَلُوا عَنْهُ عَسَاهُ أَنْ يُبِينا
نَسَخَتْ آيَاتِهِ أَيْدِي البِلَى فَأَرَتْ عَيْنِي مِنْهُ الصَّادَ شِينا
وَجَنُوبٌ وَشَمَالٌ جَعَلا تُرْبَهُ فِي جَبْهَةِ الدَّهْرِ غُضُونا[5]
فَثَرَاهُ وَحَصَاهُ أَبَداً يَفْضُلانِ المِسْكَ وَالدُّرَّ الثَّمِينا[6]
سَحَبَتْ فِيهِ الصَّبَا أَذْيَالَهَا بِمَدِيحِي لإِمَامِ المُرْسَلِينا[7]
أَحْمَدَ الهَادِي الَّذِي أُمَّتُهُ رَضِيَ اللهُ لَهَا الإِسْلامَ دِينا
كَانَ سِرّاً فِي ضَمِيرِ الغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونا
تُشْرِقُ الأَكْوَانُ مِنْ أَنْوَارِهِ كُلَّمَا أَوْدَعَهَا اللهُ جَبِينا
أَسْجَدَ اللهُ لَهُ أَمْلاكَهُ يَوْمَ خَرُّوا لأَبِيهِ سَاجِدِينا[8]
وَدَعَا آدَمُ المُصْطَفَى دَعْوَةً قَالَ لَهَا الصِّدْقُ آمِينا
فَتَلَقَّى آدَمٌ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ هُنَّ كَنْزُ المُذْنِبِينا
وَبِهِ جَنَّاتُ عَدْنٍ رُفِعَتْ عَلَماً أَبْوَابُهَا لِلْمُسْلِمِينا
وَدُعُوا أَنْ تِلْكُمُ الدَّارُ لَكُمْ فَادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينا

---

(١) الوسن: النعاس.
(٢) الأندرين: موضع بالشام. دارين: موضع بالبحرين.
(٣) الكَرى: النعاس. الأربون: العربون.
(٤) أقال البيع: فسخه.
(٥) غضون الأذن: مثانيها.
(٦) الثرى: التراب الندي.
(٧) الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.
(٨) يريد حين خلق الله آدم وأمر الملائكة أن يسجدوا له.

وَبِهِ نُوحٌ دَعَا فِي فُلْكِهِ ... فَأَغَاثَ اللهُ نُوحاً وَالسَّفِينَا
وَأَغَاثَ اللهُ ذَا النُّونِ بِهِ ... بَعْدَمَا أَغْرَى بِهِ فِي البَحْرِ نُونَا
وَشَفَى أَيُّوبَ مِنْ ضُرٍّ كَمَا ... سَرَّ يَعْقُوبَ وَقَدْ كَانَ حَزِينَا
وَخَلِيلُ اللهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ ... أَنْ يَكِيدُوهُ فَكَانُوا الأَخْسَرِينَا(١)
وَبِنُورِ المُصْطَفَى إِطْفَاءُ مَا ... أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا
وَجَدَتْهُ أَنْبِيَاءُ اللهِ فِي ... كُلِّ فَضْلٍ وَاجِداً مَا يَجِدُونَا
مَصْدَرُ الرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فَلاَ ... عَجَبٌ أَنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَا
خَتَمَ اللهُ النَّبِيِّينَ بِهِ ... قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينَا
فَهْوَ فِي آبَائِهِمْ خَيْرُ أَبٍ ... وَهْوَ فِي أَبْنَائِهِمْ خَيْرُ البَنِينَا
قَدْ عَلاَ بِالرُّوحِ وَالجِسْمِ عُلاً ... رَجَعَتْ مِنْ دُونِهَا الرُّوحُ الأَمِينَا(٢)
وَرَأَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي ... رُدَّ مُوسَى دُونَهُ مِنْ طُورِ سِينَا(٣)
وَوَجِيهاً كَانَ مُوسَى عِنْدَهُ ... مِثْلَمَا قد كانَ جِبْرِيلُ مَسكِينا
صَلَوَاتُ اللهِ ذِي الفَضْلِ عَلَى ... رُسُلِ اللهِ إِلَيْنَا أَجْمَعِينَا
أَكْرَمُ الخَلْقِ هُمُ الرُّسْلُ لَنَا ... وَأَبُو القَاسِمِ خَيْرُ الأَكْرَمِينَا
فَتَعَالَى مَنْ بَرَا صُورَتَهُ ... مِنْ جَمَالٍ أُودِعَ المَاءَ المَهِينَا(٤)
وَاصْطَفَى مَحْتِدَهُ مِنْ دَوْحَةٍ ... أَنْبَتَتْ أَفْنَانُهَا عِلْماً وَدِينَا(٥)
مِنْ أُنَسٍ جَانَبَتْ أَحْسَابُهُمْ ... طُرُقَ الذَّمِّ شِمَالاً وَيَمِينَا
مَا رَأَيْنَا أَكْرَمَ الأَخْلاَقِ فِي ... غَيْرِ مَا يَأْتُونَهُ أَوْ يَدَّعُونَا
يَغْضَبُ المَوْتُ إِذَا مَا غَضِبُوا ... وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَا
مَعْشَرٌ صَانَهُمُ اللهُ لأَنْ ... يُودَعُوا مِنْ أَحْمَدَ السِّرَّ المَصُونا
هَذَّبَ السُّؤْدُدُ أَخْلاَقَهُمُ ... فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ مَا يَدَّعُونَا(٦)
عَجَباً وَالمُصْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي ... ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُبْصِرِينَا
شَهِدَ الكُفَّارُ بِالغَيْبِ لَهُ ... وَأَتَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَا(٧)

---

(١) ذو النون: يعني النبي يونس عليه السلام. والنون: الحوت.
(٢) خليل الله: يعني النبي إبراهيم عليه السلام.
(٣) الروح الأمين: جبريل عليه السلام.
(٤) يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الله تعالى بقلبه.
(٥) المحتِد: الأصل. الدَّوحة: الشجرة الكبيرة.
(٦) السؤدد: السيادة.
(٧) مبلسون: منكسرون.

أغلقوا بابَ الهُدى مِن دونِهِم   بعدما كانوا بِهِ يستفتحونا
وَعَمُوا عنهُ فلا واللهِ ما   تنفعُ الشمسُ لَدى القومِ العَمِينا
وَأتاهُم بِكتابٍ أُحكِمَت   منهُ آياتٌ لقومٍ يَعقِلونا
سَمِعَتهُ الإنسُ وَالجِنُّ فما   أنكروا مِن فَضلِهِ الحقَّ المُبِينا
عَجَزُوا عن سُورةٍ مِن مِثلِهِ   فَهُمُ اليومَ لهُ مُستَسلِمُونا
قالَ لِلكُفّارِ إذ أفحَمَهُم   بالتَّحدِّي ما لكُم لا تَنطِقُونا[1]
قَصَّ ما يَأتي عليهِم مِثلَما   قَصَّ أخبارَ القُرونِ الأوَّلينا
وَأتَت أخبارُهُ في حِكَمٍ   فَتأمَّلها ثِماراً أو فُنونا
قَسَمَ الرَّحمةَ في قُرّائِهِ   وَعَذابَ الخِزيِ في المستَقسِمِينا[2]
ما لَهُ مِثلٌ وَفي أمثالِهِ   أبداً مَوعِظَةٌ لِلمُتَّقِينا
رَحِمَ اللهُ بِهِ الخَلقَ وَكَم   أهلَكَ اللهُ بآياتٍ قُرُونا[3]

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر، إلى الملك الصالح؛ وكان قد أخرج ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين المِسْرَدي، ففوض أمرها إلى والده الشهاب رحمه الله تعالى: [الخفيف]

يد الخيانة

لَيتَ شِعري ما مُقتَضى حِرماني   دُونَ غَيري والإلفُ لِلرَّحمنِ
أتَراني لا أستَحِقُّ لِكَوني   جامِعاً أشمَلَ قارئي القرآنِ
أم لِكَوني في إثرِ كُلِّ صَلاةٍ   بي يُدعَى لِدَولَةِ السُّلطانِ
وبِأيِّ الأسبابِ يُعطى مَكانٌ   صَدَقاتِ السُّلطانِ دُونَ مَكانِ
حُمِلَت مِن عَطائِهِ ألفُ دِينا   رٍ إلَينا مِن بَعدِها ألفانِ
ما أتاني منها ولا الدِّرهَمُ الفَر   دُ وهذا حَقِيقَةُ العُدوانِ
زَعَمَ ابنُ البَهاءِ أنَّ عَطايا المَـ   ـلِكِ الصالحِ العَظِيمِ الشَّانِ
ما كَفَت سائِرَ المدارِسِ أوضُـ   ـمَّ إليها مِن مالِها دِرهَمانِ

---

(١) أفحمهم: أسكتهم.

(٢) المستقسمون: يعني كفار قريش، إذ كانوا يستقسمون بالقداح والسهام.

(٣) القرون: جمع القَرْن: الأمّة التي هلكت.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ تَوَفَّرَ نِصْفُ الْـ ... حَالِ مِنْهَا وَرَاحَ فِي النِّسْيَانِ
إِنْ أَكُنْ مَا أَقُولُهُ مِنْهُ دَعْوَى ... فَاطْلُبُونِي عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
أَوْ مَا كَانَ عِدَّةَ الْفُقَهَا الْـ ... فُ فَقِيهٍ مِنْ بَعْدِهَا مَائَتَانِ
فَاحْسِبُوهَا بِمُقْتَضَى الصَّرْفِ دِينَا ... راً وَرُبْعاً لِلْجِلَّةِ الأَعْيَانِ
تَجِدُوهَا أَلْفاً وَخَمْسَ مِئَاتٍ ... غَيْرَ مَا خَصَّهَا مِنَ النُّقْصَانِ
وَالْبِخَاسِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَى النَّـ ... فَقَةِ وَالْبَخْسِ مِنْ يَدِ الْوَزَّانِ[1]
أَنَا لَا أَنْسُبُ الْبَهَاءَ عَلَى ذَا ... لِكَ إِلَّا لِقِلَّةِ الإِيمَانِ
هُوَ وَلَّى أَهْلَ الْخِيَانَةِ فِيهَا ... وَتَوَلَّى الْجَوَادَ كَالْخَوَّانِ
كُلَّمَا جَاءَتِ الدَّنَانِيرُ يَنْـ ... قَضُّ عَلَيْهَا الْبَهَاءُ كَالشَّيْطَانِ
مَدَّ فِيهَا يَدَ الْخِيَانَةِ فَامْتَـ ... دَّ إِلَيْهِ بِالذَّمِّ كُلُّ لِسَانِ
وَلَعَمْرِي لَوِ اتَّقَى اللهَ فِي السِّرِّ ... اتَّقَتْهُ الأَنَامُ فِي الإِعْلَانِ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَحْمَدُ اللهَ ... الَّذِي مِنْ سُؤَالِهِ أَغْنَانِي
فَلَقَدْ حَلَّ فِي الْمَدَارِسِ فِي الأَخْذِ ... كَثْرَةُ الأَذَى وَالْهَوَانِ
وَأُزِيلَتْ بِالسَّبِّ أَعْرَاضُ مَنْ فِيهَا ... فَمَا قَامَ الرِّبْحُ بِالْخُسْرَانِ
كَيْفَ أَنْسَى قَوْلَ الشِّهَابِ جِهَاراً ... قَبَّحَ اللهُ كُلَّ ذِي طَيْلَسَانِ[2]
خَدَعُونَا وَاللهِ مِمَّا يَمُدُّو ... نَ أَكُفّاً كَكِفَّةِ الْمِيزَانِ
آهِ وَاضَيْعَةَ الْمَسَاكِينِ إِنْ وَلِّـ ... ي أَمْرَ الطَّعَامِ فِي رَمَضَانِ

وكان له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي مليح الصورة. وكان شخص يدعى، سليمان المفتش يحب ذلك العبد، فحذره البوصيريّ من سليمان المذكور، وقال له ما بلغه من خبر حبه للعبد. فقال له: أنا عبدي شيطان، ما أخاف عليه؛ فقال البوصيريّ:[3] [البسيط]

كم قلت

كَمْ قُلْتُ لِلأَكْرَمِ الْحَشَّاءِ أَنْصَحُهُ ... بِأَنَّ عَبْدَكَ مُحْتَاجٌ لِلُقْمَانِ
فَقَالَ عَبْدِيَ عِفْرِيتٌ فَقُلْتُ لَهُ ... إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمَانِ

---

(١) البَخس: التنقيص.
(٢) الطيلَسان: ضرب من الثياب أسود.
(٣) المقفّى للمقريزي: ٢٣٢.

ومن قوله؛ وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر، وشدد فيها (١): [الوافر]

خوف الجن

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الحُمَيَّا ... وَصَيَّرَ حَدَّهَا حَدَّ اليَمَانِي
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الجِنِّ مِنْهُ ... لِخَوْفِ القَتْلِ تَدْخُلُ فِي القَنَانِي

وقال يهجو عامل أسوان: [البسيط]

حُب المناصب

انظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَاوِينِ ... فَالكُلُّ قَدْ غَيَّرُوا وَضْعَ القَوَانِينِ
لَمْ يَبْقَ شَيءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ ... إِلَّا تَغَيَّرَ مِنْ عَالٍ إِلَى دُونِ
الكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالكِرَامِ فَمَا ... مِنْهُمْ عَلَى المَالِ إِنْسَانٌ بِمَأْمُونِ
وَالكُلُّ جَمْعاً بِبَذْلِ المَالِ قَدْ خَدَمُوا ... وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا غَيْرَ ذَا الحِينِ
فَهُمْ عَلَى الظَّنِّ لَا التَّحْقِيقِ بَذْلُهُم ... وَمَا تَحَقُّقُ أَمْرٍ مِثْلُ مَظْنُونِ
نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَأَخْرَجَهُمْ ... حُبُّ المَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ
قَدْ طَالَ مَا طُرِدُوا عَنْهَا وَمَا انْطَرَدُوا ... إِلَّا وَقَوْمٌ عَلَيْهَا كَالذُّبَابِينِ
وَطَالَمَا قُطِّعَ أَذْنَابُ الكِلَابِ لَهُمْ ... فَاسْتَخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ المَصَارِينِ
قَدْ يَنْفَعُ النَّاسَ حَتَّى الحَشُّ مِنْ غَرَضٍ ... وَغَيْرُهُ مِنْ رَيَاحِينٍ وَبَشْنِينِ (٢)
ضُمَّانُ رِيحٍ بِطَيْرٍ فَوْقَ طَائِرِهِمْ ... يَطِيرُ وَالرِّيحُ شُيَّاعٌ بِمَضْمُونِ
لَوْ أَمْكَنَ القَوْمَ وَزْنُ المَالِ لَاتَّخَذُوا ... لَهُ المَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ القَبَابِينِ
وَمَسْحُهُمْ لِلسَّمَوَاتِ العُلَى افْتَعَلُوا ... فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ المَسَّاحُ لِلطِّينِ
وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ ... كَلَّا وَلَا بِرُجُومٍ لِلشَّيَاطِينِ (٣)
عَزُّوا وَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ ... مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ العِزِّ مِنْ هُونِ (٤)
وَطَاعَنُوا النَّاسَ بِالأَقْلَامِ وَاسْتَلَبُوا ... مِنْهُمْ بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ (٥)

---

(١) المقفى للمقريزي: ٢٥٠.
(٢) الحَشّ: الوَديّ من النخل. بَشنين: ضرب من الأزهار.
(٣) الرُّجوم: جمع الرَّجم: ما يُرجمُ به، والرَّجم: الظَّن.
(٤) الهَوْن: الهوان.
(٥) مكنون: مستور.

وَمِنْ مَواشٍ وَأَطْيارٍ وَآنِيَةٍ ... وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُولٍ وَمَوْزُونِ
لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَرْبِ الشُّرُورِ كَمَا ... حَرْبُ الْبَسُوسِ وَحَرْبُ يَوْمَ صِفِّينِ (١)
لا يَكْتُبُونَ وُصُولاتٍ عَلَى جِهَةٍ ... مُفَصَّلاتٍ بِأَسْمَاءٍ وَتَبْيِينِ
إلاَّ يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتُبُونَ لَهُ ... مِنَ الْحُقُوقِ وَمَاذَا وَقْتُ تَعْيِينِ
فَاسْمَعْ وَكَاسِرْ وَحَسَّ الرِّيحَ يَا فَطِناً ... فَلَسْتَ أَوَّلَ مَقْهُورٍ وَمَغْبُونِ
هُمُ اللُّصُوصُ وَمِنْ أَقْلاَمِهِمْ عُتُلٌ ... بِهَا يَسُفُّونَ أَمْوَالَ السَّلاَطِينِ (٢)
وَكُلُّ ذَلِكَ مَصْرُوفٌ وَمَصْرِفُهُمْ ... لِلشَّيْخِ يُوسُفَ أَبِي هِنْبِصِ بْنِ لَطْمِينِ
وَلِلشَّرَابِ وَتَبْيِيتِ الْخَطَاءِ بِهِ ... يَجْلُو الْعُقَارَ بِأَجْنَاسِ الرَّيَاحِينِ (٣)
وَلِلْعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ مَعاً ... وَلِلْخُرُوقِ الْكَثِيرَاتِ الثَّلاوِينِ
وَلِلْبِغَالِ الْوَطِيَّاتِ الرِّكَابِ تَرَى ... غِلْمَانَهُمْ خَلْفَهُمْ فَوْقَ الْبَرَاذِينِ (٤)
وَلِلْمَنَادِيلِ فِي أَوْسَاطِ مَنْ مَلَكُوا ... وَلِلْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَمَايِينِ (٥)
وَلِلرِّبَاعِ الْعَوَالِي الارْتِفَاعِ بِنا ... وَلِلْبَسَاتِينِ تُنْشَا وَالدَّكَاكِينِ
وَلِلْفِجَاجِ وَحُمْلاَنِ النِّعَاجِ وَأَطْـ ... ـيارِ الدَّجَاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمَامِينِ (٦)
وَلِلشَّبَاذِي وَلِلأَنْطَاعِ تُفْرَشُ فِي ... تَمُّوزَ فَوْقَ رُخَامٍ فِي الأَوَاوِينِ (٧)
وَلِلْمَجَالِسِ فِي أَوْسَاطِهَا خَرَكٌ ... وَلِلطَّنَافِسِ فِي أَيَّامِ كَانُونِ (٨)
وَلَسْتُ أَحْصُرُ أَلْوَاناً لأَطْعِمَةٍ ... تَفَنَّنَ الْقَوْمُ فِيهَا كُلَّ تَفْنِينِ
وَلِلْمَلاَبِسِ كَمْ ثَوْبٍ مُلَوَّنَةٍ ... فِيهَا الْعِرَاقِي مَعَ الْهِنْدِيِّ وَالْبُونِي
وَكَمْ ذَخَائِرَ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَهَا ... مِثْلٌ فَمِنْ مُودَعٍ سَقْفاً وَمَدْفُونِ

(١) حرب البسوس: في الجاهلية بين بكر وتغلب. بسبب ناقة لجار البَسوس، والبَسوس امرأة. يوم صفين: حيث اقتتل المسلمون أهل الشام وأهل العراق سنة ٣٧هـ.
(٢) عُتُل: جمع عَتَلة: حديدة كأنها رأس فأس.
(٣) العُقار: مؤخّر الحوض أو مقام الشارب منه.
(٤) البراذين: جمع البرذون: الدابة.
(٥) المناطق: جمع المِنطقة: ما ينتطق به، وكان النصارى يشدون على أوساطهم بمناطق. ونطقه: شقة تلبس وتشد الوسط وليس لها حُجزة ولا نَيفق ولا ساقان. الهَمَايين: جمع الهِيْمان: التِّلَّة، والمِنطقة وكيس للنفقة يُشد في الوسط.
(٦) الفِجاج: جمع الفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(٧) أواوين: جمع إيوان وهو الصُفّة العظيمة كالأزَج. الأنطاع: جمع النِّطع: بساط من الأديم.
(٨) خَرَك: كلمة تركية، تعني نوعاً من البسط، الطنافس: جمع الطِّنفَسة من البسط والثياب والحصير، من سعف عرضه ذراع.

وَكَمْ مجالِسِ أُنسٍ عُيِّنَتْ لَهُمْ … تُنسِي الهُمُومَ وتُسْلِي كُلَّ مَحزُونِ

وَكَمْ حُلِيٍّ نِساءٍ لا يُثَمِّنُهُ … مُقَوِّمٌ قطُّ في الدُّنيا بِتَثْمِينِ

فَقُلْ لِسُلْطانِ مِصرَ والشامِ مَعاً … يا قاهِراً غَيرَ مَخْفِيِّ البَراهِينِ

ومَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيفٍ بِراحَتِهِ … ذَوِي السُّيُوفِ وأَصْحابَ السَّكاكِينِ

اكْشِفْ بِنَفْسِكَ أَسْوانا ومَنْ مَعَها … مِنَ الصَّعِيدِ بِلا قَوْمٍ مَساكِينِ

عُمّالُها قَدْ سَبَوْهُمْ مِنْ تَطَلُّبِهِمْ … ما لا يَكُونُ بِمَفْرُوضٍ ومَسْنُونِ

كُلٌّ تَرَى كاتِباً لِلسُّوءِ يُنْظِرُهُ … لِنَهْبِهِمْ كَمْ كَذا عامٍ وكَمْ حِينِ

سَبَوا الرَّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ … ولا أَمانَةَ لِلْقِبْطِ المَلاعِينِ (١)

لا تَأْمَنَنَّ عَلَى الأَمْوالِ سارِقَها … ولا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللهِ والدِّينِ

وخَلِّ غَزْوَ هُلاكُو والفَرَنْسِ مَعاً … وانْهَضْ بِفُرْسانِكَ الغُرِّ المَيامِينِ (٢)

واغْزُ أنَّ عامِلَ أَسْوانَ تَنالُ بِهِ … جَنّاتِ عَدْنٍ بِإحْسانٍ وتَمْكِينِ

وكُلَّ أَمْثالِهِ في القِبْطِ اغْزُهُمُ … فالغَزْوُ فِيهِمْ حَلالُ الدَّهْرِ والحِينِ

واسْلُبْهُمُ نِعَماً قَدْ شاطَرُوكَ بِها … كَما يُشاطِرُ فَلّاحُ الفَدادِينِ (٣)

فَقَدْ تَواطَوا عَلَى الأَمْوالِ أَجْمَعِها … وَفَذْلَكُوا أُكُلاً تِسْعِينَ بِعِشْرِينِ (٤)

وَصانَعُوا كُلَّ مُسْتَوْفٍ إذا رَفَعُوا … لَهُ الحِسابَ بِسُحْتٍ كالطَّواعِينِ (٥)

وَرَبَّحُوهُ فَقالَ الشَّيْخُ والدُّنا … قَسُّ القُسُوسِ ومُطْرانُ المَطارِينِ (٦)

مِنّا لَهُ العُذْرُ فِيما حَلَّ يَقْبَلُهُ … إمّا بِرَسْمِ مِدادٍ أوْ لِصابُونِ

وَلِلزُّيُوتِ وَإيقادِ الكَنائِسِ كَمْ … ولِلدَّقِيقِ المُهَيّا لِلقَرابِينِ

فَذاكَ في الصَّدَقاتِ الجارِياتِ بِهِ … يُسْحَبُ عَلَى الوَجْهِ أوْ يُقْلَبُ بِسِجِّينِ

وَكَيْفَ يَقْبَلُ بِرّاً مِنْ مُصانَعَةٍ … ومِنْ سَحابٍ بِتَخْرِيبٍ وتَسْكِينِ

وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنها مِنْ مُصانَعَةٍ … مِنْ كُلِّ مِسْكِينَةٍ فِيهِ ومِسْكِينِ

كَمْ هٰكَذا سَرَقُوا كَمْ هٰكَذا ظَلَمُوا … كَمْ هٰكَذا أَخَذُوا مالَ السَّلاطِينِ

أَتَرْكُ ذَنْبٍ وَسُؤالٌ لِمَغْفِرَةٍ … عِنْدَ الإِلهِ لِقَوْمٍ كالمَجانِينِ

---

(١) القِبط: نصارى مصر.

(٢) هولاكو: هو قائد المغول الذين اجتاحوا المناطق العربية الإسلامية سنة ٦٥٦هـ.

(٣) الفدادين: جمع الفدّان: وهو من وحدات قياس الأراضي في مصر.

(٤) فَذْلَك حسابه: أنهاه وفرغ منه.

(٥) السُّحت: الحرام، أو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار.

(٦) المُطران وجمعه المطارين: رتبة دينية عند النصارى.

وَقالَ قَومٌ لَقَدْ أَخصَى مَنالَهُمُ ... وَقَامَ فِيهَا بِمَفْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
فَقُلْتُ وَاللهِ مَا وَصْفِي لأَنْشُرَهَا ... فِيمَا يَقُومُ بِهِ شَرْحِي وَتَبْيِينِي
وَإِنَّمَا ذَاكَ مَجْهُودِي وَمَقْدِرَتِي ... وَطَاقَتِي فِي جِبَانَاتِ الثَّعَابِينِ

وقال: [الوافر]

لم أر مستخدماً أميناً

ثَكِلْتُ طَوَائِفَ المُسْتَخْدَمِينَا ... فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ رَجُلاً أَمِينَا(١)
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِنِّي شِفَاهاً ... وَأَنْظِرْنِي لأُخْبِرَكَ اليَقِينَا(٢)
فَقَدْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ ... مَعَ التَّجْرِيبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَا
حَوَتْ بُلْبَيْسُ طَائِفَةً لُصُوصاً ... عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِئِينَا(٣)
فُرَيْجِي وَالصَّفِيُّ وَصَاحِبَيْهِ ... أَبَا يَقْطُونَ وَالنَّشْوعَ السَّمِينَا(٤)
فَكُتَّابُ الشِّمَالِ هُمُ جَمِيعاً ... فَلا صَحِبَتْ شِمَالُهُمُ اليَمِينَا
وَقَدْ سَرَقُوا الغِلالَ وَمَا عَلِمْنَا ... كَمَا سَرَقَتْ بَنُو سَيْفٍ الجُرُونَا
وَكَيْفَ يُلامُ فُسَّاقُ النَّصَارَى ... إِذَا خَانَتْ عُدُولُ المُسْلِمِينَا
وَجُلُّ النَّاسِ خَوَّانٌ وَلَكِنْ ... أُنَاسٌ مِنْهُمُ لا يَسْتُرُونَا
وَلَوْلا ذَاكَ مَا لَبِسُوا حَرِيراً ... وَلا شَرِبُوا خُمُورَ الأَنْدَرِينَا(٥)
وَلا رَبَّوْا مِنَ المُرْدَانِ قَوْماً ... كَأَغْصَانٍ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا(٦)
وَقَدْ طَلَعَتْ لِبَعْضِهِمُ ذُقُونٌ ... وَلَكِنْ بَعْدَمَا نَتَفُوا ذُقُونَا
بِأَيِّ أَمَانَةٍ وَبِأَيِّ ضَبْطٍ ... أَرُدُّ عَنْهُ الخِيَانَةَ فَاسِقِينَا
وَلا كِيساً وَضَعْتُ عَلَيْهِ شَمْعاً ... وَلا بَيْتاً وَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَا
وَأَقْلامُ الجَمَاعَةِ جَائِلاتٌ ... كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لاعِبِينَا

---

(١) الثكل: فقدان ولد أو حبيب.
(٢) أنظرني: أمهلني.
(٣) بُلبيس: اسم بلد بمصر.
(٤) فريجي، والصفي، وأبو يقطون، والنشوع: أسماء أعلام.
(٥) الأندرين: قرية جنوب حلب.
(٦) المُردان: جمع الأمرد: الشاب طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

فإنْ ساوقتَهُم حَرفاً بحرفٍ ... فكُلُّ اسمٍ يَحُطُّوا مِلْهُ سِينا(١)
ولا تَحسَبْ حِسابَهُمْ صَحِيحاً ... فإنَّ بخصمِهِ الدَّاءَ الدَّفِينا
ألَمْ تَرَ بَعْضَهُمْ قَدْ خانَ بَعْضاً ... وعَنْ فِعْلِ الصَّفا سَلِ المَكِينا
ولَمْ يَتَقاسَمُوا الأسفالَ إلاّ ... لأنَّ الشَّيخَ ما احتَمَلَ الغُبُونا
أقامُوا في البِلاد لهُمْ جُباةً ... لِقَبْضِ مُغلِّها كالمُقْطَعِينا
وإنْ كَتَبُوا الجُنْدِيَّ وُصُولاً ... عَلَى بَلَدٍ أصابَ بِهِ كَمِينا
ومَا نَقْدِيَّةُ السُّلْطانِ إلاّ ... مَعَ المُسْتَخْدَمِينَ مُجَرَّدِينا
فَكَمْ رَكِبُوا الخِدْمَتِهِمْ نهاراً ... ولَيْلاً يَسْألُونَ ويَضْرَعُونا
وكَمْ وَقَفُوا بأبْوابِ النَّصارَى ... عَلَى أسْيافِهِمْ مُتَوَكِّئِينا
ولَمْ يَنْفَعْهُمُ البَرْطِيلُ شَيْئاً ... وما ازْدادُوا بِهِ إلاّ دُيُونا(٢)
كأنَّهُمُ نِساءٌ ماتَ بَعْلٌ ... لَهُ وَلَدٌ فَوَرَّثْنَ الثُّمَينا(٣)
وقَدْ تَعِبَتْ خُيُولُ القَوْمِ مِمَّا ... يَطُوفُونَ البِلادَ ويَرْجِعُونا
عَذَرْتُهُمْ إذا باعُوا الخَوالا ... تِهِمْ بالرُّبْعِ لِلْمُسْتَخْدَمِينا
وأعْطَوْهُمْ بِها عِوَضاً فكانُوا ... لِنِصْفِ الرُّبْعِ فِيهِ خاسِرِينا
أمَوْلانا الوَزِيرَ غَفَلْتَ عَمَّا ... يُهِمُّ مِنَ الكِلابِ الخائِنِينا
أتُطْلِقُ جامِكِيَّاتٍ لِقَوْمٍ ... وتُنْفِقُ فَيْءَ قَوْمٍ آخَرِينا(٤)
فلا تُهْمِلْ أُمُورَ المُلْكِ حَتَّى ... يَذِلَّ الجُنْدُ لِلْمُتَعَمِّمِينا
فَهَلْ مَلَكُوا بأقْلامٍ قِلاعاً ... وهَلْ فَتَحُوا بأوْراقٍ حُصُونا
ومَنْ قَتَلَ الفَرَنْجَ أشَدَّ قَتْلِ ... ومَنْ أسَرَ الفَرَنْسِيسَ اللَّعِينا
ومَنْ خَضَ الهَواجِرَ وهُوَ ظامٍ ... إلَى أنْ أوْرَثَ التَّتَرَ المَنُونا(٥)
ولاقُوا المَوْتَ دُونَ حَرِيمِ مِصْرٍ ... وصانُوا المالَ مِنْهُمْ والبَنِينا
ولَمْ تُؤْخَذْ كَما أُخِذَتْ دِمَشْقٌ ... ولا حُصِرَتْ كَمَيَّافارِقِينا
ومَا أحَدٌ أحَقُّ بأخْذِ مالٍ ... مِنَ الأتْراكِ والمُتَجَنِّدِينا

---

(١) قوله: يحطوا خطأ وصوابه يحطُّون، ولكنه حذف النون لإقامة الوزن.
(٢) البَرطِيل: الرشوة.
(٣) البَعْل: الزوج. الثمين: يعني حصة الزوجة من ميراث زوجها.
(٤) الجامكيّات: كلمة فارسية تعني الرواتب. والفيء: الغنيمة.
(٥) الهواجر: جمع الهاجرة: شدة الحر. التتر: المغول الذين اجتاحوا المنطقة منذ سنة ٦٥٦هـ.

وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ فَرَساً جَوَاداً ... لِوَاقِعَةٍ وَلاَ سَيْفاً ثَمِينَا
فَبَعْدَ الْمَوْتِ قُلْ لِي أَيُّ شَيْءٍ ... لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَا
إِذَا أُمَنَاؤُنَا قَبِلُوا الْهَدَايَا ... وَصَارُوا يَتْجَرُونَ وَيَزْرَعُونَا
فَلِمْ لاَ شَاطَرُوا فِيمَا اسْتَفَادُوا ... كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَا
وَكَانُوا هُمْ عَلَى مَالِ الرَّعَايَا ... وَمَالِ رُعَاتِهِمْ يَتَخَيَّلُونَا
تَخَيَّلَتِ الْقُضَاةُ فَخَانَ كُلٌّ ... أَمَانَتَهُ وَسَمَّوْهُ الأَمِينَا
وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهُ الْعَدْلَ ظُلْماً ... وَصَيَّرَ بَاطِلاً حَقّاً مُبِينَا
وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالِ مِصْرٍ ... سِوَى مِنْ مَعْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَا(١)
يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حُقُوقٌ ... بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الآخِذِينَا
وَقَالَ الْقِبْطُ إِنَّهُمُ بِمِصْرَ الْـ ... ـمُلُوكُ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَا
وَحَلَّلَتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبْتٍ ... لَهُمْ مَالَ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
فَلاَ تَقْبَلْ مِنَ النُّوَّابِ عُذْراً ... وَلاَ النُّظَّارِ فِيمَا يُهْمِلُونَا
فَلاَ تَسْتَأْصِلِ الأَمْوَالَ حَتَّى ... يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَا
وَإِلاَّ أَيُّ مَنْفَعَةٍ بِقَوْمٍ ... إِذَا اسْتَحْفَظْتَهُمْ لاَ يَحْفَظُونَا
أَلَيْسَ الآخِذُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ ... لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ خَائِنِينَا
وَأَنَّ الْكَانِزِينَ الْمَالَ مِنْهُمْ ... أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَا
تَوَرَّعَ مَعْشَرٌ مِنْهُمْ وَعُدُّوا ... مِنَ الزُّهَّادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ ... وَقَدْ مَلَئُوا مِنَ السُّحْتِ الْبُطُونَا
فَلاَ تَقْبَلْ عَفَافَ الْمَرْءِ حَتَّى ... تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَعَفِّفِينَا
وَلاَ تُثْبِتْ لَهُمْ عُمُراً إِذَا مَا ... غَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينَا
فَإِنَّ الأَصْلَ يَعْرَى عَنْ ثِمَارٍ ... وَأَوْرَاقٍ وَيَكْسُوهَا الْغُصُونَا
فَإِنَّ قَاطِعَ الْغِرْبَانِ صِرْتُ ... لِعُمَّالٍ لَهَا وَمُشَارِفِينَا
فَوَلِّي أَمْرَهَا ابْنُ أَبِي مُلَيْحٍ ... فَأَصْبَحَ لاَ هَزِيلَ وَلاَ سَمِينَا(٢)
وَنَاطَحَ وَهْوَ أَقْرَعُ كُلَّ كَبْشٍ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَصَابَ لَهُ قُرُونَا(٣)

---

(١) يتأوّلون: يفسّرون.

(٢) ابن أبي مليح: أحد المستخدمين الذين يهجوهم الشاعر.

(٣) أقرع، يعني: لا قرون له.

فَسَلْ أُذْنَيْنِ وَالْبَيْرُوقَ عَنْهُ ... وَمَنْزِلَ خَاتِمٍ وَسَلِ الْعَرِينا[1]
فَقَدْ نَسَفَ التِّلالَ الحُمْرَ نَسْفاً ... وَلَمْ يَتْرُكْ بِعَرْصَتِهَا جُرُونا[2]
وَصَيَّرَ عَيْنَهَا حِمْلاً وَلٰكِنْ ... لِمَنْزِلِهِ وَغَلَّتَهَا خَزِينا
وَأَصْبَحَ شُغْلُهُ تَحْصِيلَ تِبْرٍ ... وَكَانَتْ رَاؤُهُ مِنْ قَبْلُ نُونا[3]
وَقَدَّمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وُصُولٌ ... فَتَمَّمَ نَقْصَهُ صِلَةُ الَّلذِينا
وَفِي دَارِ الْوِلايَةِ أَيُّ نَهْبٍ ... فَلَيْتَكَ لَوْ نَهَبْتَ النَّاهِبِينا
وَمَا فِرْعَوْنُ فِيهَا غَيْرَ مُوسَى ... يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذًى وَهُونا[4]
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ ... تَلَقَّفَتِ الْقَوَافِلَ وَالسَّفِينا
وَفِيهَا عُصْبَةٌ لا خَيْرَ فِيهِمْ ... عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَعَصَّبُونا
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتُّهِمُوا يُؤَدِّي ... عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةَ وَالْيَمِينا
وَمَنْ يَسْتَغْطِ بِالأَقْلامِ رِزْقاً ... تَجِدْهُ عَلَى أَمَانَتِهِ ضَنِينا
وَلَسْتُ مُبَرِّئاً كُتَّابَ دَرْجٍ ... إِذَا اتُّهِمَتْ لَدَيَّ النَّاسِخُونا
فَهَاكَ قَصِيدَةً فِي السِّرِّ مِنِّي ... حَوَتْ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونا

وقال من قصيدة أولها:[5] [الخفيف]

كيف أعصي

أَهَوَىً وَالْمَشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهْ ... وَالتَّصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُعُونَهْ[6]
أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ ... إِنَّ حُبِّي لا يَدْخُلُ الْقِنِّينَهْ
كَيْفَ أَعْصِي الْهَوَى وَطِينَةُ قَلْبِي ... بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونَهْ
سَلَبَتْهُ الرُّقَادَ بَيْضَةُ خِدْرٍ ... ذَاتُ حُسْنٍ كَالدُّرَّةِ الْمَكْنُونَهْ[7]

---

(١) العرين: خدر الأسد.
(٢) العَرصة: كل بُقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.
(٣) التبْر: الذَّهب، والفضة.
(٤) يسوم: يكلِّف وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر.
(٥) فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٤.
(٦) الرُّعونة: الهَوَج.
(٧) بيضة الخِدر: كناية عن الجارية. الدُّرّة: اللؤلؤة العظيمة. مكنونة: مخبوءة.

وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَا هُلْبَا سُوَيْدٍ … وَهُلْبَا بَعْجَةٍ حَرْباً زَبُونَا[1]
وَكَمْ رَاعَتْ لِبَغْلَتِهِ شِمَالاً … وَكَمْ رَاعَتْ لِبَغْلَتِهِ يَمِينَا
وَلَوْلَا ذَاكَ مَا وَلَّوْا فِرَاراً … مِنَ البَحْرِ الكَبِيرِ لِطُورِ سِينَا[2]
إِذَا نَثَرُوا الدَّرَاهِمَ فِي مَقَامٍ … ظَنَنْتَ بِهِ الدَّرَاهِمَ يَاسَمِينَا
إِذَا جَيَّشْتَ جَيْشاً فِي غَزَاةٍ … تَرَى كُتَّابَهُمْ مُتَبَاشِرِينَا
وَإِنْ رَجَعُوا الأَرْضِيهِمْ بِخَيْرٍ … فَلَمْ تَرَ كَاتِباً إِلَّا حَزِينَا
وَقَدْ ثَبَتَتْ عَدَاوَتُهُمْ فَمَيِّزْ … بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينَا
وَلَمَّا أَنْ دُعُوا لِلْبَابِ قُلْنَا … بِأَنَّ القَوْمَ لَا يَتَخَلَّصُونَا
وَكَانُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمُ غُزَاةٌ … فَجَاءُوا بَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِبِينَا
وَصَارُوا يَشْكُرُونَ السِّجْنَ حَتَّى … تَمَنَّى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السُّجُونَا
فَقُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ … بِطُولِ مُقَامِكُمْ مَالاً دَفِينَا
فَقَالُوا: لَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا … بِأَنْفُسِنَا وَخَالَفْنَا الظُّنُونَا
وَقُلْنَا: المَوْتُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ … فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا
فَلَمْ نَتْرُكْ مِنَ الأَقْوَالِ شَيْئاً … وَخَاطَرْنَا وَجِئْنَا سَالِمِينَا
نَحِيلُ عَلَى البِلَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ … أُنَاساً يَعْسِفُونَ وَيَظْلِمُونَا
وَإِنْ مَنَعُوا تَقَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ … بِأَنَّهُمُ عُصَاةٌ مُفْسِدُونَا
وَجَهَّزْنَا وُلَاةَ الحَرْبِ لَيْلاً … عَلَى أَنْ يَكْبِسُوهُمْ مُصْبِحِينَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ … وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا[3]
فَجِئْنَا بِالنِّهَابِ [illegible] السَّبَايَا … وَجَاءُوا بِالرِّجَالِ مُصَفَّدِينَا[4]
وَجِنُّ مَشَارِفٍ بُعِثُوا شُهُوداً … فَإِنَّ مِنَ الوُثُوقِ بِهِمْ جُنُونَا
وَمَنْ أَلِفَ الخِيَانَةَ كَيْفَ يُرْجَى … لَهُ أَنْ يَحْفَظَ اللِّصُّ الخَئُونَا
وَمَا ابْنُ قُطَيَّةٍ إِلَّا شَرِيكٌ … لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَتَخَطَّفُونَا
أَغَارَ عَلَى قُرَى فَاقُوسَ مِنْهُ … بِجَوْرٍ يَمْنَعُ النَّوْمَ الجُفُونَا
وَجَاسَ خِلَالَهَا طُولاً وَعَرْضاً … وَغَادَرَ عَالِيَاً مِنْهَا حُزُونَا[5]

---

(١) هُلبا سويد، وهُلبا بعجة، قريتان في منطقة بُلبيس.
(٢) طُور سيناء: جبل بسيناء معروف، ذُكر في القرآن.
(٣) صال صولة: سطا واستطال.
(٤) السبايا: جمع السبيّة: الأسيرة. مصفّدون: مكبّلون.
(٥) جاس: طلب الشيء بالاستقصاء. الحزون: الأرض الغليظة، والواحد: حَزْن.

سُمْتُها قُبْلَةً تُسَرُّ بِها النَّفْـ ... سُ فَقالَتْ كَذا أَكُونُ حَزِينَهْ
قُلْتُ لا بُدَّ أَنْ تَسِيرِي إِلَى الدّ ... ارِ فَقالَتْ: عَسَى أَنا مَجْنُونَهْ
قُلْتُ سِيرِي فَإِنَّنِي لَكِ خَيْرٌ ... مِنْ أَبٍ راحِمٍ وَأُمٍّ حَنُونَهْ
أَنا نِعْمَ القَرِينُ إِنْ كُنْتِ تَبْغِينَ ... حَلالاً وَأَنْتِ نِعْمَ القَرِينَهْ
قالَتِ: اضْرِبْ عَنْ وَصْلِ مِثْلِي صَفْحاً ... وَاضْرِبِ الخَلَّ أَوْ بَصِيرَ طَحِينَهْ
لا أَرَى أَنْ تَمَسَّنِي يَدُ شَيْخٍ ... كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لِطَشْتِي مَشِينَهْ
قُلْتُ: إِنِّي كَثِيرُ مالٍ فَقالَتْ ... هَبْكَ أَنْتَ المُبارِزُ القارُونَهْ
سَيِّدِي لا تَخَفْ عَلَيَّ خُرُوجاً ... فِي عَرُوضِي فَفِطْنَتِي مَوْزُونَهْ
كُلُّ بَحْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبِرْنِي ... لا تُكَذِّبْ فَإِنَّنِي يَقْطِينَهْ

وقال، وكتب بها إلى بعض الأصحاب:[1] [المنسرح]

جزاك ربي

قُلْ لِعَلِّي الَّذِي صَداقَتُهُ ... عَلَى حُقُوقِ الإِخْوانِ مُؤْتَمَنَهْ
أَخُوكَ قَدْ عُوِّدَتْ طَبِيعَتُهُ ... بِشَرْبَةٍ فِي الرَّبِيعِ كُلَّ سَنَهْ
والآنَ قَدْ عَفَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ ... هَدَّتْ قُواهُ وَجَفَّفَتْ بَدَنَهْ
وَعاوَدَتْ يَوْمَها زِيارَتَهُ ... وَما اعْتَراها مِنْ قَبْلِ ذاكَ سَنَهْ
وَعادَ عِنْدَ القِيامِ يَخْمِـ[illegible]ـا ... بِراحَتَيْهِ كَأَنَّها زَمِنَهْ[2]
جِئْتُ بِها لِلطَّبِيبِ مُشْتَكِياً ... وَدَمْعَتِي كالعَوارِضِ الهَتِنَهْ[3]
فَقالَ عُذْلِي إِذا احْتَمَيْتُ وَكُلْ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجاجَةً دَهِنَهْ
كَيْفَ وُصُولِي إِلَى الدَّجاجَةِ والْـ ... بَيْضَةُ عِنْدِي كَأَنَّها بَدَنَهْ[4]
جَزاكَ رَبِّي إِذا انْسَهَلْتُ بِما ... شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَرْيَةٍ حَسَنَهْ

---

(١) فوات الوفيات: ٣/٣٦٦.
(٢) زمنة: من الزمانة: العاهة.
(٣) العوارض: جمع العارض: السحاب المعترض في الأفق. الهَتْن: انصباب المطر.
(٤) البدنة، من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكة.

وقال لما سُرِقَت حمارته: [الكامل]

قلت لكم

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ السُّرَّاقِ مُبَلِّغٌ   أَخْذِي عَنِ الْمَذْكُورِ مَا مَغْنَاهُ
لاَ تَجْعَلُونِي فِي الْحَمِيرِ كَنَاظِمٍ   سَرَقَتْ يَدَاهُ فَقُطِّعَتْ أُذُنَاهُ

الفهرس